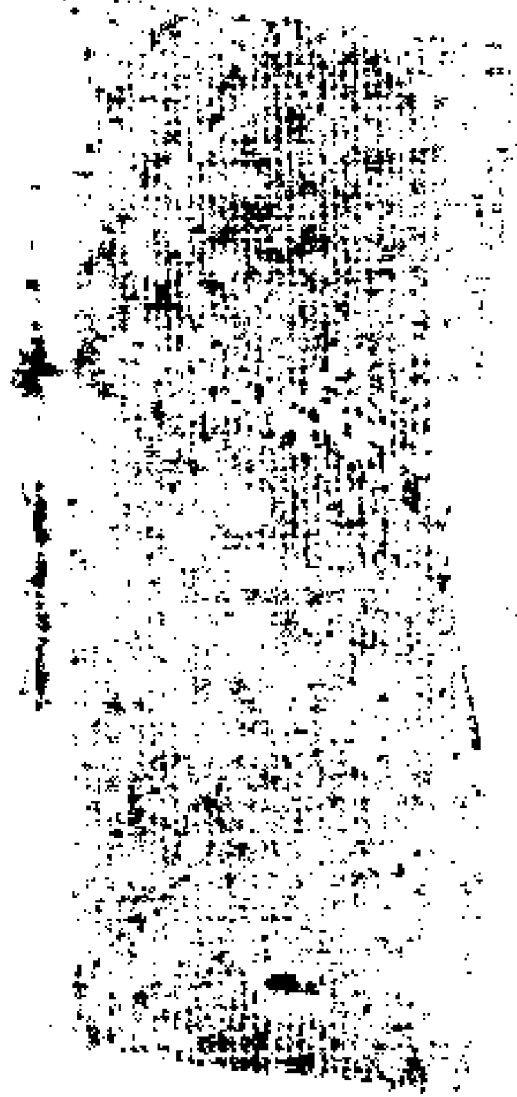
عبد اللطيف بن علي السلطاني

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

المزدكية هي أصل الاشتراكية

1974 - 1394






عبد اللطيف بن علي السلطاني

المزدكية

هي أصل

الاشتراكية

1974 - 1394

الطبعة الاولى 1394 — 1974

الإهداء

إلى روح من كان السبب ـ بعد الله ـ فى خروجي إلى هذا العالم .

إلى روح من لم يمتعنى الله بحنوِّه وحنانه .

إلى من لم يسعدنى القدر بالتعرف على شخصه وملامحه ، وإن كنت لمست آثار أعماله ، ورأيت تأثيرها فى أهل زمانـــه

إلى روح الذى عاش داعيا إلى الله ، ومحاربا للباطل وأنصاره ، لا تأخذه فى ذلك لومة لائم .

إلى روح الذى وهب كل حياته للعلم ، بين التعلم والتعليم ، حتى فارق هذه الحياة المملوءة بالأتعاب راضيا مرضيا عليـــه .

إلى روح والدى الشيخ علي ابن السلطانى أهدى كتابى هذا ، مع الدعوات له بالعفو والرضوان ، من رب واسع الرحمة كثير الغفران .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

الحمد لله الحي القيوم، الذى لا تاخذه سنة ولانوم، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، تفرد بالربوبية الحقيقية، وتقدس عن الشرك والشركية، الخالق المدبر لكل شيء وحده، لاشريك له ولامعين، المتصرف في خلقه بما جرت به حكمته، وفق ارادته ومشيئته، نحمده على ما أنعم به علينا مخلصين، ونشكره بكل جوارحنا صادقين، والصلاة والسلام على خاتم رسله وأنبيائه محمد بن عبد الله أكرم رسله أجمعين، عليهم من ربنا أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ورضوان الله عن صحابته الابرار، واهل بيته الاخيار، من المهاجرين والانصار، «ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ، إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» وقفوا الى جنبه وقفة صادقة، قضت على الشرك والضلال، واقتلعت جذور الوثنية و الشروالفساد، ونشروا نور الهداية بين الانام، وأوقفوا نفوسهم وباعوها لله وفي سبيل الله، وللدعوة للحق والهدي، فأعانوا على تثبيت قواعد الاسلام، بما بذلوه من نفوس أبية، وأموال زكية، وأوقات جليلة، كل ذلك بايمان صادق، وعزم راسخ، لم يرجوا من وراء ذلك الا الخير والسعادة لبني الانسان — وخاصة — الذين «ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ» فجزاهم الله أحسن ماجازى به عباده العاملين آمين.

وبعد فيقول العبد المفتقر الى رحمة الله الغني، عبد اللطيف بن علي بن احمد ابن السلطاني القنطرى، كان الله له وليا ونصيرا، وكان في عون العاملين المخلصين

على نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة – هاديا ودليلا: ان ما يطرأ في هذا العالم – بين الحين والاخر – من احداث ومذاهب، قد يكون فيها الخير والشر، والصلاح والفساد، والرشد والغي، والنفع والضر، وقد يخفى شرها وفسادها وضرها وغيها على بعض الناس، ولايفطن له الاذووالابصار والبصائر الحية، ومن اجل هذا راينا الكثير من علماء المسلمين – في كل زمان ومكان – كانوا حراسا أمناء على هذا الدين، يقظين بالمرصاد لكل طارئ يطرأ، ممن يحاول العبث بدين الله، فنصحوا وبينوا، وكشفوا واوضحوا، حتى لا يتجرأ مفتر زنديق على الامانة التي هم مسؤولون عنها – امام الله، وامام التاريخ، وامام امتهم – فيسلبها منهم – شان اللصوص الماهرين – وهم ينظرون اليه صامتين، فواجبهم الديني ان يكونوا مع الدين: حاملين وعاملين، داعين ومناصرين ومدافعين، ان كانوا من العلماء النزهاء العدول، الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم – كما في الاثر – : **«يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»** يقولون الحق لله وللحق، في غير مطمع ولامطمح، في دنيا اوجاه فاولئك هم العلماء الرجال، الذين لا يرضون – أبدا – ان يهان الاسلام وهم ينظرون، اوتعطل احكامه وآدابه واخلاقه وهم ساكتون لاهون.

وقد ظهرت في هذا العصر – في غير بلاد المسلمين – مذاهب ونزعات – او ان شئت فقل نزغات – تخالف شرائع الله التي جاء بها الرسل الكرام، عليهم من الله الصلاة والسلام، ظهرت في غير بلاد الاسلام، وتسربت فدخلت الى ارض المسلمين، فافسدت على الضعفاء عقيدتهم، وعلى المحاويج دينهم، بدعاوى شيطانية، واطماع دنيوية، ووعود لماعة، وأماني خلابة، وماهي في الواقع والحقيقة الا **«كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ»**.

من هذه النزعات – بل النزغات – الشيوعية الملحدة الكافرة بالخالق وبالاديان والاخلاق الفاضلة، التي تسترت بستار وشعار (الاشتراكية) لتخفي على البسطاء مقاصدها وأهدافها، فضربت لهم على النغم الذى يحبونه، ويخلب عقول الضعفاء – بالخصوص – مدعية أنها رحمة جاءت لترحم المحرومين، ونعمة سابغة للمضطهدين، وما هي في الحقيقة الاسم ناقع، وداء قتال يقتل – فيمن ابتلي به – الشعور بالكرامة الانسانية، لهذا لم يقبل عليها ويتقبلها الا النادر

القليل – عن طواعية واختيار – وان تبنتها وحمتها بعض الهيآت الحاكمة في بعض البلاد الاسلامية، واتخذتها منهاجا تسير عليه، فساء من اجل ذلك الحال، وانتشرت الفوضى وسوء السلوك في الاعضاء الحساسة في هياكل الامة – التي تسربت اليها – بالرغم من التمويه والتدليس علي ضعفاء الاحلام، فقد فشلت ولم تنجح الا في الضلال والتضليل، لهذا اخذت تتراجع عن اشياء كانت من مبادئها.

والدارس للتاريخ القديم يعلم – بالمقارنة – ان هذه (الشيوعية) او (الاشتراكية) وليدة نزعة قديمة ظهرت في الامة الفارسية قبل الاسلام، ظهرت من رجل اسمه: مزدق – اومزدك – دعت الناس الى ماتدعو اليه الاشتراكية الشيوعية اليوم، من إلحادية مضللة واباحية فاجرة، فواجب على كل مسلم في دينه لرب العالمين، مؤمن بالله الا يسكت عنها، فان هدفها القضاء على الدين والاخلاق الكريمة، ويتاكد ذلك الواجب – بالخصوص – على علماء الدين الاحرار المخلصين، فهذا هو جهادهم المطالبون به، يتقدمون الى ميدانه في شجاعة وصدق عزيمة ونزاهة، لاتاخذهم في قول الحق لومة لائم.

ومن المؤسف المحزن اننا راينا بعض المنتسبين للعلم والذين كتبوا فيها، فمنهم الداعي والمؤيد لها، ومنهم المنتحل لها الاسباب الداعية اليها، وقليل منهم المنكرون لها، فبعضهم سماها اشتراكية الاسلام، وآخر اطلق عليها اشتراكية عمر بن الخطاب، ومنهم من سماها الاشتراكية العربية، ومنهم من نسبها الى حزبه السياسي الخ كل ذلك ترضية للهيئة الحاكمة، اوطمعا في مال اوجاه اومنصب، **وهنا ضاعت جوهرة الحقيقة في رمال الأطماع**، وفي يوم الحساب يجد كل واحد جزاءه.

ومن العلماء – الصادقين – من كتب فيها بصدق واخلاص ونزاهة وامانة، فاظهر حقيقتها مكشوفة كماهي، فادى الامانة – امانة العلم والدين – ونصح لله رب العالمين، غير راغب ولا راهب – من المخلوق شيئا – عملا بقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: **(ٱلدِّينُ ٱلنَّصِيحَةُ ، قُلْنَا : لِمَنْ؟ قَالَ : لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأَئِمَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَعَامَّتِهِمْ)**(1) .

---

(1) رواه مسلم فى صحيحه عن ابى رقية تميم بن اوس الدارى رضى الله عنه

وساذكر في هذا الكتاب الذى اسميته **"المزدكية هي أصل الاشتراكية"** بحول الله وقوته أصْل هذه النحلة القديمة – المزدكية – وأذكر أقوال الموءرخين النزهاء من المسلمين وغيرهم فيها، ثم أقابل ذلك – في مناقشة – بماشاع في وقتنا هذا وما هو جار في مجتمعنا الاسلامي – مماله صلة وثيقة بها – وبالمقارنة وذكر الأهداف والغايات يظهر لذوى العقول النيرة ان هذه الاشتراكية ماهي الافرع عن تلك المزدكية القديمة، فقد طلعت علينا باحداث ووقائع كشفت عن المستور من النيات، والمخبوء من المقاصد والغايات.

والله المسوءول ان يوفقنا لما يحب ويرضى، ويسدد خطانا في سبيل الحق والصلاح، وهومن وراء القصد **«رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ أَنْتَ ٱلوَهَّابُ»** .

القبة (الجزائر) في 3 جمادى الاولى عام 1393هـ الموافق لـ4 جوان سنة1973م



الباب الأوّل

تمهيـــد :

1) مـا هي المـزدكيـة ؟

2) مـن ابتـدعهـا ؟

3) أين نبتت شجـرتهـا ؟

4) مـا هـو هـدفهـا ؟

الفصل الأول :

ما هي المزدكية ؟

المزدكية هي نحلة من النحل – اومذهب من المذاهب – البشرية ، والاخرى دعوة تدعو الناس الى ما دعا اليه ابليس من قبل ، فهي تتزعم حركة(إصلاحية) كما قال صاحبها ... المقصود منها – حسب قوله ايضا – نشر الامن والسلام في الارض –كما يدعي – وهي الى جانب هذا تلزم اتباعها ومعتنقيها العاملين بها وبمبادئها : بأن يزيلوا من بينهم جميع الفروق وأنواع الاختصاص ، فلا فرق فيما بينهم ، ولا يختص الواحد منهم على أخيه فيها باى شيء من انواع الاختصاص حتى في المخصصات الفطرية ، كالعرض والشرف ، فلا شرف عند المزدكيين ، ولا عرض ولا غيرة – والغيرة غريزة حتى عند الحيوانات التي لا تعقل – مثلما هو معروف عند شرفاء النفوس .

وساعمل – ماستطعت – باذن الله على توضيحها ، وتوضيح شقيقتها العصرية (الاشتراكية الشيوعية) فانها نبتت من بذرتها واصلها ، واتحدت معها في المبادئ والغايات ، فهما كما قال القائل القديم :

فان لم تكنه او يكنها فانه   اخوها غذته امه بلبانها

سأعمل على توضيح ذلك حتى يدرك الواقف على هذا الكتاب مدى شرورها وآثامها ، ومفاسدها ومكائدها ، ومانشرته في زمانها من فوضى في الأموال والأعراض ، الامر الذى تألم منه العقلاء في وقتها ، ولم يتنفسوا الصعداء ، ولم يستريحوا من كيدها الا بعد ان قُضِيَ عليها ، فَطَهُرَتِ الارض من رجسها ، بعد أن دُنِّسَتْ بافعال (مزدك وجماعته) الفظيعة والمنكرة ، وسادعم ما أقوله بأقوال السابقين ، من العلماء والمؤرخين الذين كتبوا عنها وعن الطوائف والنحل الاخرى ، كي يتبين خطرها وشرها للعقلاء منا ، فإن المتقدمين كشفوها للناس ،

فهتكوا سترها الذى تسترت به ، وفضحوا حيلها ومكائدها ، وحذروا بذلك عقلاء الناس من امرها ، حتى لاينخدعوا بدعوتها التي جعلتها وسيلة لنيل مرادها وما ترمي اليه ، من إلحاد في الدين وفساد للعقيدة ، وشرّ في الارض .

إذن ما هي اشتراكية مزدك...؟

تعتمد (المزدكية) اواشتراكية مزدك على عنصرين اثنين هامّيّن في حياة الفرد والامة ، هما عنصر المال ، وعنصر المرأة ، لهذا نجده ــ كما نجد من سلك سبيله ــ فتح ثلمتين في حصن الفرد والامة ، نفذ منهما الى قلب الفرد والامة ، ومن استولى على المال والمرأة ... فقد استولى على كل شيء ، وسخر كل شيء في سبيل اغراضه ومطامحه ، واتبعه لذلك اكثر الناس ، لان الاكثرية من الناس تقدم ــ في الاعتبار ــ هذين العنصرين على ما سواهما

هذا هو الاساس الذي أرْسَى عليه (مزدك) بنيان دعوته الى اشتراكيته .

الفصل الثاني : من ابتدعها ؟

مبتدع هذه النحلة ، او الدعوة ، اوالمذهب ــ بل مجددها لانها قديمة ــ رجل مجوسي من مجوسيي الفرس ادعى النبوة ، وجاء بهذه النحلة اوالمذهب ، على أنها شريعة من الله ارسلها الى عباده بواسطته هو ، واسم هذا الرجل (مزدق بن بامداذ) والفرس يبدلون القاف كافا ، فينطقون به (مزدك) ، وادعى أن الله امره هو ومن اتبعه بالعمل بها ، فاذا عملوا بشريعته كان لهم الثواب الكثير والاجر العظيم .

هذا (النبي) صاحب هذه الشريعة هو مزدك كما قلنا آنفا ، واليه تنسب نحلته فيقال لها : (المزدكية)

متى ظهرت هذه النحلة ؟

ظهرت هذه النحلة ــ حسبما ذكره المؤرخون ــ سنة (484) ميلادية .

ومزدك هذا اذا قلت انه شيطان، بل هو من اكبر شياطين الانس لم أكن ــ حقا ــ من المبالغين او المخطئين، فهو شيطان ــ ذكي ــ علم أن الناس ينقادون اليه بيسر ،ويقبلون على شريعته برغبة، ويعملون بها بسرعة وبدون تردد، اذا هو جاءهم بشريعة توافق ما تميل اليه النفس البشرية ، فتبيح لهم الشهوات

والملذات ، بل ويرضى عنهم الله تعالى — حسب دعواه — ويثيبهم على افعالهم تلك اذاهم اتبعوا شريعة مزدك .

وشريعة (مزدك) كما تقدم مبنية على عنصرين هامين في الحياة البشرية : (1) عنصر المال و(2) عنصر المرأة ، اما العنصر الاول وهو (المال) فهو قدر مشترك بين أتباع هذه الشريعة ، فلا يختص اى واحد منهم باى شيء من المال ، فكل الاتباع فيه شركاء ، فلا يتميز واحد منهم بدار ، اوببستان ، وهكذا فاين وجد الواحد من اتباعه دارا اوغيرها اخذها ودخلها واستولى عليها ، لان شريعة مزدك تبيح له ذلك .

واما العنصر الثاني — في المزدكية — وهو (النساء) فقد اباحت شريعته لاتباعها جميع النساء ، فلا يختص رجل بامرأة ، ولاتختص امرأة برجل معين ، فكل المزدكيين شركاء في نسائهم .

هذه خلاصة شريعة (مزدك) المجوسّي الذى كان يعيش في الربع الاخير من القرن الخامس وبداية القرن السادس المسيحي ، اى قبل ولادة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، كما مر قريبا .

توضيح دعوته

قال هذا النبي الفاجر الكذاب : (رايت الناس انما تكون بينهم الخصومات والاحقاد ، بل وحتى القتال والحروب — من اجل الاموال والنساء — لهذا رأيت أن ازيل من بينهم الاسباب التي تؤدى بهم الى الخلاف والخصام والعداوة والقتال . من أجل هذا يجب أن نزيل الاسباب حتى لاتكون المسببات ، ومن العداوة والخصام تكون الحروب بين الناس، من اجل ذلك يجب أن يعيش الناس كلهم في اتفاق واخوة وسلام .

فشريعته كما رأيناها من خلال دعوته فكرة شيطانية ، تفسد المجتمع الذى تطبق فيه ، فتفسد اخلاقه وتجعله مجتمعا اباحيا حيوانيا كسولا ، لاقيمة له بين الشعوب في الارض . بل ان شريعته على العكس مما قال ، تقوى العداوة بين الناس لانها تزيلها وتقضي عليها كما زعم زعيمها .

وقد وجد اصحاب الشهوات البهيمية في هذه الشريعة الاباحية ، والكسالى الذين لا يحبون ان يعملون ليكسبوا كما يعمل غيرهم ويكسب ، كما وجد

فيها الفجار والفساق ـ ضالتهم المنشودة ـ وجد كل هؤلاء بغيتهم وما تشتهيه نفوسهم الخبيثة في هذه الشريعة الخبيثة .

فالرجل لايتعب نفسه في كسب المال والكد من اجل تحصيله ، فالناس يتعبون وهو يجد ما يريد من غير تعب ، كذلك لا يكلف نفسه نفقة الزوجة والاولاد، بل يكفيه أن يتبع (مزدك) فكل امرأة تعلقت رغبته بها فهي مباحة له حلال عليه ـ حسب شريعة مزدك ـ فكانت دعوته الى شريعته مقبولة عند السفهاء والفساق والفجار ، وعند الكسالى والعاطلين ، فانتشرت دعوته بسرعة ـ لانها شيطانية ـ وكثر اتباعه كثرة عظيمة، حتى اضطر ملك البلاد (كسرى) كما يلقب الفرس الساسانيون ملوكهم بهذا اللقب ـ الى اتباعه خوفا على ضياع كرسيه ، واسم كسرى هذا الذى آمن بـ (مزدك) واتبعه فيما دعا اليه :(قباذ بن فيروز) ـ بضم القاف ، واجبر على اتباعه لانه بقي في قلة من اهل الشرف والمروءة والانفة والحمية ، ذلك أن مزدك هدده وتوعده بالخلع عن كرسيه وابعاده عن العرش الكسروى اذا هو لم يؤمن به ويتبع شريعته ، فاتبعه ،الملك مضطرا ، وذلك سنة (488)م وصارت الشريعة المزدكية شريعة الملك ـ بدخوله فيها وقبوله لها ـ معترفا بها من قبل القصر الكسروى ، فلحق الناس منها عار عظيم لم يمح بقتل مزدك كما سياتي ، بل بقي مكتوبا ومسجلا في التاريخ الى يوم الناس .

الفصل الثالث : أين نبتت شجرتها ؟

ظهر مما ذكر آنفا أن الارض التي نبتت فيها هذه الشجرة الخبيثة كانت ارض الفرس ـ بلاد العجم ـ وسكانها كانوا وثنيين ، لهم معبودات شتى من بيوت النار وغيرها ، كما كانت لهم شرائع يدينون بها كشريعة (زَرَادُشْتَ) وغيرها ، واستمر عملهم بهذه الشرائع أحقابا طويلة الى أن انقذهم الله من وثنيتهم تلك بشريعة الاسلام ، شريعة التوحيد الخالص ، ففتحت ارضهم ودخلها الاسلام في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولازالت الى الآن دار اسلام كسائر بلاد الاسلام .

فبعد ان عرفنا شيئا عن هذه النحلة ، نرى لزاما علينا أن ناتي هنا بما قاله علماء التاريخ الذين قصوا علينا اخبار هذه الفرقة الضالة ،وتتبعوها في جميع مراحلها واطوارها ، كي نزداد بها وباختها (الاشتراكية) معرفة ،ومنها فرارا ويقظة وحذرا .

الباب الثاني

أقوال علماء التاريخ في المزدكية وفي دعوتها

الفصل الأول :

(1) تعريف الشهرستاني لمزدك ونحلته

جاء في كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني عند الكلام على هذه النحلة قوله : (هو مزدك الذى ظهر في ايام – قباذ والد أنو شروان – ودعا قُبَاذَ الى مذهبه فاجابه ، واطلع انوشروان على خزيه وافترائه فطلبه فوجده فقتله) وجاء فيه ايضا : (وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ، ولما كان اكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال ، فاحل النساء واباح الاموال ، وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلا (1)

(2) تعريف المسعودي

ورد في كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودى عند كلامه على ملوك الفرس قوله : (ثم ملك قباذ بن فيروز ، وفي أيامه ظهر (مزدك) الزنديق ، واليه تنسب (المزدكية) وله اخبار مع قباذ ، وما احدثه في العامة من النواميس والحيل ، الى أن قتله أنوشروان في ملكه) وزاد على ما تقدم فقال : (ولماملك أنوشروان قتل مزدك وأتبعه بثمانين الفا من اصحابه) (2) وسياتي بيان اوسع من هذا يوضح كيف قبل الملك (قباذ) الدخول في مذهبه ، وكيف توصل كسرى أنوشروان بن قباذ الى قتل هذا الزنديق المفسد .

---

(1) الملل والنحل ج 2 ص 69 طبع صبيح .
(2) مروج الذهب ج 1 ص 263 — 264 طبع السعادة .

معنى أنوشروان

ولما قتل كسرى أنوشروان (مزدك) وأراح منه ومن شره البلاد والعباد ، اجتمع الكهان وخلعوا على الملك هذا اللقب (أنوشروان) شكرا له وتقديرا لما فعل بمزدك وجماعته المفسدين في الارض ، و من ذلك الوقت صار يدعى (كسرى أنوشروان) ومعناه بالعربية — الروح الخالدة، او مجدد الملك — لانه اعاد للامة الفارسية — ذات الحضارة القديمة — ماكانت أضاعته من اراضيها في ايام الملوك المتقدمين عليه ، فجمع ملكها الكبير بعد شتات استمر ازمانا .

(3) ما قاله المؤرخ الطبري

وذكر المؤرخ الطبرى — مبينا دعوة مزدك — مايلي : (قال مزدك وأصحابه إن الله انما جعل الارزاق في الارض ليقسّمها العباد بينهم بالتآسي ، ولكن الناس تظالموا فيها ، وزعموا — يقصد مزدك وجماعته — انهم ياخذون للفقراء من الاغنياء ، ويردون من المكثرين على المقلين ، وانه من كان عنده فضل من الاموال والنساء والامتعة فليس هو باولى به من غيره ، فافترص السِّفْلَةُ (1) ذلك واغتنموه،وَكَانَفُوا(2) مزدك وأصحابه وشايعوهم،فابتلى الناس بهم وقوي أمرهم ، حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ، ونسائه ، وأمواله ، لا يستطيع الامتناع منهم ، وحملوا قباذ على ذلك ، وتوعدوه بخلعه ، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى صاروا لا يعرف الرجل منهم ولده ، ولا المولود أباه ، ولا يملك الرجل شيئا مما يتسع به ، وصيّروا قباذ في مكان لا يصل اليه أحد سواهم)(3) .

وهكذا في كل زمان ومكان من قديم الزمان إلى يومنا هذا ، إذا أحاطت حاشية السوء والفساق بالملوك — ومن كان في منزلتهم — فإنهم يحولون

---

(1) السفلة : بفتح السين وكسر الفاء وفتح اللام ، او بكسر السين وسكون الفاء وفتح اللام هم : شرار الناس وأراذلهم ، وجدوا فى دعوة مزدك فرصة لهم فاغتنموها .

(2) المكانفة : المعاونة .

(3) تاريخ الرسل والملوك ج 2ص 92 — 93 — طبع المعارف .

بينهم وبين ذوي الحاجات من عامة الناس ، فلا يصل اليهم مظلوم ليرفع ظُلامته اليهم كي ينصفوه من ظالمه .

(4) تعريف صاحب المنجد في الأدب والعلوم لمزدك

جاء في منجد العلوم ما يلي : (مزدق رجل إيراني ، دعا إلى مذهب غايته نزع الخلاف بين الناس ، بجعل الحق في الأموال والنساء مشاعا بينهم ، قد نجح سعيه على أيام الملك (قباذ) (488–531) مات قتيلا)(1) .

كيف اتبع الملك قباذ مزدك ؟ ولماذا ؟

فقباذ لم يستجب لـ(مزدك) وجماعته إلا بعد أن توعده وهدده بخلعه وإزالته عن عرشه وكرسيه إذا هو لم يتبعهم ويتركهم يعبثون بأموال الناس ونسائهم كما يشاؤون ويبتغون ، فقبل – مكرها – واتبعهم على مذهبهم ، وبهذا صار المذهب المزدكي مذهب الملك (كسرى) فاكتسب بذلك قوة ، وهكذا قوى الباطل باتباع أهل الرأي الصائب له ، ولكن إلى حين .

نعود مرة أخرى إلى المؤرخ ابن جرير الطبري ، فنجده ذكر في مكان آخر من تاريخه نبذة من أقوال وأفعال هذا الزنديق الذي نشر الفساد والعار في الأرض ، فقال : (وكان مما أمر به الناس وزينه لهم وحثهم عليه : التآسي(2) في أموالهم وأهليهم ، وذكر أن ذلك من البر الذي يرضاه الله ويثيب عليه أحسن الثواب ، وإنه لو لم يكن الذي أمرهم به وحثهم عليه من الدين كان مَكْرُمَةً في الفَعَال ، ورضا في التفاوض ، فحض بذلك السَّفِلَةَ على العِلْيَةِ ، واختلط له أجناس اللؤماء بعناصر الكرماء ، وسهّل السبيل للغصبة إلى الغصب ، وللظلمة إلى الظلم ، وَلِلْعُهَّارِ إلى قضاء نهمتهم ، والوصول إلى الكرائم اللائي لم يكونوا يطمعون فيهن ، وشمل الناس بلاء عظيم لم يكن لهم عهد بمثله(3) .

فقد رأينا من خلال هذا التوضيح ، ان الفاحشة وانتهاك الحرمات والاعتداء

---

(1) المنجد فى الادب والعلوم ص 493 .
(2) التآسى المواساة والتعاون .
(3) تاريخ الطبرى ج 2 ص 99 طبع المعارف .

على كرامة وحرمة الحرائر المصونات ، هذا كله يعد قربة وطاعة لله في المذهب المزدكي الشيطاني !!! يا لها من وقاحة وبهتان .

فإذا كانت الفواحش قربة وطاعة فهي – في الحقيقة – للشيطان ، فهو الذي يأمر أتباعه بالفواحش ويزينها لهم ، ويدعوهم اليها ، اما الخالق الحكيم مرسل الرسل الصادقين بالشرائع السماوية الطاهرة حاملة معها قوانين إصلاح البشر وإسعادهم ، مبينة لهم الحدود التي لا يجوز للإنسان أن يتعداها ويجاوزها إلى ما وراءها – قلنا أما الخالق الحكيم فحاشاه أن يأمر بالفواحش أو يثيب عليها وهو القائل : **«قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ، أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟ »**(1) .

(5) ما قاله ابن النديم في المزدكية والخرمية

وهذا ابن النديم يقص علينا في كتابه "الفهرست" عن محمد بن إسحاق من خبر هذا الشيطان المارد ودعوته الخبيثة الفاسدة المفسدة للمجتمع وأخلاقه – تحت عنوان "مذهب الخرمية والمزدكية" – ما يلي : (وهؤلاء أهل مجوس في الأصل ، ثم حدث مذهبهم ، وهم ممن يعرف بـ"اللقطية" ، وصاحبهم مزدك القديم ، أمرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات ، والاكل والشرب والمواساة ، والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ، ولهم مشاركة في الحرم والأهل ، لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ، ولا يمنعه ، ومع هذه الحال فيرون أفعال الخير ، وترك القتل ، وإدخال الآلام على النفوس ، ولهم مذهب في الضيافات ليس هو لأحد من الأمم ، إذا أضافوا الإنسان لم يمنعوه من شيء يلتمسه كائنا ما كان ، وعلى هذا المذهب **(مزدك الأخير)** الذي ظهر في أيام قباذ بن فيروز ، وقتله أنوشروان وقتل أصحابه ، وخبره مشهور معروف(2) .

فالمفهوم مما ذكره ابن النديم ان اسم مزدك سمي به رجلان ، اولهما مزدك القديم والثاني مزدك هذا الذى ظهر في أيام الملك (قباذ بن فيروز) والذى قتله أنوشروان بن قباذ عندما ورث عرش ابيه ، وسيمر بنا قريبا – ان شاء الله –

---

(1) الآية 28 من سورة الاعراف .
(2) الفهرست ص 493 طبع الاستقامة .

زيادة بيان لهذه النقطة ، أما دعوتهما فواحدة في هدفها وما ترمي إليه ، لم تختلف حسبما أوضحه المؤرخون .

ما هي الْخُرَّمِيَّةُ ؟

أما الخرمية(1) التي جاءت في عنوان ابن النديم مع المزدكية فقد بينها وأوضح أهدافها الكثيرون ممن كتبوا عن الطوائف والفرق ، ونكتفي هنا بما ذكره العالم المستشرق الالماني (يوليوس فلهوزن) ، وهو باحث محقق في التاريخ العربي واليهودي والمسيحي ، لانه كان ابن قسيس ، وقد درس المسيحية واجيز فيها .

6) ما قاله (فلهوزن) في الخرمية والمزدكية

قال : (أما الخرمية فلم تكن حزبا ، بل كانت نزعة إباحية عامة وكان الخرمية – كما يزعمون – لا يرضون عما في الإسلام من نزعة يهودية ، أعني أنهم كانوا يعترضون على روح التطهر والتشدد الحزينة في ذلك ، **فكانوا يريدون أن يجعلوا للطبيعة وللمرح مكانهما في الدين ، وهم في ذلك يصلون مذهبهم بالديانة الوثنية التي كانت في بلاد العجم من قبل ،** ويجوز أنهم كانوا إلى جانب ذلك متأثرين بمباديء اجتماعية ، كانت تلائم ما يطمح إليه الموالي أحسن ملاءمة ، **ويروى أن الخرمية ، والراوندية ، قد جددوا الدعوة إلى الشيوعية في النساء ، وهي الشيوعية التي كان مزدك قد دعا إليها من قبل)(2) .**

فقد اتضح من هذا الرأي الذي أبداه العالم الالماني (يوليوس فلهوزن) أمران : 1) ان الشيوعية متفقة مع الخرمية في مقاصدها وأهدافها

---

(1) الخرمية بضم الخاء وفتح الراء المشددة وكسر الميم : نسبة الى خرمة ، قال صاحب القاموس : خرمة كسكرة بلدة بفارس ومنها بابك الخرمى ، وتخرم دان بدين الخرمية لاصحاب التناسخ والاباحة ، وقال ياقوت فى معجم البلدان : الخرمية قيل انه اسم بلدة قرب اردبيل ، واليها ينسب بابك الخرمى ، وقيل فارسى معناه : الذين يتبعون الشهوات ويستبيحونها ، وهذا يلائم فيها ما قاله (فلهوزن) .

(2) عن كتاب : (تاريخ الدولة العربية) ليوليوس فلهوزن ص 488 .

وهي الشيوعية في النساء ، –2– أن الخرمية – أخت للشيوعية . **وهما لايحبان التطهر والتدين ، ويريدان أن يجعلا للطبيعة وللمرح مكانهما في الدين، ومن أجل هذا رأينا في** البلاد الاشتراكية والشيوعية عناية كبرى بالغناء والرقص بجميع أصنافهما ، وصارت الاموال تنفق عليهما من خزينة الدولة بغير حساب مع مسيس الحاجة الى تلك الاموال لصرفها في المشاريع المفيدة للامة ، فهذه الفرق – الفنية – الكثيرة يؤتى بها من كل مكان لتقيم الحفلات الساهرة في الليالى العديدة ، في المناسبات وفي غير المناسبات – تطبيقا وعملا بهذا المبدأ الذى أشار اليه العالم الالماني – وصار للفن الماجن الخليع انتشار كبير مذهل ، **وصاروا يلقبون صاحب المجون حَامِلَ رسالة ، وللفن الفاجر رسالة.. فإن كان الفن الخليع رسالة ، وحامله رسولا ، فذلك للشيطان ، كما صار** لهذا الفن ، مكانته في وزارات الاخبار والثقافة ، وصارت كلمة – الثقافة – تطلق على الرقص والمجون ، ومابنشا عنهما ، والامة في حاجة أكيدة الى المدارس والجامعات والمستشفيات والمساكن وغير هذا من المشاريع الهامة والنافعة لابناء الامة المحرومين من كثير من وسائل الحياة الكريمة .

فالمال الذى ينفق على جلب فرق الرقص والغناء الخليع والماجن ربما يفوق – كثرة – اويساوى ماينفق على جلب العلماء لتعليم أبناء الأمة ما يعود عليهم بالنفع والفائدة ، من شتى أصناف العلوم والصناعات جاء في المثل العربي (خَرْقَاءُ وَجَدَتْ صُوفاً) .

وقد رآى النظارة بواسطة التلفزة الجزائرية – في أيام أسبوع العلم – الذى يقام – عادة – بمناسبة ذكرى وفاة العالم الكبير ، والمصلح الجزائرى الشيخ (عبد الحميد ابن باديس) – نعمه الله بنعيمه الدائم – الذى لا يستطيع احد أن ينكر علمه وفضله وورعه وصلاحه وطهارة نفسه ، والذى بذل كل جهوده وطاقاته في سبيل بعث الامة الجزائرية من جديد – وقد انجح الله جهوده – بواسطة علمه وتقواه لربه واخلاصه في عمله – أقول رآى النظارة في اسابيع العلم تلك ما يمجه الذوق السليم ، وينكره الضمير الحي ، وينبذه العقل الواعي ، وخاصة في اسبوع هذه السنة – من 16 أفريل 1973 الى 22 منه ، فقد مر الاسبوع معظمه – إن لم نقل كله – بسهراته في الرقص الخليع ، بل شاهد

النظارة حتى رقصة البالي – وهي كما يعرف الجميع من كشف وتهتك – وكان اسبوع هذه السنة أكثر خلاعة ومجونا من أسابيع السنوات الماضية ، ففيه تدرج الى ما لا يليق بالعلم ، وعلماء الدين بالخصوص .

فهل هذا وفاء وبرور بالعلم ، وعالم الجزائر العظيم ...؟؟؟ أوهو عقوق لهما من أقبح واشنع أنواع العقوق ؟وما هذا في الحقيقة الاتطبيق للنزعة الخرمية والاشتراكية الشيوعية ، التي تعمل – جاهدة – على تلهية الامة بشتى أنواع اللهو ، ولو كان لا يوافق طبيعة الامة والذوق السليم ، كما شاهد الجزائريون سنة (1967) حتى الفرق اليهودية الصهيونية (1) التي جيء بها للغرض نفسه ، وقد يكون ذلك في ليالي الشهر المبارك – شهر رمضان المعظم من المؤمنين – بعنوان – احياء ليالي رمضان – وهذا أمر غريب عن الشريعة الاسلامية ، فليالي رمضان انما يكون احياؤها بماجاء في شريعة الله ، لابماجاء في شريعة الشيطان ، فهؤلاء كما قال العالم الالماني : **(يريدون أن يجعلوا للطبيعة وللمرح مكانهما في الدين) .**

اللهم هب لنا عقولا مدركة صافية من كل ما يكدرها...

وبمناسبة الكلام على الفن وفرقه أقول :

إن الوقت الذى يقضيه المسلم في الاستماع الى هذه الفرق الفنية التي تبث في أوساطها مالا يليق بالمسلم سماعه وقت ضائع لاخير فيه، زيادة عن كونه يبعث في الناس الكسل – وخاصة الشبان – وما لايليق من الأخلاق ، والامة

---

(1) فقد جيء بالمغنى الصهيونى (جونى هاليدى) الى الجزائر وغنى واطرب عشاقه كما شاء واراد واثر فى المشاهدين له ، حتى بلغ الامر بالبعض .... الى ان ارتمى عليه ومزق له قميصه – كما ذكر المشاهدون – اعجابا به ، وليأخذ منه قطعة يحتفظ بها كعربون حب وولاء له ، والبعض مزق قميص نفسه كما بلغنا ، ولما رجع الى فرنسا شرع فى الدعاية الى برتقال اسرائيل .... فمتى ينتبه المسؤولون متى ؟؟ اما الصهيونى الآخر فهو (شارل انزيفور) فبعد ان خرج من الجزائر واخذ معه ما اخذ من المال صرح بأنه سيرسل ما عنده من المال الى اسرائيل .. هذه هى الوطنية الحقيقية والا فلا ..

التي تكثر منه و من فرقه لاتستطيع أن تواجه خصومها في ميادين الحياة والجد، لانها اضاعت أوقاتها في الهزل واللعب، ولربما يقضي ذلك عليها كأمة بين الامم فهل نسينا أن الفن والغناء هما العامل القوي الذى عجل بضياع الأندلس — الفردوس المفقود —؟ فقد كان الغناء وماجر اليه هو الشغل الشاغل للأمراء وقادة الجيوش وبيوت العظماء وذوى الثراء منهم ، فاشتغلوا به واعرضوا عن النظر في شؤون الدولة وشؤونهم ، وهم امام أعدائهم ، فلم ينتبهوا من سكر الفن حتى داهمهم الشر والعدو من كل جانب ، فالحياة حياة جد وعمل ، لا حياة هزل وكسل .

وكضياع الوقت بلا طائل ضياع المال الذى ينفق على الفن ، فهو مال ضائع اذ لافائدة تعود منه ، فلا يستفيد منه الاالمحترف له ، وقد صار الفنانون — وخاصة المغنون منهم — من أغنى طبقات الشعوب ، لما يملكون من عمارات وغيرها ، ولهم ارصدة مدخرة في المصارف ، وقد يبلغ كراء المقعد الواحد في حفلة غنائية مائة دينار جزائرى ،أي عشرة جنيهات أو أكثر ، وهذا يدل على السفه وسوء التدبير ، ولعل البعض منا لايعجبه هذا الكلام ، ويعده صادرا من رجل متاخر — حسبما يرى — ومع هذا فهو الحقيقة ، والحقيقة لا تخفى على أحد ، ولبعض المغنين تُطأطأُ الرؤس ، فقد رأيت مرة رئيس جمهورية ذهب الى المطار لملاقاة أحد المغنين المشهورين .

نعود — بفكرنا — لما تقدم لنري أن المذهب المزدكى — وماتفرع منه — ذلك المذهب الذى يحمل لاهله واتباعه كل أنواع الخزى والعار — لم يدع اليه ويحث عليه أى عاقل من البشر ، حتى الوثنيون ، فقد كانت عندهم أخلاق وعادات حسنة ، وغيرة وانفة على الحرمات ، فما هو الا مذهب من المذاهب الحيوانية البهيمية ، وقد بان مما ذكرناه هنا وفيما سبق — أن الشيوعية والاشتراكية اللتين انتشرتا — حديثا — انما هما تجديد وامتداد للمزدكية

(7) رأي أحمد أمين في مذهب مزدك

قال المرحوم أحمد أمين بعد أن نقل كلام ابن جرير الطبرى ، وما أمر به — مزدك — أتباعه مايلي : (فترى من هذا أن تعاليمه — يعني مزدك — اشتراكية من أسبق الاشتراكيات في العالم .) (1)

---

(1) فجر الاسلام ص 130 الطبعة الثانية .

(8) ما قاله المفكر الكبير العلامة ابن خلدون

وشبيه بهذا ماذكره العلامة ابن خلدون في تاريخه (كتاب العبر) حيث قال : (وصورة الخبر — يريد نزاع ملوك الفرس — أن مزدك الزنديق كان اباحيا ، وكان يقول باستباحة أموال الناس ، وانها فيء — أى غنيمة — وأنه ليس لاحد ملك شيء ولاحجزه ، (وهذا هو نفسه ما تدعو اليه الاشتراكية الشيوعية) ، والاشياء كلها ملك لله مشاع بين الناس، ولايختص به أحد دون أحد ، وهو لمن اختاره ، فعثر الناس منه على متابعة مزدك في هذا الاعتقاد) (1)

فظاهر من قول ابن خلدون (والاشياء كلها ملك لله مشاع بين الناس) ومما تقدم من قول الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) عند الكلام على مزدك والمزدكية وهو قوله : (فاحل النساء واباح الاموال ، وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء ، والنار ، والكلإ .) أن المزدكية هي نفس الشيوعية والاشتراكية اليوم فيما ترميان اليه من الحاد وكفر وزندقة وفجور ، واستيلاء على أموال الناس ، بدعوى ردها الى الفقراء ، وكما رأينا ذلك — ايضا — في كلام المؤرخ الالماني (فلهوزن) حيث قال : (ويروى أن الخرمية ، والراوندية ، قد جددوا الدعوة الى الشيوعية في النساء ، وهي الشيوعية التي كان مزدك قد دعا اليها من قبل .)

فهذه الفرق الاعجمية الضالة : المانوية ، والمزدكية ، والخرمية ، والراوندية وغيرها — كالشيوعية ، والاشتراكية — هي التي بلبلت أفكار ضعفاء العقول واصحاب المطامع والشهوات .

فبان من هذه الاقوال كلها أن (الشيوعية) و(الاشتراكية) اللتين ظهرتا في عصرنا هذاهما صنوان — اختان — لشيوعية واشتراكية (مزدك) المجوسي ، فالجميع من فصيلة واحدة كما قال القائل الحكيم :

(فإن لم تكنه أو يكنها فإنه   أخوها غذته أمه بلبانها)

بل — هما هي وهي هما — وان اختلفت أسماء هذه الاشتراكيات بحسب البلدان التي ابتليت بها وبحسب ما يناسب جو أهل البلد والوطن الذي طبقت فيه ، فكل بلد سماها ونعتها بما يوافق هواءها أو هواها ، كما تقدمت الإشارة اليه من قبل .

---

(1) كتاب العبر المجلد 2 ص 356 طبع ونشر دار الكتاب اللبناني .

فنرى وجه الشبه والاتفاق موجودا فيها كلها ، وخاصة في الملك الفردي الخاص ، وما عطف عليه مما يقبح التصريح به و التعرض له ، فمبدأ الجميع واحد – كل شيء على الشياع لا يختص به أحد دون آخر – ومن أجل هذا الحلم اللذيذ أقبل عليها الذين وجدوا في دعوتها ما يوافق أهواءهم وغرائزهم ، فاعتنقوها ودعوا اليها وهم يعلمون انها لا تتوافق ولا تتلاقى مع تعاليم الشرائع الالهية ، التي أنزلها الخالق العليم بحسب ما يصلح مخلوقاته ، فاعتنقوها واتخذوها دينا لهم ومذهبا ، بدلا من دين الله ، ومذهب الحق والعدل ، وأخذوا يزينونها ويزينون مبدأها للاغرار وضعفاء العقول ، وأرباب الأطماع والشهوات ، ويذيعون فيهم ذلك بواسطة أجهزة الإعلام الحكومية ، من شركات الأخبار ، والصحافة ، والإذاعة ، والتلفزة ، وغير ذلك من وسائل الإعلام .

وَقَدِيماً مَالأَ مَزْدكَ ضُعَفَاءُ الْعُقُولِ وَأَصْحَابُ الشَّهَوَاتِ وَالْكُسَالَى وَشِرَارُ النَّاسِ .

لهذا أحب الاستيلاء على أموال الناس ، أولئك الذين لم يستطيعوا أن يعملوا – كما عمل غيرهم – لمركب النقص الذي هو فيهم ، فلم يعملوا كما عمل غيرهم ، حتى يملكوا ما يعود عليهم بالنفع والفائدة ، فاتخذوا مذهب الشيوعية والاشتراكية وسيلة للاستحواذ على أموال الناس وأخذها ، وبعد ما تعب أصحابها ونصبوا في العمل والكد توصلوا إلى امتلاك شيء قد ينفعهم عند الحاجة اليه ، وقد كان استحواذهم عليها بواسطة التسلط بالقوة ، وبدون حق شرعي ، أو قانون عادل – تماما – كما فعل مزدك وأصحابه ، **ولو حاول محاول انتزاع كراسيهم منهم لقتلوه ...**

كما اتبع المزدكية – أيضا – ضعاف النفوس وشرار الناس من الفجرة والفسقة ، لأن شريعة الحق والعدل – شريعة الله – لا تبيح للناس أن يستبيحوا أعراض النساء ، ولا أن يأخذوا أموال الغير بغير رضاه وبدون موجب شرعي مقبول ، فكل من اتبع المذاهب والقوانين البشرية – مثل المزدكية القديمة والجديدة – وأعرض عن القوانين الدينية والشرعية فإنه إنما اتبعها وعمل بها من أجل شيء واحد لا غير ، هو مصلحته العاجلة وإشباع شهواته بواسطتها ، فراح يبحث عن شريعة الشيطان يتبعها ويدعو اليها ، لأنها

تعينه على بلوغ أغراضه ، فاعتنقها وشرع يزينها للناس ، بل ويحثهم على العمـل بهـا .

(9) ما قاله بروكلمان في المزدكية وأصلها وما تولد منها

ونضيف إلى ما سبق ما قاله العالم الألماني والمستشرق الكبير (كارل بروكلمان) في كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية" ما نصه : (وفي فترة الفوضى التي عقبت هزيمة الملك (فيروز) ومصرعه في المعركة التي خاضها ضد الهُون البيض(1) سنة 484م ظهر معلم ديني آخر هو (مزدك) الذي واصل فعل ماني من قبل النزعة (الغُنُوسِيَّةِ)(2) في إيران ، لكن تعاليمه أدت عند التطبيق إلى الاشتراكية في الزوجات والأموال ، وقد اعتنق الملك الجديد (قباذ) الأول مذهب مزدك سنة 488) .

وقال — أيضا — بعد الذي تقدم ذكره : (حتّى إذا خلفه ابنه كسرى الأول جعل "الزَّرَادُشْتِيَّةَ الرشيدة" مذهب الدولة الرسمي من جديد ، فخلع عليه كهّانها الشاكرون لصنيعه لقب (انوشروان) أي الروح الخالدة(3) .

فالعالم الألماني سمّى النحلة المزدكية "الاشتراكية في الزوجات والأموال" كما سبق لزميله (فلهوزن)، وهذان العالمان الألمانيان معروفان بالتحليل والتدقيق .

(10) ما قاله النويري في المزدكية وأصحابها ، وما فعله كسرى انوشروان بهم

ولزيادة التوضيح والبيان أو الدراسة التحليلية لهذا المذهب الباطل نورد هنا ما ذكره العلامة شهاب الدين (النويري) في كتابه "نهاية الارب في فنون الأدب) عند كلامه على ملك انوشروان وابطاله لملة (زَرَادُشْتَ) الثاني ومزدك ما يلي : (وكان أول ما بدأ به أن أبطل ملة (زَرَادُشْتَ) الثاني الذي كان من

---

(1) الهون : اصلهم من شعب صينى او مغولى الاصل ، خرج من بلاد قزوين فى منتصف القرن الخامس وطغى على اوربا واجتاح بلاد غوليا تحت قيادة ملكه أتيلا . (منجد العلوم) ص 558 .

(2) الغنوسية : مذهب دينى فلسفى ، يرى ان المادة اشبه بسجن زجت فيه الروح (منجد العلوم) ص 373 .

(3) تاريخ الشعوب الاسلامية ج 1 ص 108 — 109 ، الطبعة الثانية — دار العلم للملايين .

أهل (فَسَا) ، وابطل ملة المزدكية ، وقتل على ذلك خلقا كثيرا وسفك من الدماء بسبب أبطال هذين المذهبين ما لا يحصى كثرة ،وقتل قوما من المانوية)(1)

وزاد النويري بعد الذي تقدم ذكره بقليل قوله : (وأما تدبيره – يعني به انوشروان – في أمر المزدكية وإبطال ما فعلوه ، فإنه ضرب أعناق رؤسائهم وقسّم أموالهم في أهل الحاجة ، وقتل جماعة كثيرة ممن عرَفَ من الذين كانوا يدخلون على الناس في بيوتهم ، ويشاركونهم في أموالهم وأهاليهم ، ورد الأموال إلى أربابها ، وأمر بكل مولود اُخْتُلِفَ فيه ان يُلحَقَ بمن هو في سيمائه ، وأمر بكل امرأة غُلِبَ عليها أن يؤخذ الغالب عليها حتى يغرم لها مهر مثلها ، ثم تخير المرأة بين البقاء عنده وبين تزويج غيره ، إلا أن يكون لها زوج أول فترد اليه ، وأمر بكل من أضر برجل في ماله ، أو ظلمه أن يؤخذ منه الحق ، ويعاقب الظالم بعد ذلك بقدر جرمه)(2) .

وكان النويري قد ذكر قبل هذا كلاما يشبه في معناه ما قاله المؤرخ ابن جرير الطبري ، مع شيء من التفصيل نورده هنا : (وفي أيام قباذ ظهر مزدق ويقال فيه، مزدك ، وتفسيره حديد الملك ، واليه تنسب المزدكية ، ويقال لهم "الْعَدْلِيَّةُ" وقال : إن الله تعالى إنما جعل الأرزاق في الأرض مبسوطة ـ لِيَقَسَّمَهَا عباده بينهم بالسوية ، ولكن الناس يظلمون ، واستأثر بعضهم على بعض ، فانضم اليه جماعة وقالوا : نحن نقسّم بين الناس بالسوية ، ونرد على الفقراء حقوقهم من الأغنياء ، ومن عنده فضل من المال ، والقوت ، والنساء ، والمتاع وغير ذلك فليس هو له ، ولا أولى به من غيره ، فافترص السّفلةُ ذلك واغتنموه واتبعوا مزدك وأصحابه ، فقوي أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على ما فيها من ماله ونسائه ، ولا يستطيع أن يردهم عنه ولا يدافعهم ، ورآي الملك قُباذُ رَأيَ مزدك وأصحابه وتابعهم ، فازداد قوة ، فلم يلبث الناس إلا قليلا حتى صار الأب لا يعرف ولده ، ولا الولد يعرف والده ، ولا يملك أحد شيئا ، وصيرت العدلية قباذ في مكان لا يصل اليه غيرهم ، فاجتمعت الفرس على خلع قباذ من الملك ، ففعلوا ذلك)(3) .

---

(1) المانوية كالمزدكية ، مذهب منسوب الى مانى بن فاتك المجوسى .
(2) نهاية الارب ج 15 ص 191 .
(3) المصدر السابق ص 188 طبع دار الكتب .

في هذا الكلام تفصيل لأعمال فرقة المجرمين (المزدكية) ولما لاقته من جزاء عادل – لأنها سمت نفسها العدليّة – على إجرامها ، استأصلها وقطع دابرها واقتلع عروق شجرتها الخبيثة ، هذه الفرقة التي ابتليت بها أمة الفرس ذات التاريخ القديم والحضارة الاصيلة ، وذلك في الربع الأخير من القرن الخامس من ميلاد المسيح عليه السلام ، كما مرت الإشارة اليه سابقا ، ومن الغريب المضحك انها نسبت نفسها للعدل وهي الظالمة ، فالأسماء لا تغطي الأفعال ، إذا كانت الأفعال تخالف الأسماء ، فالاعتداء على الناس في أموالهم وأعراضهم لا يسمى عدلا .

(11) ما قاله ابن نباتة المصري في هذه الفرقة الشريرة

وذكر ابن نباتة المصري في شرحه المسمى "سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون" عند الكلام على كسرى ، وعند قول ابن زيدون : (وَكِسْرَى حَمَلَ غَاشِيَتَكَ) قال : (إن هذا الإسم لقب لملك الفرس ، والمراد هنا كسرى انوشروان ، فإنه أشهر ملوك الفرس ، وأحسنهم سيرة وأخبارا ، وهو كسرى انوشروان بن قباذ بن فيروز ، وفي أيامه ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : (ولدت في زمن الملك العادل)(1) يعني كسرى ، وكان ملكا جليلا محببا للرعايا تام التدبير ، فتح الأمصار العظيمة في الشرق ، واطاعه الملوك، وتزوج ابنة خاقان ملك الترك، وقتل مزدك واصحابه، وذلك أن أباه قباذ قد بايع رجلا زنديقا يسمى مزدك ، أحدث مقالات في إباحة الفروج والأموال ، وقال : إنما الناس فيها سواء ، وكان لا يسفك الدم . ولا يأكل اللحم ، وانه دخل يوما على قباذ وعنده زوجته أم كسرى انوشروان ، وكانت من أحسن النساء ، وعليها حلي عظيم . فأعجبته . فقال لقباذ : إني أريد أن أنكحها ، لأن في صلبي نبيا يكون منها . فأطاعه قباذ – لقوله بمقالته – فلما همّ مزدك بها – وكان كسرى صغيرا – قبّل قدميه وتضرع له في أن لا يفعل ، فوهبها له . فأول ما ولي كسرى بعد موت أبيه قتل مزدك وأصحابه . فعظم في أعين الفرس(2) .

(1) هذا الحديث الذى اورده ابن نباتة غير معروف ، ولم اجده فى مظانه بعد البحث الكثير عنه .

(2) سرح العيون المطبوع على هامش شرح لامية العجم للصفدى ج 1 ص 49 – 50 .

إن هذا الملك العظيم (كسرى انوشروان) قد أظهر من حسن التدبير والعدل في سياسة الملك ما جعله محبوبا عند أمته – زيادة عما فعله بالمزدكية المفسدة – وصار يضرب بعدله الامثال – وإن كان مشركا – وفي هذه القصة التي أقصها هنا ما يؤيد ذلك :

جاء في كتاب "مروج الذهب" للمسعودي عند الكلام على ملك انوشروان الملك العادل قوله : (وانصرف انوشروان إلى العراق ، ووفدت عليه رسل الملوك وهداياها والوفود من الممالك ، وكان فيمن وفد اليه رسول لملك الروم قيصر بهدايا وألطاف ، فنظر الرسول إلى إيوانه(1) وحسن بنيانه ، واعوجاج في ميدانه ، فقال : كان يحتاج هذا الصحن أن يكون مربعا ، فقيل له : إن عجوزا لها منزل من جانب الاعوجاج منه ، وإن الملك أرادها على بيعه وأرغبها فأبت . فلم يكرهها الملك وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى ، فقال الرومي : هذا الاعوجاج الآن أحسن من الاستواء...)(2) .

فرسول قيصر ملك الروم أعجبه عدل الملك ، وفضله على استواء الميدان لو أخذ الملك دار العجوز منها بالغصب والقوة – وهو قادر على ذلك – ولكنه العدل . والعدل وحده هو الذي وقف بينه وبين الظلم .

سقت هذه القصة لنرى من خلالها عدل الملوك في الازمنة الغابرة .

(12) ما قاله الملك المؤيد في المزدكية ، وكيف لقيت جزاءها

وفيما ذكره الملك المؤيد أبو الفداء زيادة بيان لاعمال هذه الفرقة الخاسرة، فقد ذكر في تاريخه المسمى : "المختصر في أخبار البشر" عند كلامه على ملوك الفرس ما يلي : (وفي أيام قباذ المذكور ظهر مزدك الزنديق ، وادعى النبوة . وأمر الناس بالتساوي في الاموال . وأن يشتركوا في النساء لانهم إخوة لاب وأم – آدم وحواء – ودخل قباذ في دينه . فهلك الناس وعظم ذلك عليهم . وأجمعوا على خلع قباذ . وخلعوه) . ثم زاد أبو الفداء الموضوع بسطة على ما تقدم ذكره فقال : (ثم ملك بعد قباذ ابنه انوشروان

---

(1) الايوان مكان جلوس كسرى فى قصره .
(2) مروج الذهب ج 1 ص 264 .

ابن قباذ بن فيروز) ثم استرسل في سرد النسب إلى أن قال : (وملك انوشروان ثمانيا وأربعين سِنة ، ولما تولى الملك كان صغيرا ، فلما استقل بالملكِ وجلس على السرير قال لخوَاصّه : إني عاهدت الله — إن صار الملك إِليَّ — على أمرين : أحدهما أني أعيد آل المنذر إلى الحيرة ، وأطرد الحارث عنها ، وأما الامر الثاني فهو قتل المزدكية الذين أباحوا نساء الناس وأموالهم ، وجعلوهم مشتركين في ذلك ، بحيث لا يختَصُّ أحد بامرأة ولا بمال ، حتّى اختلط أجناس اللؤماء بعناصر الكرماء ، وتسهيل سبيل العاهرات إلى قضاء نهمتهن ، واتصلت السفلة(1) إلى النساء الكرائم التي ما كان أولئك يتجاسرون على أن يملأوا أعينهم منهن إذا رأوهن في الطريق ، فقال له مزدك — وهو قائم إلى جنب السرير — : هل تستطيع أن تقتل الناس جميعا ؟ هذا فساد في الارض ، والله ولاك لتصلح لا لتفسد... فقال له انوشروان : يا ابن الخبيثة أتذكرُ وقد سألت قباذ أن يأذن لك في المبيت عند أمّي فأذن لك ؟ فمضيت نحو حجرتها فلحقت بك وقبّلت رجلك ، وإن نتن جواربك ما زال في أنفي منذ ذلك إلى الآن ، وسألتك حتّى وهبتها لي ورجعت ؟؟ قال : نعم...) .

الفصل الثاني :

انوشروان يأمر بقتل مزدك وإحراق جثته ، ثم يتبعه بقتل أصحابه

(فأمر حينئذ انوشروان بقتل مزدك ، فقتل بين يديه ، وأحرقت جيفته ، ونادى بإباحة دماء المزدكية ، فقتل منهم في ذلك اليوم عالم كثير ، وأباح دماء المانوية أيضا ، فقتل منهم خلقا كثيرا) إلى أن قال مبينا ذلك : (وقسّم أموال المزدكية على الفقراء ، ورد الاموال التي لها أصحاب إلى أصحابها ، وكل مولود اخْتُلِفَ فيه أَلْحَقَهُ بِالشَّبَهِ ، وإن كان ولدا للمزدكية المقتولة جعله عبدا لزوج المرأة التي حبلت به من المزدكية ، وأمر بكل امرأة غُلِبَتْ على نفسها أن تُعْطَى من مال المزدكي الذي غلبها بقدر مهرها ، وأمر بنساء المعروفين اللائي مات من يقوم عليهن ، أو تبرأ منهن أهلهن لفرط الغيرة والانفة أن يجعلن في موضع أفرده لهن وأجرى عليهن ما يَمُونُهُنَّ

(1) السفلة : هم اراذل الناس وسفهاؤهم .

من مال كسرى ، وكذلك فعل بالبنات اللائي لم يوجد لهن أب ، وأما البنون الذين لم يوجد لهم أب فأضافهم إلى مماليكه ، ورد المنذر إلى الحيرة وطرد الحارث عنها)(1) .

فبان جليا مما ذكره المؤرخون الثقات أن هذه الشرذمة الشيطانية وعلى رأسها (زعيمها مزدك) كانت غاية ما تدعو اليه استباحة النساء والاموال ، لتنال من وراء ذلك ما تشتهيه ، وحتى امرأة الملك قباذ لم تسلم من شرهم لولا تدخل ابنها الطفل (انوشروان) وتوسله إلى مزدك واحتياله عليه حتى صرفه عنها — لوقع لها مثل ما وقع لغيرها من النساء — ولهذا لمّا تمكّن منه (انوشروان) بعد أن صار ملكا ومصلحا عظيما انتقم منه وقتله شر قتلة ، وأحرق جثته المدنسة بالخزي والعار .

وبعد أن مرت بنا أسماء عدد من فرق ونحل ألاحظ هنا ان هذه الفرق والنحل الشيطانية كان — ولا زال — المقصود منها هو صرف الناس عن شرائع الله ، ودعوتهم إلى اتباع وساوس الشيطان وأعوانه ، فأصحاب هذه النحل دعاة للشيطان واعوان له على اضلال الناس عن شرائع الله — الشرائع السماوية — فهم كما قال الله — محذرا منهم : «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ ٱلإِنْسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ»(2).

الفصل الثالث : وقفة هاهنا للتأمّل والاعتبار

لنقف هنا دقيقة للتأمل والتفكير — لا دقيقة صمت للترحم على أرواح الشهداء — ولكن للتأمل جيدا فيما ذكره المؤرخ الملك المؤيد (أبو الفداء) وغيره ممن قصوا علينا أخبار وحوادث مزدك والمزدكية من أولها إلى آخرها ، وكيف كانت نتائجها وعواقبها ، ومبلغ الاثر السيء الذي أحدثته في المجتمع الفارسي في ذلك الزمان ، والذي امتد أثره إلى وقتنا هذا

وقد أكثرت من عرض ونقل أقوال المؤرخين — بالقصد — على ما فيها

(1) المختصر المذكور ج 1 ص 66 — 67 طبع واصدار دارى الفكر — والبحار .
(2) سورة الانعام الآية 112 .

من اتفاق في البعض ، وتشابه في البعض الآخر ، وتباين في غيرهما — وطول أيضا — فعلت ذلك ليزداد الموضوع توضيحا ومعرفة ، وكل المؤرخين متفقون على ما أحدثه (مزدك) في المجتمع الفارسي من الشر والفساد والظلم بذلك المذهب الإباحي الفوضوي ، ويكفي للحكم على مذهبه ، هذه النتائج التي لا يُحمدُ صاحبها ، ولا يشرف بها ، بل لا يذكر إلا بالخزي والعار ، متبوعا باللعنات .

ومثل تلك الآثار السيئة التي أوجدها المذهب المزدكي في المجتمع الفارسي مثل الاباحية ، والغصب ، والظلم الخ مثلها ما أحدثته الاشتراكية والشيوعية في البلدان التي ابتليت بهما ، فقد كثر فيها الظلم والفواحش بجميع أنواعهما ، وخنق الحريات في الدعوة إلى الخير ومحاربة الشر ، وإعطاء الحرية التامة لكل من يعمل الشر أو يعين عليه ، وكثر الاولاد اللقطاء نتيجة لاختلاط الرجال بالنساء بدعوى التقدمية ، والتحرر ، والانعتاق الخ حتى وصلت النتائج إلى ما قاله كسرى انوشروان : (حتى اختلط أجناس اللؤماء بعناصر الكرماء ، واتصلت السِّفْلَةُ إلى النساء الكرائم التي ما كان أولئك يتجاسرون على أن يملأوا أعينهم منهن إذا رأوهن في الطريق الخ) وخرجت المرأة إلى الشوارع — بما زينوه لها — لملاقاة من تحب ومحادثة من تريد ، أو للعمل في الإدارات وفي غيرها ، وفي هذا يكمن الشر والفساد — فساد المجتمع — حتى صار بنات ونساء بعض الاغنياء ، وبعض من ينسبون للعلم والدين عاملات في المتاجر والإدارات ، وهن في غير حاجة إلى العمل بما أعطاه الله لآبائهن وأزواجهن ، ولكنه حب الكسب للمال وغيره ، وصارت البنت أو المرأة التي لا تعمل في الإدارة كأنها غير حية ، فذهب الشرف ، والمروءة والعفاف ، والحياء ، والامر لله من قبل ومن بعد .

نرجع إلى ما جاء في العنوان فنقول : إن الجدير — حقيقة — بالملاحظة والاهتمام هو موقف الملك كسرى انوشروان بن الملك قباذ ، ذلكم المصلح العظيم الذي أنقذ البلاد والشرف الإنساني ، والكرامة الآدمية — بموقفه الحازم ويقظته الفريدة — من ذلكم الخطر العظيم الذي نزل بالامة الفارسية ، فقضى على المزدكية الخبيثة التي ضعف عنها أبوه قباذ بن فيروز ، فوقف هو تجاهها موقفه الحازم الذي يدل على شجاعة قوية ، وروح نقية ، وهمّة أبيّة ، فقد خلد له التاريخ ذكرا جميلا ، لا يمحى أبد الآبدين بمواقفه

الجريئة في قضائه على الفساد والمفسدين ، بقدر ما سجل التاريخ على (مزدك) وجماعته صفحة سوداء مدنّسة بما لا يصدر إلا من الاشرار ، والاوباش ، والانـذال واللقطـاء .

وهكذا يجب أن يكون المسؤول الكبير ، الذي بيده تصريف الامور ، حزم ، وشجاعة ، وطهر ، وإخلاص ، وقوة ، حتّى يبعد الشرور والاخطار عن الامة والوطن ، سواء أكان هذا المسؤول ملكا ، أو رئيسا ، أو أميرا ، أو وزيرا ، فإن لم يفعل مثل ما فعل (كسرى) انوشروان فقد أعان بسكوته أو ضعفه – أمام المفسدين – على ازدياد وامتداد الشرور والمفاسد ، وكيف يكون حال الامة إذا كان واحد من الكبار المذكورين آنفا شريكا أو نصيرا للأشـرار والمفسديـن...؟؟

فليتق الله – الذي لا تخفى عليه خافية – بعض المسؤولين من عقبى المآل ، ولقد أحسن الشاعر في قوله :

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلى بأظلم

فإذا اندلعت النار في دار أو غيرها فإخمادها لا يكون بالوسائل الهيّنة ، كالنفث بالشفاه أو غيره من الوسائل الضعيفة ، بل لا بد لإطفائها – بسرعة – من الوسائل القوية الفعالة ، كالمياه الغزيرة والعقاقير المطفئة للهب ، فإذا وجدت النار عند شبوبها واشتعالها الحزم والحرص والقوة انطفأت واستراح الناس من ويلاتها ، وإلا ازدادت وامتدت واتسعت رقعتها مع هبوب الرياح عليها ، حتّى تصل إلى الاماكن الاخرى البعيدة عن محل شبوبها وانـدلاعهـا .

والخبائث والشرور كالنار تماما ، فإذا كانت الهيئة الحاكمة في البلاد طاهرة تحب الطهر ، شريفة تحافظ على الشرف ، فإنها لا تطمئن على حياة الامة المسؤولة عنها إلا بالقضاء على أصل الخبائث ومادتها التي تمدها بوسائل الحياة والقوة والبقاء ، إذ هي منبع الشر والفساد .

وبالعكس من هذا فإذا ضعفت عن القضاء عليها ، أو أهملتها وسكتت عنها فإن آثامها تزداد ، وتتسع مساحتها ، ويصعب بعد هذا القضاء عليها كالمرض إذا لم يعالج في أول ظهوره فإن خطره يزداد ، ولربما يقضي على المريض في النهـاية .

فليتأمل في هذا القادة المصلحون ، وليفكر فيه الزعماء المخلصون ، وليتعظ بحوادث الزمن الغافلون ، فمن لم يتعظ بما وقع لغيره ، ويترك سبيل الغرور — غرور النفس وخداعها — فهو من الغافلين الضائعين .

ذكرت ما قاله المؤرخون — على مافيه من طول — كي أوضح ما بين المزدكية القديمة والمزدكية الجديدة — الممثلة في دعوة الشيوعية والاشتراكية — من تشابه قوي والتحام متين في : الدعوة ، والاعمال ، والنتائج ، وإن اختلفت القاب الجميع ، ذلك أن المقصود واحد ، والهدف ظاهر — وهو القضاء على الدين والخلق الكريم — وهذا من أهم ما تحمله الشيوعية والاشتراكية في وطابيهما للأمم التي ساقها سوء طالعها اليها ، فإنها حملت اليها الإلحاد والفوضى الخلقية ، مضافا إلى ذلك الرذائل والنقائص بدون استثناء ، والمشاهد في الاوطان الاشتراكية أكبر دليل وأقوى حجة لما قلناه .

مادة الشيوعية والاشتراكية اللغوية

فالشيوعية أصلها من مادة —شيع—و—شاع— ومن معاني هذه المادة الذيوع وعدم القسمة أو التعيين وعدم الاختصاص بالشيء ، وكذلك شقيقتها الاشتراكية ، فإنها تزيل الاختصاص وتفرض الاشتراك ، ف(الشيوعية والاشتراكية) فرعان لاصل واحد قديم — كما علمناه سابقا — وهو المزدكية ، وفي الاشتراكية من مادة الشرك حروفه كما قيل .

فهل ما نراه في هذا العصر نذير ينذر وينادي بأن (المزدكية) ستظهر إلى الوجود مرة أخرى بواسطة هذين المذهبين ، متسترة باسميهما ؟ فالدعوة لهما بشتى الوسائل ، وافساح المجال لنشرهما ، وانتشارهما حجة قوية على ذلك ، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا مهما طرز الخطاب ، وشرح الاسباب ، وفتح الأبواب .

رأي الاشتراكية والشيوعية في خلاص العالم من الفقر والظلم

يقول دعاة هذين المذهبين الإلحاديين : إن خلاص البشرية — في رأيهم الفاسد وتفكيرهم الباطل — مما تتخبط فيه من شقاء وتعاسة ، وتفاوت في الاموال والارزاق والمعيشة الخ إنما يكون بهما لا بسواهما من شرائع الله ،

فانخدع بهذه الدعاوة الكاذبة المضللة بعض البسطاء الذين ليس لهم تفكير سليم يقيهم من الوقوع في مثل هذا الضلال المبين ، أما من بصره الله بعواقب الامور ونتائجها فنور قلبه بنور الإيمان ، فإنه لم ينخدع بها ، فسخر وضحك من دعوة إبليس وأعوانه ، فرمى بها إلى مكان سحيق .

المعتبر إنما هو الأعمال لا الأقوال

والمعتبر عند ذوي العقول السليمة هو أعمال العباد لا أقوالهم ، فالاعمال واحدة في هذه النزعات الثلاث ، وهو إرضاء شهوات النفس التي لم تجد لها طريقا في شرائع الله ، إذ لم ترخص لها في الفواحش والمناكر وفي هذه النزعات — أيضا — العمل على القضاء — تدريجيا — على تلك الشرائع ، فما ينتبه الناس إلا وقد ذهبت من الارض ، وامّحت — عمليا — وما بقي منها — ظاهرا — فهو لاحق بالذي ذهب ، إذن فالمهم في كل شيء إنما هو الاعمال لا الاقوال .

دموع صياد العصافير

ذكر علماء التربية أن أحد صيادى العصافير قد اصطاد عصفورين ، فكسر أجنحتهما وأدخلهما في قفص أعده لذلك ، فهبت ريح حملت معها ترابا فدخل في عيني الصياد شيء منه ، فاخذت عيناه تدمعان ، فقال أحد العصفورين لصاحبه إن صائدنا رجل رقيق القلب رخيم ... فرد عليه رفيقه قائلا : وما الذي دلك على رقة قلبه ورحمته بنا ؟ فأجابه رفيقه : انظر الى عينيه فإنهما تذرفان الدموع وما ذلك الاشفقة علينا ورحمة بنا مما اصابنا من كسر اجنحتنا التي بها نطير ، فرد عليه رفيقه بهذا الرد الواقعى البليغ : (يارفيقي... لاتنظر الى دموع عينيه... ولكن انظر الى عمل يديه .)

فكم ، وكم من مرة سمعنا بعض المسؤولين ينوهون بالدين ويشيدون بفضائله — عند الحاجة الى سلطانه — ولكن سرعان ما تذهب تلك الكلمات مع الريح التي حملتها ، ويعقب ذلك أعمال لامصلحة للدين فيها ، ولا للفضائل المنوه عنها .

الباب الثالث

الفصل الأول :

الشرائع السماوية وسعادة البشرية

إن الشرائع الالهية أنزلت لاسعاد البشرية ، والسيربها في طريق الحق والخير والفضيلة . فهي تمنع الخبث والكذب والبهتان وكل ما لا يليق ، وتشدد في ذلك المنع . كما تحرم أكل أموال الناس بالباطل والظلم والعدوان ، وتعاقب على ذلك باقسى العقوبات ، حتى يتطهر المجتمع من الفساد والظلم ، فالاسلام – دين – جاء في الوقت الذى فسدت فيه المجتمعات الانسانية،بامثال المزدكية والمانوية وغيرهما من النحل المضللة للعباد ، فتطهر به المجتمع الانساني من ذلكم الشر والفساد والالحاد .

إن الشرائع السماوية تمنع ذلك ولاتبيحه ابدا ، لانه شر عظيم وفساد كبير في الارض . فكل من دعا الى ما دعت اليه المزدكية أو عمل على اعادتها متسترة بستار غيرها من استباحة أموال الناس ونسائهم ، فهو منها وعلى مذهبها ، وناشر لعظامها البالية ، ولمخازيها الماضية ، وإن لم يعلن عن نفسه أنه مزدكي وذلك ما نرى بوادره ومقدماته تظهر في هذا الزمن – زمن العجائب والغرائب – بين الحين والآخر . فقد شاهد العقلاء وسمعوا – متالمين – ما اصاب الخلق الطيب من تدهور وسقوط الى حضيض الحيوانية البهيمية ، من اباحية مكشوفة، ودعاية لها منظمة،مع احتضان ورعاية البعض لها ممن لهم الكلمة المسموعة والنافذة ، فسخرلها ماتحت يده وتصرفه من وسائل ، وحاول أن يمنع من كشف أمرها ، وازاح القناع عنها ورفع الغطاء عن وجهها ، وعن مخازيها المستورة بستار التقدم ، والحرية – بلا حدود – ومسايرة الزمن ، الى غير هذا من العناوين التي أعطيت للمزدكية العصرية ، حتى لا يتضح أمرها ، وينكشف للأبْله مستورها ، ويهتك حجابها الخادع .

إن الامة العربية المسلمة لها من ماضيها المشرق الذى اناره وبيضه الاسلام العظيم ـ ما يكفيها ويسد حاجتها عن كل تشريع كيفما كان مصدره ومغزاه ، فهي غنية بنظام الاسلام ودقته ، لذلك فهي ليست في حاجة الى ان تجلب من خارج حدودها مذاهب لاتشبه ما عندها ـ بل تخالفها تماما ـ من نظم وقوانين اسلامية محكمة ، بل تحارب هذه القوانين الاسلام ونظمه في بلده وفوق تراب أرضه .

الفصل الثاني : ما نتج عن توريد المباديء الأجنبية الهدامة

وقد نتج عن استيراد النظم الاجنبية ـ سواء أكانت شيوعية أوغيرها بواسطة عملائها ـ نتج تحول عن ماض مجيد الى حاضر سيئي ، أوالى مستقبل أسوأ .

فقد رآى الناس المدركون للواقع الهوّة السحيقة التي انحدرت اليها الاخلاق الفاضلة ، فصارت الاعراض تستباح بعناوين براقة ، خلابة للالباب ، مثل التطور العصرى ، ولحوق الركب الحضارى ، وترك الجمود والجامدين ، والتحول الاجتماعي ، والقضاء على التخلف ، والانعتاق ، الى آخر ما سمعناه ، ولازلنا نسمعه ـ دوما ـ من أفواه الابواق المرددة له والداعية الى ذلك فهي أقوال حلوة في الظاهر مرة في الباطن ، وقالوا عنها إنها أفكار ـ تحررية ـ فقد تحررت من الدين والاخلاق الفاضلة التي جاء بها الاسلام ، كما هي ايضا خلق الشرائع السماوية السابقة ، فهي تحررت ـ في زعمها ـ من الدين ، ووقعت في أسر وعبودية الشيطان والشهوات ، وما هذه الدعاية في الواقع الامثل السم يوضع في الدسم ليسهل ابتلاعه ، ومن وراء ذلك كله تكمن الحقيقة ، وتختفي النفوس المريضة الشريرة المدنسة بدنس الالحاد والزندقة ، فنتج من ذلك كله الفوضى ، والنفاق ، والخبائث والكفر بالدين ، وبالماضي ،ونكران لجهاد الجدود ، وغير ذلك ..

هذه هي النتيجة الحاصلة من توريد المذاهب والنزعات الهدامة ، كفران بالماضي ، وقطع الصلة بتاريخ الجدود النيّر .

الفصل الثالث : الصحافة تنشر ما يساعد على بعث المزدكية

ومن البلايا أن بعض الصحف تنشر ما يساعد على فساد الاخلاق ، ويدعو

الى المذهب المزدكى بالآراء والصور القبيحة ــ بلا مراقبة عليها ــ كصور الفرق الرياضية للاناث على اوضاع لاتقرها الآداب العرفية والاخلاق الحسنة ، ولا القوانين الانسانية العادلة ، يسود بياضها بعض الصبيان الاغرار الذين اسموا انفسهم ــ صحافيين ــ وماأنزلهم هذا المنزل الاقلة خبرتهم بما يكون عليه الصحفي الواعي لمسؤوليته ، يضاف الى ذلك الطمع ، مع التشجيع المطلق ، والترغيب الكامل ، بماكتبوا ولو كذبوا على الحقيقة والواقع .

على حساب من ياترى كل هذا؟ ومن هو الفائز المجلّى في حلبة السباق ..؟ لا ريب أنه الشيطان عدو الانسان ، فقد وجد في هؤلاء الاعوان ضالته المنشودة ، فهم دعاة له مخلصون ، أراحوه من عناء الاغراءوالوسوسة ، فجلس بعيدا ــ مرتاحا ــ قرير العين بعمل هؤلاء الاعوان المتطوعين الصادقين .

إن الصحفي الحرى بهذا اللقب هو ذلك الذى اذا كتب حرر وما غرر ، يفخر ويعتز بمهنته ، فهو لايكتب الا عن يقين وصدق ،وهويعرف أن هذه المهنة تعلو بصاحبها الى أسمى وأعلى منازل العظماء الذين بذلوا حياتهم في تنوير عقول قارئيها ، فحازوا بذلك ثناء القراء واعجابهم بافكارهم النيرة وأقلامهم الحرة النزيهة، اذا كتبوا درسوا الموضوع درسا وافيا، بعيدا عن الاغراض الرخيصة والمطامع الخسيسة ، لا يكتبون الا للحقيقة ، لعلمهم بان وراء ما يكتبون قراء نقادا ، لم يكونوا من الغباوة والبلاهة بحيث يصدقون بالكذب ويؤمنون بالبهتان

فهل عندنا صحافيون من هذا الطراز...؟؟؟

وبالعكس من ذلك ، تنزل مهنة الصحافة ببعض أصحابها الى دركات الهوان فيذهب ما يسودونه بذهاب وقته ، لايؤثر ولايفيد الا بقدر ما يناله الكاتب من أجر حقير لقاء ما قدم، وهذا راجع الى الاحساس بالكرامة المهنية وعزة النفس الانسانية .

هو ــ ايضا ــ ذلك الصحافي الذى يعلم أن مَرْكبَ الصحافة مركب صعب وخطير ، غير مذلل الا للفرسان القادرين على ركوب متنها ــ وهو ايضا ــ يعرف أن الصحافة منزلتها منزلة الملك المتوج ، فهي تامر وتنهى ، وتولي وتعزل ، كما نعلت ــ اخيرا ــ برئيس الولايات المتحدة (نيكسون) فقد حملت عليه حملة شديدة وفضحته فضيحة منكرة ولم تسكت عنه حتى أنزلته من فوق

كرسيه وهو ذليل ، وتحكم وتنفذ حكمها — تماما — كالملوك العادلين في أحكامهم ، وقديما لقبت ب(صاحبة الجلالة) — وكفى — فهل يعرف هذا—أيضا هؤلاء الصحافيون الاغرار المحترفون ..؟؟

إن الصحفي الحر النزيه لايرضى أن يكون أجيرا لاحد، وأكثر صحافيينا أجراء لادارة الصحيفة ، فهم لا يكتبون الامايرضي ادارة الصحيفة ومن كان وراءها .

واني أذكر — هنا وبهذه المناسبة — كلمة كان قالها زعيم مصر العظيم المرحوم سعد زغلول — يوم كانت الصحافة حرة ونزيهة ، وكانت الصحافة المصرية — فيما أذكر— تكتبها — فيما مضى من الزمن — بحروف بارزة تحت اسم الصحيفة كشعارلها ولمهمتها العظيمة ، وهذه الكلمة هي :(الصحافة حرة ، تقول في حدود القانون ما تشاء وتنتقد من تريد ، فليس من الرأى أن نسالها : لم تنتقدنا ؟ بل الواجب أن نسأل أنفسنا لم نفعل ما تنتقدنا عليه ؟)

هذه كلمة مسؤول عظيم ، وزعيم كبير ، قالها يوم كانت الصحافة حرة يملكها الافراد — لاالحكومات — ينورون بواسطتها الراى العام والحكومات ، حتى يكون الجميع على علم بما يجرى فوق تراب الوطن ،وفي العالم كله ، هذه هي الحقيقة التي يجب الاتخفى على من وضع نفسه موضع من تقدمت صفته من ذوى الراى الناضج ، والفكر النير ، والا كانوا كمن قال فيهم القائل القديم :

اما الخيام فانها كخيامهم وارى(1) رجال الحي غيررجاله

او قوله الآخر :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

الفصل الرابع : الصحافة وحماة الدين

إذا ما هب حماة الإسلام والاخلاق الكريمة ينكرون الإلحاد الذي رفع رأسه وصوته ، ويدافعون عن العقيدة والفضيلة المهانة ، والكرامة المداسة ،

(1) وفى بعض الروايات : وارى نساء الحى غير نسائها .

قام – إخوان مزدك – من أبناء هذا العصر وأشياعه وقعدوا رافعين أصواتهم بواسطة أبواقهم وأقلامهم الرخيصة ، منكرين على المنكرين – أنصار الاسلام – دفاعهم عن الفضيلة وعن خلق الحياء الذي قضت عليه – ولم يبق إلا في قلة من المؤمنين – هذه العقائد الزائغة والزائفة الواردة علينا من شعوب لا تدين بديننا ولا تتخلق بأخلاقنا .

فقد كتبت بعض الصحف تنعت المدافعين عن الإسلام واخلاق الاسلام بما لا يتفق والحقيقة، فكتبت تحت عنوان : **(المراؤون)(1)**، والعنوان لرواية – هزلية مسرحية – للكاتب الفرنسي (موليير) ،وسبب ذلك أني تكلمت في خطبة الجمعة، وفي جامع "كتشاوة" يوم الجمعة 5 نوفمبر 1965م لما شاهدت العرض الذي جرى في الجزائر يوم أول نوفمبر 1965 بمناسبة ذكرى ثورة نوفمبر 1954 ، ذلك العرض الذي شاهدناه بواسطة التلفزة والذي لا ننكر ما شاهدناه فيه من قوة الجيش ونظامه ووفرة السلاح ، وأعجبنا به كثير الإعجاب – وقد نوهت بهذا في نفس الخطبة – ولكن الذي أنكرناه – ودعونا إلى إبطاله – هو زج الفتيات وسط ذلك العرض بثياب فاضحة – لا تغطي من الجسم إلا قليلا – فالفتاة التي تلبس (التبّان)(2) وتظهر به أمام حشود وافرة جاءت من جميع الاوطان لتمثل دولها في هذا الحفل الوطني ، أمر لا ينبغي السكوت عنه والرضى به وبفعله ، فهل يتوجه اللوم هنا على مُنكر المُنكر ؟ لا ، بل اللوم كل اللوم يوجه أولا وقبل كل اعتبار على من جلبها – الفتاة – وزج بها وسط جيش عرمرم من الشبان وأمام النظارة ، كما يلام وليها الذي رضي بكشف جسد ابنته ، والسير بها شبه عارية أمام النظارة – والمصورون من شركات السينما والتلفزة الاجنبية يصورون – فهل يلام الخطيب الواعظ إذا أنكر منكرا رآه ونبه المسلمين المصلين إلى قبحه وخطره على الدين والاخلاق الإسلامية ؟؟؟؟

---

(1) صحيفة « الشعب الجزائرية » عدد 904 الصادرة بتاريخ 15 نفمبر سنة 1965 ، وصحيفة « المجاهد » الصادرة بالفرنسية فى نفس التاريخ .

(2) التبان سراويل صغير لا يستر الا العورة المغلظة (سليب) .

لا ينكر على الخطيب الواعظ إلا جاهل مغرور أو صاحب نية سيّئة نحو الدين والفضيلة والوطن .

الحقيقة أن البعض من ولاة المسلمين تنقصهم التربية الدينية الإسلامية حتى يكونوا في مستوى أمتهم ، وقد لاحظنا – فيما لاحظناه – أن البعض من حكام المسلمين الذين يتولون مناصب عليا في دولهم يداخلهم الغرور بالنفس والكبرياء على الناس ، ولعلهم يظنون أنفسهم أنهم صاروا ملوكا مستبدين ، لا يرد عليهم قول ولا يوجه اليهم لوم ، أو لعلهم صاروا اكثر من الملوك ، وهذا ناتج عن انعدام التربية الإسلامية الصحيحة ، ولو عرفوا حقيقة أنفسهم لما جاوزوا بها درجتها ، إذ هم من الشعب الذي يتولونه ، وكم نحن في حاجة إلى التربية الإسلامية التي تأمر حكام المسلمين بالتواضع وخفض الجناح لعامة أفراد الامة ، ولنذكر هنا مثالا من التربية الإسلامية :

ذكروا أن سلمان الفارسي كتب إلى أبي الدرداء – رضي الله عنهما – لما ولي هذا الاخير القضاء من قبل معاوية رضي الله عنه : (بلغني أنك جعلت طبيبا تداوي ، فإن كنت تبرئ فنعمّا ، وإن كنت متطبّبا فانظر أن تقتل انسانا فتدخل النار) . فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين ثم أدبرا نظر اليهما ثم قال : (ارْجعا إلي أعيدا علي قضيتكُما مُتطبّبٌ – وَالله –). فما كتب به سلمان الفارسي إلى أخيه أبي الدرداء – وهما صحابيان جليلان آخى بينهما الرسول صلى الله عليه وسلم – رضي الله عنهما يعد من باب النصيحة للوالي ، فلا غضاضة فيها عليه ، لهذا تقبلها أبو الدرداء بالرضى والاعتبار ، وعمل بها العالم الفقيه الورع .

فأين نحن الآن من هذه التربية الإسلامية الرفيعة الغالية ، إلى التربية الإلحادية التي تدخل الغرور والصلف والكبرياء على الحكام منا ، حتى ظن البعض منهم أن الامة ملك لهم يتصرفون فيها حسب رغباتهم وشهواتهم ، لا ينازعهم فيها وفي توجيهها أحد سواهم ، حتى صاروا كالاوثان تعبد من دون الله ، تطاع ويعصى الله ، ترضى ولا بأس بغضب الله .

فاللهم رفقا بعبادك المسلمين ، ممن «لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً» قرَابَة وَلاَ عَهْداً .

نرجع إلى الموضوع من هذا الاستطراد الذي دفعت اليه الحاجة فنقول : لما قرأت ما كتب في الصحيفة بأمر المسؤول عن الاخبار في ذلك الوقت 1965 – الوزير بومعزة – قلت : سبحان الله !!! يا للعجب العجيب !!! إنهم لم يفهموا حتى ما يكتبون أو يقرأون ، خصوصا وكاتب الرد علي في الصحيفة الفرنسية اللسان امرأة فرنسية الجنسية والعقيدة – فيما بلغني – نسأل : أي داع لإقحام امرأة فرنسية في الرد على واعظ في خطبة الجمعة ؟؟ ألكون الموضوع يتصل بالمرأة وكفى ؟ والموضوع يتصل بالمرأة الجزائرية المسلمة، وعنوان الرد – أيضا – أصله لكاتب فرنسي كما أشرت اليه سابقا، وهو (المراؤون) أيضا ، فما هو الرياء الذي يرمى به الخطيب الواعظ ؟ لوكانوا يدركون الحقائق من غير تحريف ؟ إنهم لم يفهموه ، ولو فهموه لما كتبوا ذلك الهراء الركيك .

والحقيقة التي يعرفها العقلاء : ان من قام يدافع عن حق رآه ضائعا لا يقال في دفاعه – حسب إيمانه به – انه رياء ، وما تكلم إلا ليراه الناس – والكلام يسمع ولا يرى – ويقال عنه ما يقال ، ومما لا ريب فيه أن الصدمة كانت عنيفة وغير منتظرة على أعوان مزدك ، فلم يقووا على تحملها ، خصوصا وخطبة الجمعة تلك كانت قد أذيعت من المسجد بواسطة الإذاعة الجزائرية ، فرفعوا أقلامهم لتدافع عن الرذيلة والخلق المشؤوم .

نقول لهؤلاء : إن الشعب الجزائري – مثلا – لما قام في ثورته ، وحمل السلاح للدفاع عن كرامته المهانة ووطنه السليب ، قاصدا من وراء حمل السلاح إرجاع كرامته ووطنه ، فهل يقول له عاقل : إنك مراء أيها الشعب الجزائري ؟ فإنك ما حملت السلاح إلا من أجل أن تراك الشعوب والامم فقط ، وتسمع ببطولتك ومواقفك ، وما ادعيته لنفسك من دعوى إرجاع حريتك وكرامتك ووطنك دعوى باطلة وبهتان ، لا يقول أحد من الناس في الشعب الجزائري مثل هذا القول إلا اتهمه العقلاء بالجنون ، أو بالجهل بالمقاصد ، أو بالغباوة ، أو بالغرور والتغرير ، أو بالخداع .

فقد سقط في يد الموحي بالفكرة ، ولم يجد حجة ودليلا يبرر به فعله فأخذ يتهم المدافعين عن الدين والفضيلة والوطن بالباطل والتزوير والبهتان ، وكل دفاع بالباطل مصيره الفشل والخسران .

الباب الرابع

الفصل الأول :

ما قدمته الأمة الجزائرية من ضحايا في سبيل الإسلام
لا يتفق مع توريد بعض المذاهب الالحادية

ثم نتساءل مرة أخرى : هل ما قدمته الجزائر المسلمة من ضحايا وافرة ، أنفس بشرية غالية ، وأموال غزيرة عزيزة عليها ، ضنينة بها ، وعذاب مهين ، سلطه عليها المستعمر المحتل لها ، الذي كان ماسكا بخناقها ، ويشدد في الإمساك ، فقد شمل تعذيبه ذلك جميع أنواع التعذيب والتنكيل ، ولكنه كان عليها عذبا لا عذابا.. ؟؟ وهل كان كل ذلك – وغيره – من أجل أن تفرض عليها مذاهب هدامة لكيانها ، وفدت عليها – مع الوافدين – من خارج وطنها ودينها وأخلاقها ، من شيوعية وغيرها...؟؟؟ أو من أجل أن يعتنقها بعض المسؤولين باختياره يجب أن يُفرَض هذا الاختيار على الامـة كلهـا... ؟

أتحقق أن كل مسلم جزائري – في قلبه مثقال حبة خردل من الإيمان بدينه ووطنه وكرامته – يجيب عن هذا السؤال لا ب(لا) واحدة فقط ، بل يجيب بألف (لا) أو بألف ألف (لا) أي مليون (لا) أو بأكثر ، نظرا لما قدمته الجزائر من تضحيات في سبيل دينها الإسلام وعقيدته وفضائله وأحكامـه .

الفصل الثاني : كيف يكون الدفاع عن الإسلام ؟

نسمع بعد الحين والحين كلاما صادرا عن أشخاص عصريين كما يقولون ،

قالوا انهم أرادوا به الدفاع عن الإسلام – في زعمهم – فلفقوا لدفاعهم حججا وأقوالا دلت على جهلهم بالإسلام – كشريعة – قاصدين من وراء ذلك جعل الإسلام دينا عصريا ، يناسب عصر الذرة كما يقولون ، وقالوا ان الإسلام مرنٌ ، يطاوع كل وقت وحين ، وما قصدهم بهذا إلا القضاء عليه – تدريجيا – حتى لا يفطن لهم أبناء الإسلام الصادقون ، فهم كاللصوص يختلسون مال غيرهم ، فإذا فطن لهم رب المال قالوا له : نريد صونه وحفظه من الضياع والتلف ، والإسلام لم يعرفهم من أبنائه في مظاهره وأماكنه ، فلم يعرفهم ولم يجدهم في المسجد ، والمسجد أظهر مظاهر الإسلام ، ولم يعرفهم في صوم رمضان أو غيره من شعائر الإسلام ، فكما أنه لم يعرفهم في كل ذلك فهم – أيضا – لم يعرفوه في أي شيء منه ، ولهذا فإنهم إذا كتبوا عنه أو خطبوا فضحوا أنفسهم بأنفسهم ، وكشفوا الغطاء عن وجوههم ، فظهر جهلهم للإسلام .

من المعروف أن الإسلام رحمة من الله بهذه البشرية المعذبة من طرف الطغاة وأعوانهم ، فالإسلام سهل خفيف على المؤمنين الصادقين ، وهو صعب ثقيل على المنافقين الكاذبين ، كما قال الله جل جلاله في محكم كتابه : **«فَمَنْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرِجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَاءِ ، كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ(125) وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ(126)»(1) .**

هل يُتصَوَّرُ الدفاع عن الإسلام من قوم لا يؤمنون به.. ؟؟ فإذا قام من يعرفه ليدفع عنه تهجمات خصومه غضبوا عنهم ورموهم بكل نقيصة ليخلو لهم الميدان كي ينفذوا خطتهم كما يريدون .

ماذا يبتغي الغاضبون من المدافعين عن الإسلام وشريعته الطاهرة ؟ وهم – الغاضبون – ينقضون عرى الإسلام عروة بعد عروة ، أيبتغون منهم السكوت والكف عن الدفاع عن دينهم وعقيدتهم.. ؟ إن كانوا يبتغون منهم هذا فهم غالطون ، أو يبتغون منهم أن يجيزوا لهم ما يفعلون وما يذرون مما هو مخالف للدين أو محرم في شريعة الإسلام ؟

(1) سورة الانعام .

أيريدون أن يقول لهم علماء الإسلام : إن أقوالكم وأعمالكم موافقة – وهي غير موافقة – لما جاء في الشريعة الإسلامية ، إن وجد من يقول لهم هذا فهو قليل ، ومع قلته فهو صادر من شخص انتهازي قليل البضاعة – بضاعة العلم والدين – ولو كان له نصيب من العلم والدين – وتجرد من الاطماع – لما تجرأ وقال ما قال ، وسيبقى قوله دليلا عليه .

أيريد الحانقون على العلماء أن يقولوا لهم : إنه لا لزوم لفرائض الإسلام في هذا العصر ، وغير ممكن تطبيق حدوده وأحكامه ؟ كما يشتهي هذا بعض رجال السياسة والحكم ، بدعوى أن وقت العمل بالإسلام قد فات ومضى مع الوقت الذي كان يستعمل فيه الجمل للحمل والركوب ، أما الآن فالوقت للسيارة والطيارة وغيرهما ، فهم يريدون أن يجردوه من عقائده وفرائضه وأحكامه وأخلاقه ، إذن فماذا يبقى من الإسلام إذا فعلوا به هذا...؟؟؟

لا شك أنه يبقى هيكلا بلا روح ، كما فعل احبار اليهود ورهبان النصارى بتجريد شريعتي موسى وعيسى عليهما السلام من كل ما يسمى دينا سماويا ، فصارتا طقوسا شكلية ، فيصير الإسلام بهذه العملية – عملية تجريده من فروضه وأحكامه – دينا عصريا يبرز ويظهر في الحفلات الرسمية كغيره من الاديان الاخرى ، فإذا وقف العلماء موقف المدافع عن الإسلام رموهم – كما سمعنا ذلك المرات العديدة – بالجمود والتحجر ، وبالتمسك بالقديم البالي – في زعمهم – ولا أظن أن عالما واحدا – عالما – يشعر بثقل المسؤولية وخطرها – التي يحملها – أمام الله والتاريخ والامة والوطن يتساهل في فتوي بإباحة محرم – شرعا – اوبتعطيل حكم منصوص عليه ، فان وجد – ولعله وجد – ورضي بتعطيل حكم ، اوبتحليل محرم ، فقد عمل على تحطيم الاسلام ، دفعه الى ذلك دافع خارج عن اصل الدين وشريعة الاسلام – من قلة بضاعته ، او طمع ، اوغيرهما – ورضي لنفسه باللعنة وغضب الله – عياذا بالله – بنص الآية القرآنية الصريحة ، وهي قوله تعالى : «**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُولَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ**» (1) .

(1) سورة البقرة الآية 159 .

ان علماء المسلمين – اين كانوا – ليس لهم اى حق في تبديل شرائع الله ، سواء اكان ذلك بالمحو اوبالزيادة ، اوبالنقصان ، ومن فعل ذلك فقد اعتدى واقحم نفسهفيما ليس من خصائصه، وما خصائصه الا الفهم الصائب لروح الشريعة والشرح والتوضيح ،والدعوة لها والدفاع عنها الخ ،وقد سمعنا من بعض البسطاء من قال : لماذا يتصلب العلماء هذا التصلب ؟ ولماذا لايكونون كعلماء اليهود والنصارى الذين خففوا عن اتباعهم ثقل الشرائع ، فيسروا – مثلا – امر الصيام وجعلوه شيئا قليلا ؟ ولماذا نصوم نحن المسلمين شهراً كاملا ، في حين لايصوم غيرنا اصلا ، او لايصومون الاسويعات قليلات ؟؟ نقول لهؤلاء الطائشين ان الدين الاسلامي دين الهي انزله وامربه رب العباد وخالقهم ، بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فليس لاحد – كيفما كان – بعد موت الرسول ان يبدل او يغير شرع الله – وليس ذلك الا للرسول والرسول قد مات فلا تغتروا بما فعله علماء اليهود والنصارى بشرائعهم ، فانهم مامورون بالمحافظة على شريعتهم والدفاع عنها، فتركوا ذالك ، وسياقون جزاء عملهم وسكوتهم يوم الحساب ، فانهم ضيعوا ما استحفظوا عليهمن كتاب الله وشرعه وكانواعليه شهداء ، ولم يقف علماء بني اسرائيل مواقف أنبيائهم في الدعوة الىالدين والدفاع عنه ، وبنو إسرائيل اشتهروا بنقض الشرائع الالهية وتركها والصدود عنها الى ما تزينه لهم نفوسهم وشهواتهم وقد قص الله علينا في القرآن الكثير من اخبارهم للاعتبار ، منها ان بني اسرائيل لما انجاهم الله من قبضة عدوهم فرعون الظالم ، واخرجهم من البحر سالمين وأهلك عدوهم بالغرق وهم اليه ينظرون ، نسوا نعمة الله هذه عليهم بالنجاة من عدوهم، فراوا مشركين يعبدون الاصنام، فطلبوا من رسولهم موسى– عليه السلام – ان يجعل لهم الها يعبدونه كما لهؤلاء المشركين آلهة يعبدونها – بدل عبادتهم لله وحده – فنهاهم رسولهم موسى عليه السلام ، وبين لهم انهم هم خير وافضل من غيرهم عباد الاوثان والاصنام ، قال الله تعالى مبينا ذلك:

«وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ، قَالُوا : يَا مُوسَى ، اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قَالَ : إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139) قَالَ : أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140)»(1) .

---

(1) سورة الاعراف .

نرى من خلال هذه الآيات وغيرها نعمة الله ظاهرة على بني اسرائيل ، حين أنجاهم الله من عدوهم (فرعون) واهلكه غرقا في البحر وهم ينظرون بابصار رؤوسهم ، فلم يشكروا لله هذه النعمة والنصر على عدوهم ومذلهم ، ونسوها في لحظات قليلة من نجاتهم ، وسولت لهم نفوسهم الخبيثة الشرك بالله كالمشركين ، وفي هذا عبرة بالغة لنا ـ ولغيرنا ـ نحن الجزائريين الذين اعاننا الله ـ وحده ـ على تحرير أنفسنا ووطننا من المستعمر الغاصب ، ولكن في لحظات قليلة نسينا نعمة الله وفضله علينا ، فجحدنا نعمته واحسانه ،وانكرنا فضله علينا ، فالغينا شريعة الله ، وعوضناها بقوانين الملحدين الكافرين .

توجد في بعض بلاد المسلمين مخالفات كثيرة لاحكام الشريعة الاسلامية ، واذا انكر المنكرون ذلك لم يرق انكارهم في اعين حكامهم ، والافباى نص وباى دليل شرعي يباح في اغلب الاقطار الاسلامية ـ شرب الخمر ـ وصنعها ، وبيعها ، والاتجار فيها ،؟؟؟ بعد الوعيد والتهديد الوارد في ذلك ، فهل لم يبلغ الى علم حكامهم النهي عن ذلك ؟؟ واذا بلغهم فلماذا لايمتثلون لنهي الله ؟ ولعل البعض منهم يقول ـ او قد قال ـ ان المهم في حياتنا هذه وفي حياة الدولة انما هو المادة ـ المال ـ فقط لان ذلك يدل على قوة الدولة،وهذا هو المشاهد الملموس، فنقول لهم اذن هذا اساس المذهب الشيوعي الاشتراكى، وهو المادة فقط ، اما الروح والدين فالكلام عليهما تضييع للوقت ، والبيان الشيوعي يقول: (لااله والحياة مادة) اما نحن المسلمين فاننا لازلنا ـ ولن نزال ـ نؤمن بما في شرعنا من تشريع الهي حكيم ، احل الله لنا فيه الطيبات من الرزق وغيره ، ومنع عنا فيه الخبائث كذلك ، وقد نقل عن مسؤول في الحكومة ـ وقد وجه اليه التماس بمنع الخمر المحرمة شرعا في الاسلام ـ قوله : (المسجد مفتوح ، والمخمرة مفتوحة ، فمن اراد ان يذهب الى المسجد فليذهب ، و من اراد ان يذهب الى المخمرة فليذهب ...) هذا قول من لايشعر بالمسؤولية الملقاة عليه ، والافما هي مهمة الحكومة إذا لم تحافظ على سلامة الامة من كل ما يضربها ؟.

الفصل الثالث : مضار الخمر وغض النظر عنها

ان ادخال المذاهب والمبادئى الالحادية الاباحية الهدامة الى الاوطان الاسلامية قد سهل كثيرا على المسلمين تعاطي شرب الخمور ، وذلك بتزهيدهم في الدين

والخلق الكريم ، فقد اعان المستهترين بهما و سهل عليهم تناول الخمور المحرمة شرعا وادخالها للشعوب الاسلامية .

ان تحريم الخمر – شربا ، وصناعة ، وتجارة – معلوم من الدين بالضرورة – كما يقول علماؤنا – بنص القرآن والحديث ، فمن انكر التحريم فهو مرتد كافر ، فلا يحسب في عداد المسلمين ، ولو كان اسمه مما اشتهر استعماله بين المسلمين اذ كيف يعد في المسلمين من انكر امرا معلوما ، الله حرمه بقوله في آية المائدة : «**يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ ، وَٱلْمَيْسِرُ ، وَٱلْأَنْصَابُ ، وَٱلْأَزْلَامُ ، رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ ، فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**»(1) واقوال الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة في هذا الموضوع منها ما اخرجه ابو داوود في سننه و بسنده الى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**لَعَنَ ٱللهُ ٱلْخَمْرَ ، وَشَارِبَهَا ، وَسَاقِيَهَا ، وَبَائِعَهَا ، وَمُبْتَاعَهَا ، وَعَاصِرَهَا ، وَمُعْتَصِرَهَا ، وَحَامِلَهَا ، وَٱلْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ**) وفي بعض طرق الحديث زيادة (**وَآكِلَ ثمنها**) فهؤلاء العشرة لعنهم الله على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولاعقوبة اشد من اللعن لمن عرف مدلوله ومعناه .

الفصل الرابع : النهي عن بيع العنب لمن يتخذه خمرا

بما ان الخمر سبب في ارتكاب كثير من الشرور والآثام والجرائم ، فقد ورد النهي من الرسول صلى الله عليه وسلم عن بيع العنب لمن يتخذ منه خمرا ، فقد خرج الحافظ ابن حجر في كتابه "بلوغ المرام من جمع ادلة الاحكام" نقلا عن الطبراني في الاوسط – باسناد حسن – عن بُرَيْدَةَ بن الْحُصَيْبِ عن ابيه رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (**مَنْ حبس ٱلعنبَ أَيَّامَ ٱلْقِطَافِ حَتَّى يَبِيعَهُ مِمَّنْ يَتَّخِذُهُ خَمْراً فَقَدْ تَقَحَّمَ ٱلنَّارَ عَلَى بَصِيرَةٍ**) (2) قال شارحه الامام الصنعاني : واخرجه البيهقي في شعب الايمان من حديث بريدة بزيادة (**حَتَّى يَبِيعَهُ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ أَوْ مِمَّنْ يَتَّخِذُهُ خَمْراً فَقَدْ تَقَحَّمَ ٱلنَّارَ عَلَى بَصِيرَةٍ**) قال شارحه المذكور : والحديث دليل على تحريم

---

(1) الآية 90 من سورة المائدة .
(2) ج 3 من بلوغ المرام الحديث 37 ، تقحم النار رمى بنفسه الى النار على علم .

بيع العنب ممن يتخذه خمرا لوعيد البائع بالنار ، وهومع القصد محرم اجماعا ،

فما حرمه الله ورسوله فهو حرام ليس لاحد من الناس ان يحله ، ومن تعمد المخالفة فقد رضي لنفسه بالدخول الى نار جهنم واقتحامها عن عمد واصرار ، فالممنوع ممنوع تعاطيه الالضرورة ملحة خشية انتذهب معها روحه، اما الاعذار الاخرى ككونها مادة وموردا ذابال في ميزانية الدولة ، او كون المستعمرين هم الذين غرسوا شجرتها وانتجت وقلعها الآن يؤدى الى خسارة في المال الى غير هذا من الاعذار فهي كلها باطلة ، لاينسخ الشرع بها ، وتوقف احكامه بسببها .

التداوي بالخمر — وهل يجوز للمسلم أن يستعمل دواء فيه خمر ؟

ذلك ماورد النهي فيه عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ، فقد اخرج مسلم في صحيحه وأبوداود في سننه ، ان طارق بن سويد سأل رسول الله الله عليه وسلم عن الخمر يصنعها للدواء ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(إِنَّهَا لَيْسَتْ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهَا دَاءٌ)** (1) وفي هذا المعنى ما اخرجه البيهقي عن أم سلمة رضي الله عنها ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ)** (2) وجاء في بعض الروايات بيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم بيّن فيه ان الخمر لامنفعة فيها بعد ان حرمها الله فقد جاء في هذه الرواية قوله: **(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا حَرَّمَ الْخَمْرَ سَلَبَهَا الْمَنَافِعَ)**(3) وهذا كأنه رد على من يعتمدعلى ظاهر الآية القرآنية وحدها، وهي قوله تعالى : **«يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ»**(4) فبين الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله نزع من الخمر جميع المنافع بعد ان حرمها على المسلمين ، فلا منفعة فيها لا للتداوى ولالغيره .

واخرج الامام مالك في الموطا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : اهدى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم راوية خمر (5) فقال له رسول

(1) بلوغ المرام ج 4 الحديث 12 فى باب حد الشارب وبيان المسكر .
(2) نفس المصدر ج 4 الحديث 11 .
(3) المصدر نفسه أسنده الثعلبي وغيره .
(4) الآية 219 من سورة البقرة .
(5) الراوية — القربة .

الله صلى الله عليه وسلم : (أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهَا ؟) قال لا : فساره رجل الى جنبه ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : (بِمَ سَارَرْتَهُ ؟) فقال امرته ان يبيعها ، فقال له الرسول صلي الله عليه وسلم : (إِنَّ ٱلَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا)(1) .

هذا بعض ما ورد في الخمر من النهي والوعيد ، غير ان الوازع الديني فُقد من بعض المسلمين ، فتعاطوها وقد حرمها الله عليهم لما فيها من الاضرار والآثام، فتعاطوا صنعها وبيعها وشربها واكل ثمنها الى آخر أنواع التعاطى والاستغلال ، والكل ممنوع – شرعا – وهم يعلمون ان كل ذلك حرام عليهم ممنوع في شريعتهم ، فهم يفعلون ذلك عن معرفة واصرار ، فاستحقوا ان يدخلوا النار عن بينة من امرهم .

كل هذا وامثاله سببه المبادئ الاجنبية الهادمة للشرائع التي وردت علينا من الخارج ، والتي لاتؤمن بالاديان السماوية ، فجرأت المسلمين على احتقار دينهم ، بل والسخرية منه احيانا ، والامرواضح لايحتاج الى تفصيل .

الفصل الخامس : انتهاك الحرمات الشرعية سببه من المباديء الالحادية

وما قيل في انتهاك حرمة النهي عن الخمر يقال كذلك في انتهاك بقية الحرمات فقد كثر الاستخفاف وعدم المبالاة والاهتمام بحرمة الفروض الدينية وانتهاكها جهارا نهارا ، بلا خوف من عقاب ينال المنتهك لحرمة الشرع العزيز ، فهذا شهر رمضان المعظم من الله ومن المسلمين مثال لذلك ، فقد تجرأ بعض من لاخلاق لهم على الافطار في نهاره ، ولم يجد من يعطيه درسا صارما جزاء على تهاونه واستخفافه بدين الله ودين الامة التي تحترمه وتعظمه ، وقد تجاوز الأنتهاك من بعض الطائشين الى بعض كبار المسؤولين في بعض دول الشعوب المسلمة التي سطرت في دستورها ... مادة تنص على ان الاسلام دين الدولة – وهو يمثل الدولة – وهنا كان الواجب على هذا المسؤول الكبير او الاكبران يكون حاميا لدستور بلاده لاهادماله، ومن المؤسف – حقا – ان يكون هو مثالا سيئا للمنتهكين المعتدين ، ويفطر في نهار رمضان والاجانب عنه ينظرون اليه ، ليظهر للعالم

---

(1) الموطأ فى باب جامع تحريم الخمـــر .

تهاونه وشجاعته على نبذ شريعة الله ، بحجة ان الصيام يضعف الصائم،ويقلل من نشاطه وانتاج عمله وتأخر بلاده ، في الحين الذى يرجوها ان تلحق ركب الدول العظيمة في انتاجها وغناها وقوتها ، فبعد ان رغب الشعب وحثه على الافطار والشعب — الواعي المدرك — لا يستجيب بسهولة لمن اراد ان يجرده من دينه وخلقه ، فبعد ذلك الحث والترغيب اراد ان يبدا بنفسه وامام جمع كبير فيهم غير المسلمين ، بدا بنفسه ليكون قدوة في الشر يقتدى به الاشرار ، بدعوى القضاء على التخلف ، ولكي يلحق ركبه الفقير ركب بعض الدول الثرية (فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ...) غير ناظر الى رقعة بلاده الضيقة،والى انعدام وسائل الثراء في بلاده، فظن ان صيام شهر رمضان هو الذي اخر بلاده ، ففضحه الله الذى اعتدى على حرمة شرعه ، فازداد فقره وحاجته الى الغير بالاقتراض منه ، ولم يغنه الافطار في نهار رمضان ولاغيره ، وهذا كله وغيره مبعثه الغرور بالنفس والعظمة الخادعة ، والاستخفاف ، بدين الله ، وعصيان اوامره ونواهيه، ولو فرضنا ان شخصا واحدا من مواطنيه — كيفما كانت منزلته — عصى امره اونهيه — وهو بشر — لعذبه اوقتله غضبا لعصيانه اياه ، وانتقاما لكرامته المهانة في نظره، ولاحول ولاقوة الابالله العلي العظيم . وهذا المسؤول الذى انتهك حرمة شهر رمضان وأفطر فيه هو الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة .

وما قيل في شهر رمضان يقال في غيره من كل ما هوراجع الى امر الدين ، فاننا راينا ولمسنا تضييقا — ضيقا — مبالغا فيه على من اراد ان يقوم باداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام ، بدعوى قلة العملة الصعبة ، وان البلاد في حاجة اليها لتكميل تجهيزها الصناعي وغيره ، وفي الوقت ذاته نرى الاموال تنفق — بسخاء — على الوفود — الصادرة والواردة وما اكثرها — التي تذهب الى بيوت الشياطين ، اما الى بيت الله فلا .

قيل ان المال الذى ينفق في القيام بشعيرة دينية مال ضائع وخسارة لاتعود على الامة وخزينة الدولة بالنفع والفائدة ، وهو قول يدل على جهل اصحابه لاسرار التشريع واحكام الدين،وقائله لا يخلو من نزعة الحادية دفعت به الى ان قال ما قال ، في حين تحبذ — وتفعل — السياحة للنزهة والتنقل في ربوع اروبا الفاجرة ، وما يتبع ذلك مما لا يليق،ففي هذه السياحة تصرف الاموال بكرم لان ذلك علامة على التقدم والحيوية .

والبعض قال في المؤسسة التي لها اشراف ـ محدود ـ على الشؤون الدينية : انها لاتنتج ، وهويعني انها لا تأتي بالفائدة لصندوق الدولة كما في شجرة العنب مثلا ـ فانها تدر على صندوق الدولة ـ من الخمر ـبالارباح الوافرة ، وهذه الآراء والاقوال في مجموعها دليل على ما في النفوس من تقدير واحترام للدين وجهل بما ياتي به الدين للامة ـ من خيري الدنيا والآخرة ـ وما يتركه في نفوس المسلمين من الخلق الكريم ، والاستقامة على المنهج القويم ، والمعروف لدى العارفين ان الدين يشارك جميع الوزارات في اعمالها ، فهو مع الداخلية في الامن وغيره ، وهو مع الخارجية في الاتصالات وغيرها وهو مع التربية والتعليم في التهذيب ، ومع العدل في الاستقامة ، ومع المالية في الاقتصاد ، وكذا يقال في جميع اجهزة الدولة ، لكن لو وجد من يعرفه ويعمل به ويرعاه حق رعايته .

الفصل السادس : في الحلال عوض عن الحرام (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي ٱلْأَبْصَارَ)

نعود من قريب الى شجرة ـ العنب ـ ففيها العبرة البالغة لمن اراد ان يعتبر. دلت هذه العبرة على رحمة الله بهذه الامة الجزائرية المسلمة ، لو وجدت من يفهمها حق فهمها ، وهي بينة جلية في قوله عز وجل : «**وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ**»(1) .

امتنا الجزائرية امة مسلمة ـ عقيدة وعملا ـ ابتلاها الله بدولة استعمارية كافرة قوية استحوذت على ارضها بالقوة ، واعطتها لابنائها ، فاستغلوها ، وفعلوافيها ما فعلوه في ارضهم وبلادهم، وحسب شهواتهم ، فاكثروا فيها من غراسة اشجار الكروم ـ العنب ـ ليعصروها خمرا ، وفعلا نجحوا فيها نجاحا كبيرا ، وربحوا منها ارباحا طائلة ، ولما اراد الله اليقظة لامتنا ـ بعد نوم طويل ـ وجاء وقت اليقظة والانتباه ، قامت واستيقظت من نومها ، وطالبت بحقها في ارضها ، فلم يلب المحتل لها رغبة ، ولم يسمع لها صوتا ، عند هذا حملت السلاح واتحدت ـ معظمها ـ سنة 1954 وخاضتها حربا شعواء ضروسا دامت سبع سنوات ونيفا ، وبعد تضحيات كبيرة وصلت الى هدفها ، ونالت ما ارادت ـ وهو الاستقلال ـ وفي اثناء الثورة المسلحة ،

---

(1) من الآيتين 2 ـ 3 من سورة الطـلاق .

وفي سنوات الكفاح المرير الشديد ، قام المستعمر الفرنسي بالبحث والتنقيب عن البترول في صحرائها ، فوجده — فيها — بجميع انواعه ومحتوياته ،وتدفق في الارض الجزائرية ، وصار يصَدرُ منها ويباع في الاسواق العالمية ، ويدر على خزينة الدولة — و على شركاته — بارباح كثيرة ،زادت بمر السنين ، وبتحسين وسائل العمل والاخراج والاستغلال ، هذا واقع لاينكر ، ومحل العبرَة ظاهر فيـه لمن تدبر .

ذلك ان الله العالم بما تحمله الايام في احشائها ، وماتخفيه السنون في طياتها ، قد سبق علمه كل شيء ، ففي العثور على الغاز واخراجه والانتفاع به تنبيه للغافلين منا ، فكأن الله قال لنا : قد علمت من حربكم انكم على حق ، وانكم ستنالون حقكم الذى قمتم تطالبون به ،فها اني قد هيات لكم ما فيه الغناء لكم في ارضكم ، ورزقتكم من الحلال الذى لاتبعة فيه ، ولاذنب يترتب عليه ، اعطيتكم كنزا كبيرا — ادخرته لكم — وذخراعظيما ، اعطيتكم الغاز في ارضكم ، فاذا وصلتم الى ما تحبون ، ونلتم ما تبغون — وهو استقلالكم — وفزتم بحرية بلادكم ، فالغاز يكفيكم عن شجرة الخمر الملعونة التي غرسها المستعمر الكافر الجاحد في ارضكم ، فاقتلعوها ، وازيلوا جذورها ، فان الشر كل الشر فيها وفي محصولها ، فلتكن لكم الكفاية فيما رزقتكم به من الحلال فاعتبروا بهذا يا اولي الابصار .. ولكن اين من يعتبر وَيَدَّكِرُ ؟

ورد في بعض الادعية المأثورة هذا الدعاء ، وفيه تعليم لنا جميعا ، وتنبيه للساهين : **(اَللَّهُـمَّ اَكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ)**(1) كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا **(كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ)** — وفي رواية **كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ)** (2)

(1) اخرجه الترمذى وقال حديث حسن ، اصله ان النبى صلى الله عليه وسلم علمه على بن ابى طالب رضى الله عنه .
(2) اخرجه الطبرانى فى الكبير وابو نعيم عن ابى بكـر الصديـق رضى الله عنـه ولـه قصـة .

الباب الخامس

الفصل الأول :

العلماء والتعصب

يتهم الملاحدة واذنابهم بعض العلماء بالتعصب والتشدد في امر الدين ، ويقولون انهم لايتساهلون — نظرا للعصر — كما يتساهل غيرهم ، وقد قال لي انا شخصيا — مسؤول — كان — في الحزب ، في مقابلة وقعت بيني و بينه ، قال لي هكذا حرفيا : (قالوا لى عنك انك متعصب) فقلت له : نعم انا متعصب لديني ، ولا اتساهل فيه ابدا ، ذلك لاني لم ارض ببيع ديني مقابل رضى بعض الجهات عني ، كما هي راضية عن غيرى ممن يصفونهم بالمرنين المطواعين ،وفي بعض الاوقات يصفوننا بالجمود للسبب نفسه، وهكذا يجرى الصراع بين المتمسكين بدينهم والمحافظين على اخلاقهم ،وبين الضعفاء المنشقين عن دينهم واخلاقهم، كان هذا من اجل المواقف التي وقفها بعض العلماء لاعندنا في الجزائر فقط بل في جميع الاقطار الاسلامية تجاه حملة الالحاد والاستهتار بالقيم الخلقية ، والاستهزاء بالشريعة الاسلامية ، وهي اتهامات يقصد من ورائها التنفير من الدين ، كما هي باطلة لادليل عليها يقبله العقل السليم ويسلم به ، وذلك شان العاجزين ، يلتجئون الى الصاق التهم بغيرهم ليدعموا بها دعواهم، وهل يقال لمن يتمسك بعقيدته انه متعصب ؟ فحبذا المتعصب الذى يتمسك بدينه وعقيدته ومبدئه اذن ....

الفصل الثاني : من لا يتعصب لمبدئه فلا خير فيه

نقول لهؤلاء الذين يحاولون نعت العلماء بالتعصب : اذا كان الايمان بالمبدا والدفاع عنه ، والوقوف في وجه من يعمل على هدمه وازالته — اذا كان هذا في نظركم تعصبا — غير لائق — فهو اتهام باطل وغير صحيح ، ورای فاسد

يدل على سوء القصد ، وفي الوقت نفسه هو – اى التعصب – اخلاص للمبدا والدين الذى ندين الله به ، لان من دافع اللصوص الذين ارادوا ان يسرقوا ماله لا يعد في نظر العقل السليم متعصبا ، لانه قام بواجب ، ودافع عن ماله ، والدفاع عن الدين والمال واجب مشروع ، اذهو من الواجبات المنصوص عليها ، وهي المجموعة في قول القائل :

وحفظ دين، ثم نفس ، مال ، نسب ومثلها عقل ، وعرض ، قد وجب

هذه هي الواجبات الستة التي يجب على المسلم ان يصونها ويحافظ عليها ويحفظها من كل من يريد ان يصل اليها باذى ، فعلى هذا الراي الفاسد – التهمة بالتعصب – اما ان تدع اللصوص ياخذون مالك – وأنت تنظر – وأما ان تعد متعصبا فيما اذا عارضت اللصوص ودافعتهم عن اخذ مالك ، هذا مثل الذين يرمون العلماء بالتعصب عند ما هبوا ليدافعوا اللصوص المهاجمين فمن يدافع عن مكاسبه لا يعتبر متعصبا ، كمن يدخل يده في جيبك لياخذ منك محفظة نقودك ، فاذا فطنت له ومنعته مما اراد ، قال لك : لماذا منك هذا ؟ انت رجل متعصب ، انها من العجائب والله .

كل انسان له مبدأ ارتضاه ، اوعقيدة آمن بها ، الا والمبدأ يحتم عليه ويطالبه ويتقاضاه ، ان يدافع عنه – ما استطاع – ولا لوم ولاعتاب عليه ، لانه آمن بمبدئه فدافع عليه ، وكدليل على ذلك نقول :

الفصل الثالث : الأحزاب السياسية والتعصب

اننالمسنا في الاحزاب السياسية – وهي من وضع البشر الذى يخطئ ويصيب – ورايناها توصي اتباعها والمنخرطين فيها والمنتفعين من هياكلها – بالمحافظة على مبادئها ، وسمعتها ، والدفاع عنها في كل وقت وحين ، والوقوف في وجه من يحاول التنقيص من قيمتها ، هذا مشاهد لاينكره احد ، بل يذهب التعصب ببعض اصحابها الى محاولة القضاء على كل ما خالف حزبه من بقية الاحزاب ، حتى يصفو الجو لحزبه فقط ، ويزول كل حزب سياسي – في الوجود – من الوجود ، واظهر ما يظهر هذا في الحزب الشيوعي – مثلا – فهو يعمل – جاهدا – ليسود العالم كله والدنيا باجمعها ، ويقضي على جميع الاحزاب السياسية الاخرى ، فمن خالفه ولم يقبله وينخرط فيه فهو رجعى ،

متاخر ، امبريالي ، عميل ، راسمالي ، الى غير هذا من الالفاظ التي نسمعها تتكرر على آذاننا في كل يوم والنعوت التي تمنح لكل من لم يكن شيوعيا، في حين خلعوا على إنفسهم خلعة – التقدميين والتحرريين – هذا رأيهم ودعايتهم فليقولوا في انفسهم وفي غيرهم ما شاؤوا ، ذلك ان الحقيقة لاتخفى على احد وهي ان التعصب الموجود في الحزب الشيوعي غير موجود في اى حزب سياسي آخر سواه ، وقد راينا كيف ان الشيوعيين لايتساهلون مع مخالفيهم في الحزبية ابدا – ويرونهم اقل شانا وفهما واعتبارا منهم هم ، ومن مبادئي الحزب الشيوعي اظهار عيوب ونقائص غير الشيوعي حتى يقضى عليه ، ليخلو الميدان لهم وحدهم ، فهل هذا من الشيوعيين تعصب لحزبهم ام ماذا يسمى ...؟؟ فمحاولة القضاء على المخالف في الراي – راي غير سديد – لان حرية التفكير والراي من الامور الضرورية اللازمة لحياة الفرد والمجتمع ، كالهواء للتنفس والغذاء والماء لحياة الجسم وسلامته ، فالذى يحاول ان يحجر ويمنع الافكار من التفكير الا كما يفكر هو يكون على جانب من الخطا كبير – كما تفعل ذلك الشيوعية والاشتراكية – فللانسان ان يفكر ،وله ان يختار ما يحلو له من الآراء، اذا كان صاحب راي وتفكير .

هذه تربية الاسلام للمسلمين ليتعودوا استعمال عقولهم عند الحاجة – من غير تعطيل لها – وهي ظاهرة في بعض الآيات القرآنية ، كقول الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : «**أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؟**» (1) وكقوله : «**لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ**»(2) هذا دين الله الذى يجب ان تخضع له النفوس ، وتؤمن به القلوب – ولاحق لها في اتباع غيره – ومع هذا فقد ترك للراى حريته وحكمه وقوله ، وللاقناع سبيله ، لم يمنع المخالف له من الاحتفاظ برايه ولو خالف الحق والواقع والجمهور .

فهذه الماركسية الشيوعية – مثلا – تحارب الدين وتمنع اتباعها من الايمان بالله الخالق لكل شيء وهذا مخالف لفطرة البشر ، كما تمنع من الايمان بالرسل والعمل بالشرائع السماوية ، وفي مقابل الايمان بالله والرسل والعمل بالشرائع تامر اتباع مذهبها بالايمان بالماركسية الشيوعية في نظامها ليكون ذلك عقيدة

---

(1) سورة يونس الآيــة 99 .
(2) الآيــة 256 من سورة البقرة .

لهم بدل العقيدة الدينية ، فياله من ضلال واضح ، فالاتحاد السوفياتي لايسمح بالدعاية للاديان والعمل على نشرها ، بل بالعكس من ذلك يسمح للدعاية ضد الاديان ويشجعها وهذا المبدا معروف للجميع ، اما الدعاية الماركسية فقد غزت البلدان الاسلامية بواسطة عملائها من اساتذة في الثانويات والجامعات ومراكز الفنيين وغيرهم ، هكذا نشاهد شباننا الاغرار يقعون فريسة لهذه الدعاية المضللة ، حتى توصلوا بتلك الدعاية الى تمزيق القرآن وحرقه ، والمسؤولون لم يحركوا ساكنا ، جاء في الدستور السفياتي المادة "124" بالحرف (كما ان حرية الدعاية المضادة للاديان مضمونة لكل مواطن .) فحرية الكفر مسموح بها اما حرية الفكر فممنوعة ،هذا ما شاهدناه في البلدان الاشتراكية .

الفصل الرابع : لمن هذه الأصوات ...؟ وما شأنها...؟

أصوات ترفع بين الحين والآخر وكتب تظهر كذلك مدعية انها تدافع عن الاسلام الذى قتله المتعصبون – يعنون بهم العلماء – ومادفاعهم في الواقع الاقتل للاسلام وعقيدته واخلاقه ، باسم الدفاع عنه ، اذ كيف يدافع المدافع عن شيء وهو غير مؤمن به .

من هذه الفصيلة التي رفعت صوتها لتدافع به عن الاسلام – وهي غير مؤمنة به – امراة ورجل ، ادعيا انهما جزائريان ، اما المراة فقد سودت بياضا وسمته كتابا – او سودلها – بالفرنسية وسمته (المرأة الجزائرية) وملأته بالترهات والاباطيل على الاسلام وعلى الاخلاق الاسلامية ، قاصدة بذلك دعوة المرأة الجزائرية المسلمة الى نبذ الاسلام القديم المتعصب لانه لايوافق على اختلاط الرجال بالنساء ، كما لايوافق على ان تذهب المرأة الى حيث تشاء من غير ان يمنعها وليها من ذلك ، الى غير هذا من الرغبات الشيطانية ، فقد ظهر مما اذاعته انها صنيعة للماركسية تخدم دعوى الملاحدة – قياسا على نفسها – وان ادعت انها تدافع عن المرأة الجزائرية – والمسلمة ايضا – والاسم الذي اعطته لنفسها (فضيلة مرابط) والاسم مستعار .

فلو درست هذه المرأة الاسلام دراسة ولو كانت قليلة – كما درست الماركسية – واحرى اذا كانت دراستها عميقة باحثة عن الحقيقة في غير كتب خصوم الاسلام ، لو فعلت ذلك لوصلت الى الحقيقة ، وعرفت ما هو الاسلام

وطهارته ونزاهته ، ولذاقت حلاوته التي لاتوجد في غيره ، او لوتخلقت باخلاقه ، وتادبت بآدابه لعرفت فضل الاسلام على البشرية كلها ، ودعوته الى الخير والفضيلة ، وايضا لو كانت زوجا لرجل مسلم — نشاة وعقيدة — لما تجرأت على الكلام في شيء تجهله ، ولما جاءت بالبهتان والافتراء ، مما دل على بعدها عن مبادئ الاسلام البسيطة ، وعلى سوء قصدها ، ويكفي دليلا على جزائريتها انها تركت الزواج من خطيبها الجزائرى المسلم وتعلق قلبها برجل فرنسي — شيوعي — قالوا عنه انه اسلم وتسمى باسم بطل من الابطال المسلمين — طارق بن زياد — ولم يظهر عليه شيء قليل من الاسلام ، ويقال ايضا انه اعان الثورة الجزائرية ، ومن مظاهر اسلامه انه كان يغرى تلاميذه — وكان استاذا في احدى الثانويات بعاصمة الجزائر — بالافطار في نهار رمضان ، ويقول لهم من يفتح نافذة الحجرة اعطيه سيجارة يدخنها الآن ، اما زوجته تلك فقد كانت تشبع المؤذن للصلاة — وكانت معلمة هي الاخرى مع زوجها في نفس الثانوية ، وكانت نافذة حجرتها قريبة من المسجد — شتما واهانة وتصفه بالحمار الخ ، ولو كانت هذه المرأة في بلد يحمي الدين ويرعاه ، اويتتبع باهتمام مايكتب عنه لماترك هذه المرأة تعبث وتسخر بعقيدة الشعب الجزائرى ، من غير محاكمة قانونية ، لان دين الشعب الجزائرى الذى من اجل تحريره دفع دماء وارواح ابنائه — انما هو الاسلام — والاسلام وحده — ولان دين الدولة الجزائرية هو الاسلام، كما هو مسطر في الدستور الجزائرى الذى كتبه الشهداء بدمائهم قبل ان يكتبه النواب بحبر اقلامهم .

وكانت هذه المرأة قد اعطت تصريحا — مع زميلات لها على مبدئها — الى التلفزة الفرنسية عن المرأة الجزائرية المسلمة ، فرأت وزارة التعليم — التي هي عاملة فيها واليها يرجع النظر في شأنها — ان ذلك التصريح فيه تهجم على الاسلام وعلى المرأة الجزائرية ، فاوقفتها عن التعليم — كما اوقفت بطلها — غير ان المرأة طالبت الوزارة — شرعا — فحكمت المحكمة لفائدتها ، واعيدت الى عملها لتستمر في تضليل التلامذة ، اما الآن فقد فارقت الوطن مع بطلها .

وأما الرجل فهو كاتب خيالي قصصي ، تعود أن يزين مايكتبه بخياله وتزيينه وتزويقه وتزويره كى يجلب القراء لما يكتبه وينشره ، فهو في حقيقة الواقع بعيد عن فهم الاسلام ومايدعو اليه من عقيدة سليمة وطهر وتطهير للافكار من رواسب الجهالة والالحاد ، يؤيد ذلك الدليل والعقل والواقع .

فقد كتب هذا الكاتب في صحيفة اسبوعية ، جزائرية الطبع والصدور فرنسية اللسان والافكار ، لاتكتب عن الاحداث الدينية الاقليلا ، والا اذا ارادت ان تحتقر .

كبر على هذا الكاتب ان يرى ويسمع ما يغيظ ابليس ويزعجه ويهرب منه عند سماعه ، كبر عليه ان يرى مآذن المساجد مشيدة عاليه ، منها يرتفع صوت المؤذن داعيا المؤمنين بربهم الى الصلاة ، الى طاعة ربهم ، الى مخالفة ابليس فيوساوسه ، الى الخير والفلاح ، الى توحيد الله خالق هذا العالم بما فيه ، الى الشهادة والاقرار بان الله واحد في الوهيته ، لاشريك له في ربوبيته ، وبان محمدا — صلى الله عليه وسلم — رسول مرسل من الله ، الى عباد الله ، الى آخر ما في كلمات النداء من معان ، والمؤمن الصادق في ايمانه اذا سمع المؤذن يدعو الناس الى الصلاة امتلأ قلبه خشوعا وحضر فكره الشارد في متاهات المادة والحياة البشرية المعقدة ، وذكر ربه بكل اجلال واحترام ، واسرع الى اداء مافرضه عليه ربه في دينه ، الى اداء عبادة هي اجل واعظم ما في الشريعة الاسلامية من فروض وطاعات — بعد كلمة الشهادة — وهي الصلاة ، احب القربات الى الله تعالى ، والى الرسول صلى الله عليه وسلم ، والى صالح المؤمنين ، وهي الفارق بين الكفر والايمان ، كما ورد في الحديث النبوى الشريف .

هذا الرجل او هذا الكاتب دفعه جهله بحقيقة الاسلام والحاده المنبعث من سوء تربيته الى ان يكتب في صحيفة اسبوعية تصدر باللسان الفرنسي في الجزائر ، ويظهر مما كتبه انه مدفوع الى التهجم على الاسلام .

والصحيفة هي : (اكتياليتي الجريان) اى — اخبار الوقت الجزائرية — مظهرا بما كتبه بغضه لمشاهدة آثار الاسلام باقية وماثلة امام بصره — كالقذى في عينيه — فهو يريد ان تزال الصوامع وتنسف وتهدم حتى لا يبقى لها اثر في الوجود ، وحتى لايتاذى برؤيتها — كما يتاذى الشيطان من سماع صوت المؤذن من فوقها فيفر هاربا الى حيث لايسمع صوته — لانها علامة الاسلام ، وهو لا اسلام له .

هذا الكاتب لقبه واسمه هكذا : (كاتب ياسين) والصحيفة التي كتب فيها ما ساذكره تحمل عدد (77) بتاريخ 9 افريل سنة — 1967 — كتب مستهزئا وساخرا تحت عنوان (كلاب الدوار) ما جبلت عليه نفسه الحقيرة ، والعنوان

وحده كاف في التعبير عن مراده ، والكلاب جمع كلب وهو الحيوان المعروف ، اما الدوار في الجزائر فانه يطلق على وحدة سكنية تشبه القرية الصغيرة تجمع عددا من السكان يكونون – عادة – من عائلات متقاربة في النسب (والدوار بضم الدال وتخفيف الواو) .



kateb yacine : les chiens du douar

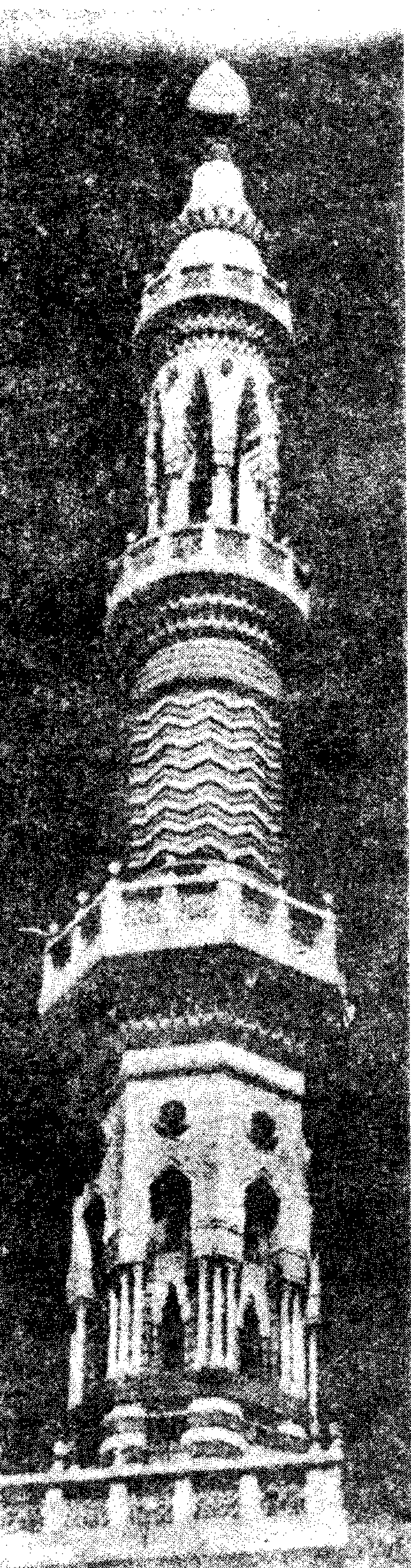
ACTUALITE ALGERIE

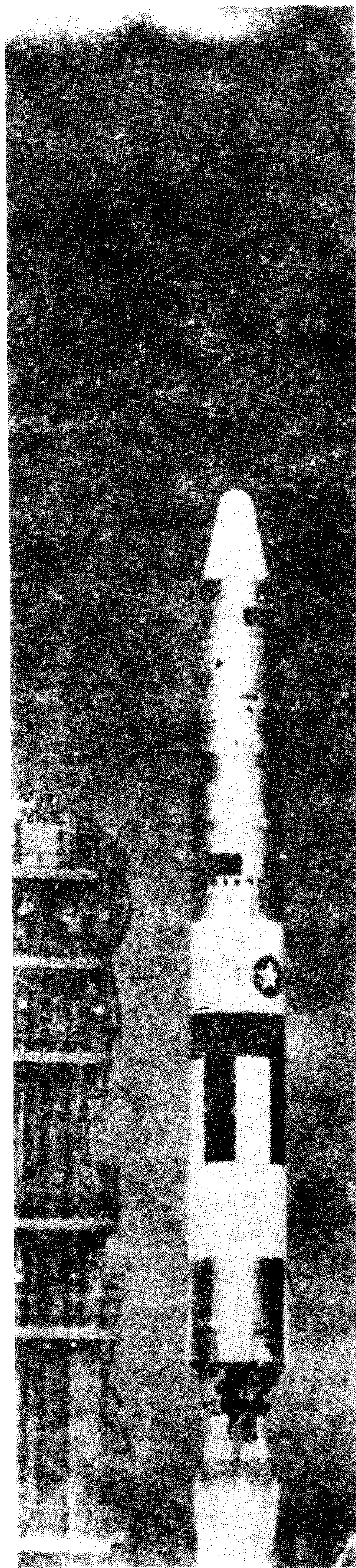
◆ 0 40 DA ◆ N° 77 ◆ DIMANCHE 9 AVRIL 1967 ◆ MAGHREB 0,50 DA ◆ FRANCE 0.60 F.

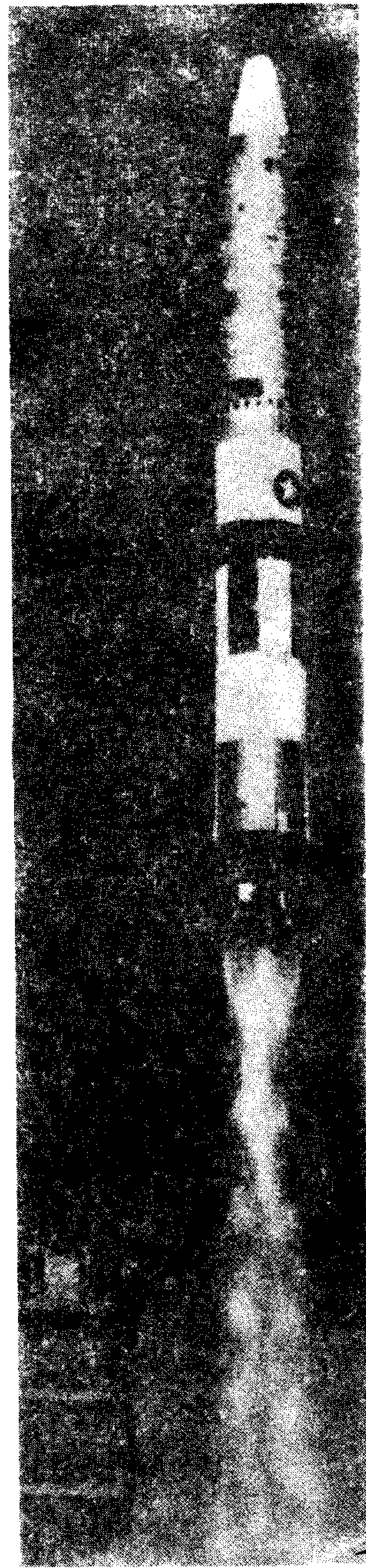
كاتب ياسين يقول فى المؤذنين : كلاب الدوار

ومن هم كلاب الدوار في نظر كاتب ياسين ؟ هم المؤذنون الذين يرفعون اصواتهم – من اعلى الصوامع – عند دخول وقت كل صلاة ، يدعون المؤمنين الى اداء فريضة الصلاة التي فرضها الله على عباده المؤمنين قائلين – الله اكبر – والاذان علامة على ان البلد بلد اسلامي ، وضم الى ذلك العنوان الساخر في وجه الصحيفة صورة كلب ينبح وصومعة وصاروخين لتطابق الصورة العنوان ، أحد الصاروخين انطلق في الفضاء وفارق الارض والآخر بدأ في الانطلاق ، والصاروخان من الصواريخ التي صنعت حديثا والتي تطلقها أمريكا في الفضاء ، وهي من صنع البشر ، وإلى الجانب من صورة الصاروخين صورة صومعة مسجد ، تشبه صوامع الحرم المكي أو الحرم المدني ، وهي ثابتة في مكانها ، وكتب فوق الصور – ساخرا متهكما من مئذنة المسجد – قائلا : (الصاروخ الذي لا ينطلق) .

une fusée qui ne démarre pas...







ويقول فى الصومعة : الصاروخ الذى لا ينطلق

والصحيفة التي تحمل ذلك العنوان الساخر مع الصور بيعت هنا في الجزائر تحت نظر السلطة ، ولم تصادر وتحجز ، بل وتمنع من الصدور على ما فعلت من جرح شعور الامة في دينها ومسجدها ومؤذنيها ، كما تباع هنا مجلات أجنبية فيها صور تحمل معها السفه والمجون ، من غير حجز ولا مصادرة ولا منع ، فهي ما دامت لم تمس سياسة وسلطة البلاد فلا حرج عليها ، ولو سخرت من دين الامة وعقيدتها .

نقول لهذا الكاتب الملحد... ولأمثاله الكثيرين

1) إن الصومعة علامة على المسجد ، والمسجد في الإسلام كما هو بيت عبادة الله الخالق ، هو أيضا مركز تهذيب وثقافة وتعليم وتربية – ومن غير شك أنك تجهل هذا – وكم أخرج المسجد من رجال عظماء ، وفطاحل نجباء ، أناروا الطريق للسائرين في متاهات الحياة ، وأرشدوهم لما فيه السلامة والنجاة ، أمثال المجاهد البطل الامير عبد القادر ، والشيخ عبد الحميدابن باديس وغيرهما لم تخرج أمثالهما الجامعات يا مسكين...

2) لماذا لم تقل ما قلته في صوامع الكنائس المسيحية التي هي عنوان الاستعمار وأثر من آثاره التى تركها في البلاد والتى تحمل اجراسا عظيمة تدق دقا شديدا كلما دعت المناسبة لدقها ؟ وأنت تسمع دقاتها ، وتشاهد بناءها عاليا في الفضاء ، نقول هذا لمجرد التنبيه لا غير ، وإلا فلكل دين شعائره ومميزاته .

وهكذا نرى بعض – **ربائب** – الاستعمار الذين تغذوا بلبانه ، وتربوا في أحضانه ، وَأُشْرِبُوا في قلوبهم حبه وحب أخلاقه ، فذهب وتركهم في هذا الوطن – بعد أن أخرج منه – يقومون بنفس المهمة التي كان يقوم بها – ولربما أكثر – وهي محاولته القضاء على الإسلام ، فهم على آثاره يهرعون ، وإلى مرضاته يسرعون ، ومن أجل ذلك رأيناهم يمجدون آثار المستعمر ، كما رأيناهم يعظمون آثار أجدادهم الرومان ، ويحتقرون آثار المسلمين الذين أتوا إلى هذا الوطن بالرحمة والهداية .

3) ونقول له ثالثا – جوابا عن تهكمه وسخريته بالصومعة صاروخ الإسلام – : إن صاروخ الإسلام – الصومعة – الذي تسخر منه وتمتهنه

قد هدم قصور الظالمين ، وحطم عروش الطغاة الجبارين لوكنت تدري – ومن أين لك أن تدري ؟ – وقد تغذيت بلبان خصوم الإسلام ، فشببت وأنت اشد على الإسلام منهم ، فقد قضى صاروخ الإسلام – الصومعة – على دولتي البطش والظلم والطغيان – في أول ظهوره منذ أربعة عشر قرنا – أعني دولتي الفرس والروم في المشرق وفي المغرب ، وهما الدولتان القويتان اللتان كانتا تتحكمان في المشرق ، ولا زال الإسلام إلى الآن يقضي على جبروت الجبابرة وطغيان الطغاة – إذا دعت الحاجة إلى ذلك – أيها المغرور .

ولا نذهب بهذا الساحر الهازيَ بعيدا ، في أرضنا الجزائرية ، وفوق تراب وطننا ، وفي أيام ثورة الامة الجزائرية المسلمة والمسلحة ، كان جنودها المخلصون صواريخ موجهة إلى قلاع المستعمر وحصونه ، فدكتها دكا عجيبا ، وقضت عليها قضاء تركتها عبرة للمعتبرين ، واثرا بعد عين ، لم يبق منها سوى هياكل تلك الحصون والقلاع مبعثرة هنا وهنالك في سائر نواحي القطر الجزائري ، رآها كل الناس إلا من أعمى الله بصره وبصيرته فلم يقو على رؤية قوة الإسلام ، في عقيدته وصواريخه البشرية ، فيرون فيها العبرة والموعظة والقوة أيضا .

الفصل الخامس :

جندي جيش التحرير الجزائري كان صاروخا بشريا صارخا

قد كان الجندي الجزائري المسلم – إبان حرب التحرير – في جيش التحرير الجزائري إذا هاجم جنود العدو المستعمر واشتبك معهم ، كان صاروخا صارخا ناطقا قائلا : (الله أكبر) ، وهي الكلمة التي يعتز بها المسلم ، وهي كذلك الكلمة التي يفتتح بها المؤذن أذانه من فوق المئذنة ، كما أنها الكلمة التي يفتتح بها المصلي صلاته ، فإذا قالها امتلأت نفسه قوة وعزيمة وشجاعة ، وفي نفس الوقت تمتلئ نفس جندي المستعمر ضعفا وخورا ورعبا وانهزاما ، بالرغم مما معه من سلاح قوي مدمر فتاك ، فيفر هذا الاخير من الاول ، نعم يفر منه لائذا بحاميته ومركزه الذي تجمعت فيه قواته وجيوشه ومعداته .

إن هذه المعاني التي ذكرتها - وغيرها كثير - هي التي بعثت القوة والشجاعة في قلوب جنود جيش التحرير الجزائري وكلها حقائق لمسها من عاش وسط جيش التحرير ، ولكن أنى للبعيد عنها - حسا ومعنى - أن يدركها أو يتذوقها ؟ ولعله لا يصدق بها ، فنقول له : (اسأل به خبيرا) إذ لازال الكثيرون من جنود جيش التحرير الصادقين أحياء ، فإذا أردت الحقيقة فاسأل ، ولا تحكم خيالك في أمر واقع ومشاهد .

كَالْبَدْرِ لاَ تَخْتَفِي لَيْلاً أَشِعَّتُهُ   إِلاَّ عَلَى أَكْمَهٍ لاَ يَعْرِفُ الْقَمَرَ

فالنتيجة التي شاهدناها نحن هنا ، كما شاهد العالم - أجمع - آثارها نتيجة لا تنكر ، وهي انتصار جيش التحرير الوطني الجزائري على جيش - بل جيوش - مغتصب بلاده ، انتصر عليه بصواريخه البشرية التي صنعت في مصانع المآذن المسجدية ، فانطلقت مدوية في الفضاء ، محطمة كل قوة وجدتها أمامها ، فأحيت بذلك عمل أسلافها الابطال وأثبتوا للعالم أجمع أن قوة الإسلام - المؤيدة من الله - لا تغلب ، لان الله معها وفي عونها ، ومن كان الله في عونه فاز بالنصر والغلبة ، ولم نسمع ولم نر في ذلك الوقت شيئا يدل على بطولة الملاحدة أو انتصاراتهم على العدو الجاثم على صدر الوطن ، بل الذي نعرفه عنهم أنهم فروا هاربين إلى خارج حدود الوطن ، خوفا على أنفسهم من الموت أو التعذيب أو حتى الاعتقال تاركين الشعب الجزائري - بإسلامه - يواجه العدو في محنته ، وما أن انتصر على المستعمر وهدأت موجة الاعتقالات والسجن ، ولا أقول الموت لانهم ليسوا ممن يتشرفون بها ، قلنا ما إن هدأت العاصفة حتى رجعوا إلى البلاد وجاؤوا للاستغلال ، مقترحين وعاملين بحيلهم على قادة البلاد بأن تكون الدولة الجزائرية الجديدة دولة - لائكية - أي لا دين لها كالمولود - غير الشرعي - الذي يولد من أبوين غير معروفين ، فلا يعرف له أصل ، ولا دين ، ولا وطن ، فباؤوا بالفشل ، وجاء دستور البلاد ينص على أن دين الدولة (الإسلام) فبقوا ينشرون - بين الحين والآخر - ما يمسون به شعور المسلمين ، ويؤذون به أرواح الشهداء الذين بذلوا أرواحهم فداء لدينهم وعقيدتهم ، يؤذونهم في أعز عزيز عليهم وهو دينهم وعقيدتهم .

ليعلم هؤلاء - وغيرهم - أن الجزائر تحررت بقوة الإيمان والإسلام

الدافعة إلى الامام ، إذ أن هذه القوة لا تعرف الرجوع إلى الوراء ، فأخرجت العدو المستعمر من أرضها ، وتحررت من عبودية العدو الغاشم ، بالإسلام ودفعته إلى ما وراء البحار «**فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ**» (1) .

إذا ، فأين هذه الصواريخ البشريةالنافعة — بالمقارنة — من تلك الصواريخ الجهنمية المدمرة التي تفخر وتفاخر بها — يا كاتب ياسين ؟ — فتعدها شيئا عظيما ، وما هي في واقع أمرها إلا آلات أعدت للتخريب والتعذيب ، واكتشفت لتزيد الطغاة طغيانا ، والظلمة ظلما وعتوا وفسادا في الارض ، كما زادت وتزيد الضعفاء تعاسة ومهانة وتشريدا في الارض .

ليفهم هذه المعاني الحقيقية — التي لا خيال فيها — من لا يزال لم يفهم ، ليفهم من أراد أن يفهم سر الإيمان وما يتركه الدين من أثر طيب صالح نافع في نفوس أتباعه ، فالشعب الجزائري حارب عدوه المستعمر بروح إسلامية ، فكلمات : شهيد ، وشهداء ، وجهاد ، ومجاهدين ، وفي سبيل الله كل هذه الكلمات التي كانت مستعملة إبان المعركة كلمات دينية إسلامية أحب مز أحب وكره من كره ، لان مدلول الكلمات لا يتغير بتغير الافكار والاشخاص ولا زالت هذه الكلمات مستعملة إلى الآن ، ولا يزال يعيش في ظلها أناس لم يكونوا من أهلها .

الفصل السادس : موقف العلماء من هؤلاء الساخرين

وهكذا نشاهد في كل وقت اعتداآت تصدر ممن لا يقدر أحاسيس الامة الجزائرية المسلمة ، نشاهدها تتكرر بين الحين والآخر ، وهنا قد يخطر على البال سؤال يوجه إلى العلماء وهو : لماذا أنتم ساكتون عن هذا الهذيان أو الاباطيل من هؤلاء المحمومين ؟ ومالكم لا تردون عليهم بهتانهم ، وتقنعونهم إن كانوا يريدون الاقتناع بأن آراءهم خاطئة ؟ وأفكارهم مسمومة بسم الإلحاد والملاحدة ، والاستعمار والمستعمرين ، وكل هؤلاء خصوم وأعداء للإسلام والمسلمين ، يعملون بكل طاقاتهم على محو الإسلام وآثاره من هذه الارض... ؟

---

(1) سورة الانعام الآية 45 .

نجيب بأن العلماء على علم من هذا وامثاله ، غير انه لم يسمح لهم ، بنشر الردود على افتراآت المفترين ، وكم من رد ارسلوه للصحف لينشر فاهمل، وقد كانت «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» (المؤسسة عام 1931) بالمرصاد – في ايامها – لكل من يتهجم على الإسلام – سواء ممن ينتسبون اليه أم من خصومه – ترد عليه بما يليق به وبأمثاله ، وأعمالها ومواقفها معلومة غير مجهولة ، غير أن ظروف الجزائر الحالية – وبعد الاستقلال طبعا – قضت على كل مؤسسة كانت قبل الاستقلال بالتعطيل ، لذلك اجتمع جماعة من العلماء وأنصار العلم والدين ، وأسسوا جمعية دينية – حسبما يسمح به الدستور الجزائري – باسم (جمعية القيم الإسلامية) سنة 1963م ، وأصدرت الجمعية مجلة لها تحمل اسم "مجلة التهذيب الإسلامي" وعملت الجمعية مدة ثلاث سنوات – في دائرة محدودة – غير أن كل ما له مساس بالدين لم يرق في أعين من كانت نياتهم سيئة بالنسبة للدين الإسلامي – بالخصوص – لما فيه من الروح والحيوية ، فترصدوا لها المراصد علهم يجدون لها سببا يقضون به عليها ، فكانت محنة محاكمة العلماء في مصر سنة "1966" وعلى رأسهم الشهيد (سيد قطب) فأرسلت الجمعية برقية التماس لرئيس مصر الراحل جمال عبد الناصر ، ترجوه فيها أن يتدخل في القضية بأن يخفف على من حكمت عليهم المحكمة بالإعدام ، والذي قامت به الجمعية أمر يقتضيه واجب التراحم والاخوة الإسلامية ، فظهر أن هذا السعي الإسلامي لم يعجب الملاحدة ، سواء من كان منهم في الداخل أو في الخارج ، إذ المكيدة كانت مدبرة من قبل الملاحدة – كما كشف عنها النقاب من بعد – وما الاتهامات والمحاكمات إلا شيء صوري لا غير .

والمعروف عند جميع الدول والشعوب أن عملا مثل هذا العمل الذي قامت به جمعية (القيم الإسلامية) شيء معروف ومستعمل ، فهل في إرسال الجمعية لبرقية الالتماس شيء مخالف للقوانين والاعراف الدولية ؟ وهل يعد مثل هذا تدخلا في شؤون الغير ؟ – والإسلام جعل المسلمين كلهم إخوة – فقاموا للبرقية – تلك – وقعدوا ولم يجدوا لها غير سلاح واحد ، وهو حل جمعية (القيم الإسلامية) ، وتعطيل المجلة، وبذلك وقف نشاطها – كجمعية – وتعطلت عن أداء مهمتها ، وهذا هو النظام الاشتراكي في كل بلد ، فإنه لا يسمح بتأسيس أية هيئة أو تشكيلة – كيفما كانت – إلا إذا كانت تخدم مبادئه وتحمد أفعاله وتؤيدها .

والامة الجزائرية لم تعرف في أيام محنتها الطويلة إلا الإسلام ، فهو الذي أمدها بالحياة والبقاء ، فأبقى فيها روح الإيمان ، وهو الذي أوقد فيها شعلة الحياة الحرة الكريمة ، فلم تعرف الملاحدة إلا من بعيد ، ولكنها اليوم تعاني من تدخلاتهم الشيء الكثير .

الفصل السابع :

الاحتفال بالآثار الرومانية تعظيم للشرك والمشركين : ما هو الداعي إلى هذا ؟

لقد رأينا ـ أمثال ـ كاتب ياسين ـ يمجدون ويعظمون ويحفلون بالآثار الرومانية التي تركوها في هذه الارض ـ لا الآثار الإسلامية ـ ويعظمونها إلى حد كبير .

حقا لقد رأينا في هذه السنوات الاخيرة ـ وبعد الاستقلال طبعا ـ البعض ممن لا يزالون يحنون إلى عهد القهر والظلم واغتصاب الاوطان ، عهد الرومان المشركين ، رأينا هذا البعض يعملون ـ جاهدين ـ على ترضية الاستعمار الذي طرد من البلاد ، فقد عمدوا إلى إقامة حفلات سنوية ـ فنية ـ تقام بين أطلال بلدة (تيمقاد) الرومانية القريبة من مدينة "باتنة" عاصمة ولاية "الاوراس" يقام وسط الاحجار المنحوتة ، والهياكل الرومانية ، تنفق من أجلها الاموال الكثيرة ، كل ذلك احتفاء بأجدادهم الرومان ـ ولعلهم من حفدتهم ـ تقام هذه الحفلات بين بقايا آثار الرومان بالمكان المذكور ، وأمام التماثيل والاحجار والاقواس ، تماما كما يفعل عباد الاوثان بأوثانهم في أعيادهم لآلهتهم ، يجتمعون فيها للرقص والغناء والطرب الخ ، ويدعى اليها حفدة الرومان من أروبا ، ويجعلون لها أسبوعا معينا في السنة ، يمر كله وهم تحت التماثيل التي نحتها الرومان عباد الاوثان ، فهو احتفال واحتفاء ـ في الواقع ـ بها ، أسبوع كامل يمر وهم بين الاقواس والمسارح الحجرية ، بعنوان (أسبوع الثقافة) أو المحافظة على الآثار الرومانية ـ حقا ان العرق دساس ـ فالثقافة صارت عندنا عنوانا على الرقص والغناء والمحرمات الشرعية وغير ذلك كما تقدمت الإشارة إلى مثل هذا في أسبوع ـ العلم ـ الذي يقام عادة لذكرى وفاة المرحوم الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، واصل الثقافة حذق الشيء وفهمه ، بمعنى العلم والمعرفة .

كل هذا تضليل وبهتان ، والواقع أنه تمجيد وتعظيم وتقدير لما تركه الرومان هنا في هذه الارض وهو في نفس الوقت تزلف وترضية لحفدة الـــرومـان .

إننا لم نشاهدهم يحتفلون بالآثار الإسلامية — وهي كثيرة — أصلا ، فما الذي دفعهم إلى الاحتفال بالآثار الرومانية ... ؟؟؟ والفرق عظيم جدا بين ما تركه الإسلام والمسلمون فوق هذه الارض — عندما حلوا بها — وما تركه الرومان فيها عندما استولوا عليها ، فالإسلام والمسلمون أتوا إلى هذه الارض بالنور الإلهي ، النور الذي بدد ظلمات الجهل والشرك والضلال ، وقضى على الخرافات التي كانت منتشرة في الارض ، كما قضى على عبادة المخلوق للمخلوق — فيما هو من خصائص الخالق — وطاعة المخلوق للمخلوق ، والخوف من المخلوق إلى غير ذلك مما جاء به الإسلام — شريعة الله — من رحمة وعدل وإحسان وحب وخير وفضائل ، وفي المقدمة تحرير العقل من كل ما كان يتخبط فيه من أنواع الضلالات ، فقد كون الإسلام مجتمعا خاليا من الفواحش والمناكر التي تفسد الاخلاق ، وتولد الامراض في المجتمع الذي تزرع فيه ، والمشاهد أقوى حجة على من لم يفهم أو يعترف .

كل هذه الفضائل الإنسانية بثت إلى المسلمين في المساجد — ولا زالت تبث لهم إلى الآن — التي في جوانبها المآذن الشامخة ، التي يهزأ منها كاتب ياسين وأمثاله ، ومنها يستمع المسلمون إلى دعوة الداعي ، فيهرعون اليها ملبين النداء ، ويفر الشيطان وأعوانه منها بعيدا حتى لا تسمع آذانهم تلك الدعــوة الروحيـــة .

الفصل الثامن : الشريعة الإسلامية تنهى عن تعظيم المشركين وآثارهم

إن الإسلام هو دين التوحيد الخالص من كل شائبة شرك ، فهو الدين الذي يبطل عبادة الآلهة الباطلة ، ويثبت الالوهية الحقيقية لله الواحد القهار الخالق لكل شيء ، خلقه فقدره تقديرا ، فأساس الإسلام هو التوحيد — لا إله إلا الله — بمعنى لا معبود بحق غير الله ، ولا شريك مع الله ، فكل من اتخذ مع الله الها آخر فهو مشرك كافر بالله ، جاحد لخالقه ، ولهذا ورد النهي من الله تعالى عن تعظيم الآلهة الباطلة ، والافتخار بالمشركين

وأعمالهم وآثارهم ، ولو كانوا آباء أو أجدادا أو اخوة ، فالإسلام قد قطع جميع الصلات بين المسلمين المؤمنين بالله الواحد الاحد ، وبين المشركين الجاحدين ، السابقين منهم واللاحقين ، فيحرم على المسلم المؤمن الموحد لله أن يفتخر أو يفاخر أو يعظم المشركين ومعبوداتهم وآثارهم ، لان الفخر بهم إقرار لهم على شركهم ، ورضى بكفرهم ، ولا يصدر هذا وأمثاله ممن آمن بربه ، ودرى أن الشرك باطل وظلم عظيم **« إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ »** وان المشركين كانوا على ضلال مبين .

لمثل هذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم من آمن من قومه – قريش – عن الافتخار بآبائهم ، لانهم كانوا مشركين ، والمشرك لا يستحق التعظيم والفخر به والانتساب اليه .

جاءت الاخبار تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عند باب الكعبة – المشرفة – يوم فتح مكة المكرمة – وخاطب قومه قريشا بأن يدعوا ما كانوا عليه من الفخر بآبائهم المشركين الضالين ، فبعد أن وحّد الله وأثنى عليه بما يليق بجلاله ، بيّن أن الله هو الذي أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده ، ثم قال :

(يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ... إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظُّمَهَا بِٱلْآبَاءِ ، ٱلنَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، ثُم تلاَ هذه الآية : «يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»)(1)

وأخرج أبو داود في سننه ، في كتاب "الادب" تحت عنوان (التفاخر بالانساب) بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنهقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن ٱللهَ عز وَجل قد أذهبَ عنكُم عُبِّيَّةَ(2) ٱلْجَاهِلِيَةِ وَفَخْرَهَا بِٱلْآبَاءِ ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ ، وَآدَمُ من تُرَابٍ ، لَيَدَعَنَّ

---

(1) سيرة ابن هشام ، والآية 13 من سورة الحجرات .
(2) عبية بضم العين وكسرها وكسر الباء وفتح الياء المشددتين هي التعاظم والتفاخر .

رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى ٱللَّهِ مِنَ ٱلْجِعْلَانِ ٱلَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا ٱلنَّتْنَ)(1) .

فالرسول عليه الصلاة والسلام خاطب قريشا بهذا الخطاب ــ في ذلك اليوم ــ الذي له عواقبه في الطاعة والعصيان ، وقريش كانت تذكر دائما مفاخر آبائها وأجدادها وتعتز بها ، فهو يقول لهم : ان الله ينهاكم عن الافتخار بعظمة آبائكم وأجدادكم الكفار المشركين ، ويأمركم بترك نخوة الجاهلية ، حيث أبدلكم بذلك فخر الإسلام وعز التوحيد واتباع سبيل الحق والصواب ، بعد أن كنتم وكان آباؤكم وأجدادكم يتخبطون في ظلام الجاهلية الجهلاء ، ويسلكون طريق الباطل والظلم والعدوان والفساد في الارض فليفتخر وليفاخر ــ من أراد ذلك ــ بالإسلام والمسلمين الرحماء ، لا بالشرك والمشركين القساة ، والاحساب الماضية لا تساوي شيئا ، ثم أكد عليهم بترك ذلك الفخر ، وإلا كانوا أحقر على الله من ــ الخنافس ــ التي تدفع القذرة والنجاسات بأنفها ، وتشم بذلك الرائحة الكريهة الخبيثة ، وهو تمثيل عجيب ، فيه معنى دقيق لمن تدبره وفهم ما فيه من معاني الخسة والحقارة والهوان .

ويزيد هذا توضيحا ما رواه الإمام أحمد في مسنده ــ وانفرد به ــ عن أبي ريحانة ، واسمه سمعون ، وقيل شمعون ، وقيل غيرهما ، رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنِ ٱنْتَسَبَ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءٍ كُفَّارٍ يُرِيدُ بِهِمْ عِزّاً وَفَخْراً ــ وفي رواية عِزّاً وَكَرَماً ــ كَانَ عَاشِرَهُمْ فِي ٱلنَّارِ) أو هو عاشرُهُمْ في ٱلنّار كما جاء في بعض طرق الحديث .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر المسلمين من الانتساب إلى أجدادهم المشركين ، بقصد الفخر والاعتزاز بهم ، فالاعتزاز بالرومان أو بالفراعنة

---

(1) الجعلان بكسر الجيم وسكون العين ، جمع جعل بضم الجيم وفتح العين : دويبة صغيرة مثل الخنفساء ، تجعل من العذرة كرة ــ لتتمعش منها ــ ثم تدفعها بأنفها ، ولا تعيش الا مــن الاوساخ والنجاسات ، ويقال انها تموت من رائحة الورد وكل رائحة طيبة ..

أو غيرهم كالبربر المشركين الكافرين يشمله هذا النهي وهذا الوعيد الشديد ، إذ لا عزة إلا بالتوحيد وطاعة الله وتقواه ، كما في الآية المتقدمة ، وهي قوله تعالى :

«يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ».

فمن – يا رب – للمسلمين الذين تركوا عز الإسلام والتوحيد والخلق الكريم ، وراحوا يبحثون وينقبون في المقابر والآثار عن رفات الجاهليين والمشركين ، ليباهوا بها وبهم الامم الجاحدة لربها المنكرة لخالقها ، بأنهم هم – أيضا – كان لهم أصل في الشرك ، فها هم يحنّون اليه ، ويعتزون به.. ؟؟ فاللهم انقذهم من هذا الضلال المبين ، فقوم منهم يفاخرون بآثار الرومان ، وآخرون بآثار الفراعنة ، وآخرون بآثار البابليين أو الآشوريين أو العمالقة ، أو القرطاجنيين ، أو البربر... وتنفق حكوماتهم في سبيل ذلك الاموال الوافرة في سبيل المحافظة على تلك الآثار – لانها تجلب السواح ومعهم المال ، أما العقيدة وأثرها فلا قيمة لها – فهي تذكر بالشرك والمشركين ، ومالهم لا تكون لهم أسوة فيما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم بأصنام المشركين التي كانت في الكعبة المشرفة ؟ فقد كسرها جميعها يوم فتح مكة ، وهو يتلو قول الله عز وجل :

«وَقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً»(1) إذ من هذه التماثيل يدخل الشرك إلى القلوب ،ويعود إلى الحفدة ،كما ذكر العلماء في سبب عودة الشرك وظهوره إلى الارض بعد أن طهرت منه بالطوفان ، ذلك أن إبليس أخرج الاوثان التي كانت رُدمتْ بالطوفان ،وهي المذكورة في سورة نوح عليه السلام في الآية (23) وهي : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، وهي تماثيل كانت تمثل رجالا صالحين ، فجاء إبليس إلى الحفدة ووسوس لهم وحثهم على عبادتها ، وقال لهم : هذه آلهة آبائكم فاعبدوها – برورا بهم – كما كانوا يعبدونها فعكفوا على عبادتها ، وكما فعل – السامري – ببني إسرائيل – قوم موسى – كما أخبر بذلك القرآن في قوله : «فَكَذَلِكَ

(1) سورة الاسراء الآيـــة 81 .

أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ» (1) ؛ فالسامري اتخذ من ذهب بني إسرائيل عجلا له خوار – وهو صوت العجل – وحث بني إسرائيل على عبادته ، وقد رأينا مِنْ تَعَلَّقَ بعض المسلمين بذلك ما يذهل ، فشرعوا يسلكون طريق العودة إلى ما كان عليه أولئك الاجداد المشركون ، بتعظيمهم والانتساب اليهم والافتخار بهم وبأعمالهم ، فمن أنواع ذلك التعظيم وإحياء تلك الآثار الرجوع إلى التسمي بأسمائهم ، فقد صاروا يسمون أولادهم بأسماء أولئك الاجداد المشركين ، مثل (فرعون) وهو الذي قال – جهلا وغرورا – «أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَى» ، كما قال : «مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي» ، ومثل هذا من سمى ابنته (الكاهنة)(2) يقصد ملكة الاوراس البربرية ، أو من سمى ولده (يوغرطة) مما رأيناه آخذا في الانتشار إذا لم يرجع المسلمون إلى أصل دينهم النقي من هذه الآثار والاقذار الشركية.

ومن تعظيم آثار المشركين الدعوة الى العودة للغة البربرية ، فقد أخذ البعض ممن أصلهم بربرى في وضع حروف للغة البربرية – وهي لغة بلا حروف – يريد من وراء ذلك الاعتزاز بها ، ولتكون عوضا عن اللغة العربية – لغة القرآن – في الجهات التي لازالت مستعملة فيها كلغة للتخاطب في منطقتها فقط ، ولسنا ندرى ما تحمله الايام في طياتها ، ولعله سيتقدم – في يوم ما – بمشروعه ، طالبا من الحكومة موافقتها عليه ليصبح نافذ المفعول والتطبيق ، وهي دعوة جاهلية عنصرية يمقتها الاسلام ، لانها تدعو الامة الى الانقسام والتفرق ، زيادة عن كونها تحارب لغة القرآن .

وبهذه المناسبة نذكر ما قام به المستعمر ايام احتلاله للوطن ، فقد حاول التفرقة بين ابناء الدين الواحد والوطن الواحد ، من جهة العنصرية والطائفية فلم يفلح ، بالرغم مما بذله من مجهود ، من ذلك أنه أنشأ محطة اذاعية خاصة باللغة البربرية ، تبث برامجها سائر اليوم وطائفة من الليل ، واستمر عملها الى يومنا هذا ، ولربما زاد على ما كان في أيام المستعمر ، كما استمر عمل محطتي الاذاعة والتلفزة باللغة الفرنسية – لغة المستعمر – الى الآن ايضا في أرض

(1) سورة طـه الآيـة 88 .
(2) وهي التى اعانت ملك البربر « كسيلة » على قتل الفاتـح العظيم عقبة بن نافع الفهرى رضى الله عنه .

الجزائر العربية اللغة ، نحن نعرف ان الامم كلها تذيع برامج بلغات أجنبية ، وفي أوقات قليلة لتطلع الاجانب عنها بما يحدث في الداخل والخارج من غير ان تهضم حق لغة الوطن .

كلنا يعرف أن أشرف اللغات انما هي اللغة العربية ، باعتراف جميع العلماء في القديم والحديث ، لان الله عز وجل أنزل بها القرآن ، وهو أشرف الكتب السماوية ، فما معنى ابعاد استعمالها من وسط قسم من سكان الجزائر المسلمين ؟ واستعمال اللغة البربرية بدلها ، وهي اللغة التي لا حروف لها ولاحساب ، لو لم يكن المقصود من ذلك انما هو إحياء النَّعَرَاتِ القديمة التي قضى عليها الاسلام ،وفي ذلك تشتيت لعناصر الامة الواحدة التي وحدها الاسلام دين التوحيد.

فمشروع كهذا لايستحق الا الرفض والاهمال ، لانه يهدف الى إحياء العنصريات التي اماتها الاسلام ، وسماها الرسول صلى الله عليه وسلم —دعوة الجاهلية — وقال: **(دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ)** وقد سمعنا البعض ممن ينتسبون الى العلم والدين لازالوا يستعملونها في دروسهم ، ومخاطبوهم يحسنون العربية. ولعلهم يظنون أن هذا دليل على وطنيتهم واخلاصهم للغتهم البربرية .

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن استعمال لغة غير اللغة العربية لمن يحسن التكلم بها ، لانها لغة القرآن والدين والوحدة ، فقد أخرج الحاكم في المستدرك ما يفيد ذلك .

1) اخرج الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ فَلاَ يَتَكَلَّمَنَّ بِالْفَارِسِيَّةِ ، فَإِنَّهُ يُورِثُ النِّفَاقَ)** .

2) وجاء فيه ايضا : عن يحي بن كثير عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(مَنْ تَكَلَّمَ بِالْفَارِسِيَّةِ زَادَتْ فِي خُبْثِهِ، وَنَقَصَتْ مِنْ مُرُوءَتِهِ)** فمتن الحديثين وان لم يبلغ درجة الصحة او الحسن الا ان معناهما يوافق دعوة الاسلام الى الوحدة ونبذ العنصرية . فالتكلم بلغة غير اللغة العربية في وسط اسلامي فيه نوع من النفاق والخبث والبغض للغة العربية ، وذلك يعود في الدرجة الاولى الى مدى تمكن الاسلام من القلب والنبي صلى الله عليه وسلم انما ذكر اللغة الفارسية لانها اللغة التي كانت مستعملة في زمنه ومثلها الآن الفرنسية والبربرية الخ ، نسال الله الهداية والتوفيق .

الفصل التاسع : افتخار أمراء المسلمين بإسلامهم ، واعتزازهم بدينهم

كان الحكام المسلمون محل احترام ومحبة وطاعة لانهم الحماة لهم والمحافظون على أموالهم واعراضهم ، والمدافعون عن حرماتهم ،من دين وعقيدة واعراض وغير ذلك ،وقدطبع الاسلام الواحد منهم بطابعهالخاص ،ورباه بتربيتهالكاملة من حبه الخير للمسلمين ، وأمره بالتواضع للكبير والصغير والذكر والانثىءوالغني والفقير ، بلا فرق بينهم،ونهاه عن اغلاق بابه دون ذوى الحاجات منهم ، كى يصلوا اليه في كل أوقات الحاجة وهو يجتمع معهم في المسجد ومشاهد الخير ولم يرض له ان يكون جبارا عنيدا قاهرا لايصل اليه أحد من ذوى الحاجات الااذا كان من المقربين اليه ، او من أصدقاء المقربين اليه ، تلك هي تربية الاسلام للحكام المسلمين ، نراها ظاهرة جلية في فخر الاسلام والمسلمين ، الامير العادل والخليفة الصالح عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد افصح عما كان عليه العرب قبل الاسلام من ذلة وهوان وتفرق ، وعما وصلوا اليه بعد ان جاءهم الاسلام من عزة وكرامة وقوة واتحاد ،فمن اراد العزة والفخر فعليه بالاسلام .

فقد روى الحاكم في المستدرك بسنده الى طارق بن شهاب قال : (خرج عمر بن الخطاب الى الشام ، ومعنا ابوعبيدة بن الجراح ، فاتوا على مخاضة (1) وعمر على ناقة له ، فنزل عنها ،وخلع خفيه ،فوضعهما على عاتقه ، واخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة ، فقال له ابوعبيدة : يا أمير المؤمنين أأنت تفعل هذا؟ تخلع خفيك ،وتضعهما على عاتقك ،وتأخذ بزمام ناقتك ، وتخوض بها المخاضة ؟؟؟ مايسرني ان اهل البلد استشرفوك (2) فقال له عمر : أوه ... لو يقل ذا غيرك ابا عبيدة جعلته نكالالامة محمد صلى الله عليه وسلم ، إنّا كنّا أذل قوْم فأعزنا الله بالاسلام ، فمهمْا نطلُب العزبغيْر ما أعزنا الله به أذلّنا الله) ، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وفيه ايضا من طريق آخر عن طارق بن شهاب قال : (لما قدم عمر الشام لقيه الجنود ، وعليه ازار وخفان وعمامة ، وهو آخذ براس بعيره يخوض الماء ، فقال له يعني قائل (يا أمير المؤمنين تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على حالك هذه ...؟ فقال

(1) المخاضة موضع فيه ماء فيخوضه المارة مشاة وركبانا .
(2) استشرفوك راوك من مكان عال .

عمر : إنا قوْم أعزنا الله بالاسْلام ، فلن نبْتغي العز بغيْره) (1)

نرى من هذا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لولا مقام قائده عنده ابي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وهو الصحابي الجليل لولا ذلك المقام والمنزلة التي هو فيها لضربه عمر ونكل به حتى يجعله نكالا وعبرة لغيره، لانه اغتر بالمظاهر، ولم ينظر – كعمر – الى حقيقة العربي المسلم الذى رفع الله عنه الذل والمهانة بعز الاسلام لابغيره، فكلمة عمر ردع وتوبيخ لاولئك الذين يحاولون ان يصلوا الى العزة من غير طريق الاسلام، فالعزة والقوة انما هما في الاسلام لاغير، ولهذا راينا ما اصاب العرب والمسلمين من ذلة وهوان حين تركوا الاسلام بما فيه من عبادات ومعاملات وعظمة وتشريع، ولن يرجع اليهم ما فقدوه الابرجوعهم الى دينهم ، والا فلا يطمعون .

ومن إدراك بعض أمراء العرب لحقيقة أنفسهم – كما تقدم في كلمة عمر رضي الله عنه – ومقارنة حالتهم وما كانوا عليه قبل الإسلام من الفقر والمذلة والهوان ، وما صاروا إليه بعد أن جاءهم الإسلام من الغنى والعزة والكرامة ، من أولئك الذين لم تطغهم الإمارة فعرفوا حقيقة أنفسهم : الصحابي الجليل عتبة بن غزوان أمير البصرة من قبل الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما ، فلنستمع إلى خطبته القيّمة ، بل إلى موعظته البليغة أمام ملإ من رعيته .

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

(أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولّت حذاء ، وإن ما بقي منها صبابة كصبابة الإناء ، وأنتم منتقلون عنها إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما يحضركم ، فإنه ذُكرَ لنا أن الحجر يُلقى من شفير جهنم فيهوي سبعين عاما لا يدرك لها قعرا ، والله لتُملأن . أفعجبتم ! ؟ ولقد ذُكرَ لنا أن ما بين مصرَاعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما ، وليأتين عليها يوم وللباب كظيظ من الزحام ، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومالنا طعام إلا ورق الشجر ، حتى تقرحت أشداقنا ، فالتقطت بردة فاشتققتها بيني وبين سعد بن مالك ، فاتّزرت ببعضها ، واتّزر هو ببعضها ، فما أصبح اليوم منا واحد إلا وهو أمير على مصر

(1) المستدرك ج 1 ص 62 .

من الامصار وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما وعند الناس صغيرا) .

ومن هذا القبيل ما ذكره ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما عند تفسيرهما للآية 26 من سورة الانفال وهي : «وَاذكُرُوا إذْ أنتُمْ قليلٌ مُستضْعفُونَ في الارض تخافُونَ أنْ يتخطّفكُمُ النّاس فآوَاكُمْ وَأيّدكُمْ بنصْره وَرَزَقكُمْ منَ الطّيّبات لعلّكُمْ تشكُرُونَ» فقد رووا عن قتادة رضي الله عنه أنه قال : (كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلا ، وأشقاه عيشا ، وأجوعه بطونا ، وأعزاه جلودا ، وأبينه ضلالة ، مكعومين(1) على رأس حجر بين الاسدين : فارس والروم ، لا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يُحسدون عليه ، من عاش منهم عاش شقيا ، ومن مات رُدِيَ في النار ، يؤكلون ولا يأكلون ، والله ما نعلم قبيلا يومئذ من حاضر الارض كان أشر منزلا منهم ، حتى جاء الله بالإسلام ، فمكن به في البلاد ، ووسع به في الرزق ، وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا لله نعمه ، فإن ربكم منعم يحب الشكر ، وأهل الشكر في مزيد من الله عز وجل) .

سمعنا من بعض المغرورين من قال : تريدون منا أن نرجع إلى عهد عمر وما كان عليه ، فذلك زمان وهذا زمان... ولولا الغرور بالنفس لما صدر منه هذا القول ، ولو تأمل في حياة عمر وفي زمنه لرأى أن تطبيق ما كان عليه عمر هو الآن أيسر ، نظرا لما بسط الله من الرزق وتيسير سبل الحياة ، والذي ينقصنا الآن عن زمن عمر إنما هو الإيمان بالله وبقضائه والامتثال لما ورد في شرع الله ، إن عمر كانت تأتيه الاموال الوافرة ، والالبسة الفاخرة من حرير وغيره ، فلم يكن – رضي الله عنه – يقتطع لنفسه ما يعجبه ، والباقي يوزعه على رعيته ، بل كان يوزعها على الرعية ويبقى هو في عباءته المرقعة وكسرة الشعير ، والمميز الوحيد بين حياة اليوم والحياة في زمن عمر إنما هو الإيمان وقوته وسيطرته على النفوس والمشاعر ، وتقوى الله والخوف من حسابه وعقابه ، وانعدام ذلك منا ، وقد أعز الله به الإسلام استجابة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما أمثال

(1) مكعومين مأخوذ من كعم الجمل اذا ربط فاه بحبل حتى لا يعض غيره

من صدر عنه ذلك القول فقد أذل الله بهم الإسلام لانهم أعرضوا عن مادة عزهم واتبعوا الشهوات ، فالقرآن ينبه المسلمين إلى أن عزهم واعتزازهم كامن في دينهم ، فالله يقول : «وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ»(1) ، نزلت هذه الآية بعد ما قال كبير المنافقين – عبد الله بن أبي بن سلول – قوله الدال على غروره ونفاقه كما حكاه القرآن ليبقى يذكر المؤمنين بأقوال المنافقين ، وذلك قوله : «لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ»(2) فالمنافق يريد بالاعز نفسه ، وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد صدق قول الله وخاب المنافق ، فأعز الله رسوله والمؤمنين ، وأذل الكفر والمنافقين ، «قَاتِلْ بِسَعْدٍ وَإِلَّا فَدَعْ» .

ومن خلال ما تقدم نرى أن البعض من المتعلمين والمثقفين ثقافة غير عربية إسلامية لم يفيدوا أمتهم بشيء مفيد من ثقافتهم تلك – إلا القليل منهم – بل راحوا يسخرون ويضحكون من أمتهم وثقافتها العربية ومقدساتها الدينية ، مثل ذلك الكاتب – كاتب ياسين – الذي سخر واستهزأ بحرمة المسجد وصومعته ، وفي الوقت ذاته يفخرون بلسانهم الاعجمي الجديد ، ويفخرون بما تعلموه ، ومنهم من تنكّر لدينه ولغته ووطنه وجنسه فنبذ الدين وحقوقه ، والوطن وواجباته ، والجنسية وفضائلها التي كان عليها اجداده ، فلم يأت لامته بالمحاسن التي وجدها في اللغة التي تعلمها ، كما هو الشأن في كل من تعلم لغة غير لغته الاصلية ، يأخذ ما فيها من آداب ومحاسن ، وينقلها إلى لغة قومه – من طريق الترجمة – بل رأيناهم بعكس هذا يعملون على الابتعاد من لغتهم وآدابها ساخرين مستهزئين منها ويستعملون في مخاطباتهم لبعضهم اللغة الاجنبية عوضا عن اللغة العربية الشريفة التي شرفها الله بالقرآن ، مما عاد بالخسارة عليهم وعلى أمتهم .

فالذي يستعمل في محادثاته ورسائله لغة غير اللغة العربية – وهو يعرف العربية – فذلك دليل على بغضه للعرب ، كما هو دليل على نفاقه ، فقد جاء في بعض الاحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (حُبُّ ٱلْعَرَبِ إِيمَانٌ وَبُغْضُهُمْ نِفَاقٌ) (3) وقال عليه الصلاة والسلام لسلمان الفارسي

(1) و (2) الآية 8 من سورة المنافقون .
(3) رواه الدارقطني عن ابن عمر ذكره العجلوني .

رضي الله عنه : (يَا سَلْمَانُ لاَ تَبْغِضْنِي فَتُفَارِقَ دِينَكَ) ، قال سلمان : فقلت : يا رسول الله وكيف أبغضُكَ وبك هداني الله عز وجل ؟ قال : (تُبْغِضُ الْعَرَبَ فَتُبْغِضُنِي) (1) .

إن البعض من هؤلاء المتعلمين للغات الاجنبية لو فعلوا ذلك لوسّعوا مدارك إخوانهم بما جلبوه لهم من اللغات الاخرى ، كما فعل الاولون ، فقد أتقنوا اللغات الاجنبية ومنها نقلوا لنا علوم اليونان ، من طب وفلسفة وغيرهما مما عاد على الإنسانية كلها بالخير والمنفعة ، فلم يفعلوا هذا وأخذوا يسخرون من مقدسات أمتهم وتقاليدها ودينها القويم ، مثل ذلك الذي سخر من صومعة الجامع ، وهو في الحقيقة سخر من الجامع وما يقع فيه من طاعات لله ومن المؤمنين الذين يؤمونه في كل وقت لتأدية فروضهم الـــدينيـــــة .

فالمئذنة ــ مثلا ــ تؤدي واجبها ووظيفتها ، فهو يحلو له أن تهدم وتحطم وتطير في الفضاء حتى لا يراها ماثلة أمام عينيه ترمز إلى شعيرة من شعائر الإسلام وهي الصلاة ، كما هي دليل على أن البلد بلد إسلامي .

ولعل هذا الملحد يتألم أكثر لو تجول في أطراف الوطن الجزائري ، وفي مدنه وقراه لرآى ما قام به الشعب الجزائري من بناء المساجد الكثيرة الضخمة والواسعة ، ولا زال مستمرا في بنائها ، ليعوض بذلك ما هدمه الاستعمار حين دخل إلى هذا الوطن ، مما يدل على أن هذا الشعب مسلم عريق في الإسلام ، لا يصده عنه صَادٌّ أَوْ صَدىً مهما تنوعت في ذلك الطرق والحيل ، وقد أكثر منها ــ وخاصة بعد الأستقلال ــ بصفة هائلة أذهلت الملاحدة ومن على شاكلتهم ، وهم يتألمون من رؤيتها ولا يتألمون من رؤية صوامع الكنائس التي تحمل في أعاليها الصلبان ، فقد كان المستعمر يخطط المدينة أو القرية وبين دورها وانهجها الكنيسة أولا ، وكان يضع في أعلى الصومعة الصليب محاطا بالنور الكهربائي ليراه الداخل إلى البلاد من بعيد فيقول : ان هذا الباد بلد مسيحي ، وقد زال هذا بعد الاستقلال ــ والحمد لله ــ فهو لم ينظر إلى هذا الصنيع الذي يخالف تقاليد البلاد ووضع أمامه ــ فقط ــ صومعة الجامع ، ولعله يرى فيها أنها تمثل الانحطاط والتاخر ،

---

(1) المستدرك للحاكم ج 4 ص 86 واحمد والترمذى .

في حين يرى نفسه وثقافته الاعجمية في أعلى الطبقات ، انه مغرور — والله — ومخدوع ، خدعته نفسه ، وغره الشيطان .

ويجب أن نلاحظ أن البعض ممن تألم مما شاهده من انحراف وخروج عن منهج الشرع والصواب — حسب إيمانه — أخذ ينبه المنحرفين إلى عواقب انحرافهم عليهم وعلى الامة التي يعيشون في وسطها ، وينور الطريق الذي أظلمه بعض من لا خلاق لهم ، وأخذ يدافع عن الإسلام كيد الظلمة الكائدين للإسلام وأحكامه وأخلاقه ، يدافع عن الإسلام — بحق ونزاهة — فلم يعجب هذا بعض الذين لا يرضون بالرجوع إلى الإسلام وآدابه وأحكامه .

إن ما جرى ويجري في بعض الاوطان الإسلامية يدل على ما يلقاه هؤلاء المدافعون عن الإسلام من بعض المسؤولين في حكومات تلك البلاد من التعنيف والتضييق من أجل دفاعهم عن الإسلام المعتدى عليه في بلده ووطنه ، يلقون من ذلك الشيء الكثير ، كما يجدون فيهم الغضب وعدم الرضى ، وفي بعض الاوقات يبعدون إلى الصحراء والاماكن القاصية والقاسية ، وتحاك لهم المكائد والحيل الإبليسية ، ويتهمون بشتى أنواع التهم المزيفة الباطلة ، كتهمة أخذ المال من دولة أجنبية ، أو محاولة قلب نظام الحكم القائم في البلاد ، أو الاغتيال ، أو اتصاله بأسلحة من دولة أجنبية ، إلى آخر ما سمعناه ونسمعه دائما مما يضحك الثكلى ، كل هذا من أجل أن يجد الحاكم سندا يستند اليه في حكمه ومحاكمتهم والقائهم في غياهب السجون ، ليصفو لهم الجو وليخيفوا بهم غيرهم ، حتى لا يتجرأ أحد على إنكار المنكر ، وتارة يعدمون أو يشنقون .

وفي نفس هذه الاوطان التي أشرنا اليها قد وجد آخرون — من الملاحدة — اتهموا بنفس التهمة من محاولة القتل أو قلب نظام الحكم ، أو إدخال الاسلحة أو غيرها ، لكن عند المحاكمة كانت الاحكام أشبه شيء باللعب والهزل ، وذلك لان وراءهم قوة الملاحدة والخوف من غضبهم وقوتهم ، والرغبة فيما عندهم ، فهل هذا تمييز عنصري أم ماذا يسمى... ؟؟ من يحب الفضيلة ويعمل لها يضيق عليه في السجن أو يعدم ، ومن يبث الإلحاد ويحاول إضعاف سلطة الإسلام يلقى التخفيف ، والسبب في ذلك ظاهر لمن فكّر قليلا ، وهو القضاء على الإسلام في أشخاص الذين يدافعون عنه ، واستجابة لرغبة الملاحدة في ذلك .

إن الهدامين للعقيدة والشريعة الإسلامية ، والمخربين للأخلاق الحسنة ، الجانين على الفضيلة والكرامة ، ان هؤلاء مرضي عنهم ، بل ويشجعون على هدمهم وتخريبهم ، مع الكلمة المسموعة والاحترام ، وما هذا من بشائر الخير .

إن المدافعين عن الاسلام يكفيهم – جزاء – رضى ربهم عنهم ، ويكفيهم أنهم قاموا بواجب مفروض عليهم ، أرضوا بعملهم ذلك ربهم ، وبيضوا صحائف تاريخهم وتاريخ دينهم ، ليس لهم – من وراء ذلك – مطمع دنيوي ، ولا غرض دنيء يعملون من أجله ، وحسبهم هذا شرفا وذكرا حسنا ، ذلك أنهم في زمان قل فيه حماة الفضيلة وأنصار الحق والخير ، وكثر فيه أشياع الرذيلة والباطل والشر ، ولقد أحسن القائل القديم في قوله :

مررت على الفضيلة وهي تبكي ... فقلت على م تنتحب الفتاة ؟
فقالت : كيف لا أبكي وأهلي ... جميعا دون خلق الله ماتوا ؟

إن الرضى النافع إنما هو رضى الله ، والسخط المهلك إنما هو سخط الله ، ومن أجل هذا يعمل العقلاء على أن ينالوا رضى ربهم ويبتعدوا – ما استطاعوا – عما يسخطه ويغضبه ، أما غيرهم فإنهم يعملون مجتهدين لما يرضي المخلوق ، وإن أغضبوا الخالق في سبيل ذلك .

ذكروا أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم يقول : ان اكتبي إلي كتابا توصيني فيه ولا تكثري عَلَيَّ ، فكتبت له : أما بعد فإني سمعت رسول الله يقول : **(مَنِ ٱلْتَمَسَ رِضَا ٱللَّهِ بِسَخَطِ ٱلنَّاسِ كَفَاهُ ٱللَّهُ مَؤُونَةَ ٱلنَّاسِ ، وَمَنِ ٱلْتَمَسَ رِضَا ٱلنَّاسِ بِسَخَطِ ٱللَّهِ وَكَلَهُ ٱللَّهُ إِلَى ٱلنَّاسِ)** . والسلام)(1) كما جاء في حديث آخر قوله عليه الصلاة والسلام : **(مَنْ أَسْخَطَ ٱللَّهَ فِي رِضَا ٱلنَّاسِ سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ مَنْ أَرْضَاهُ فِي سَخَطِهِ ، وَمَنْ أَرْضَى ٱللَّهَ فِي سَخَطِ ٱلنَّاسِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وَأَرْضَى عَنْهُ مَنْ أَسْخَطَهُ فِي رِضَاهُ ، حَتَّى يُزَيِّنَهُ وَيُزَيِّنَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فِي عَيْنَيْهِ)(2)** .

---

(1) رواه الترمذى .
(2) رواه الطبرانى بسند جيد وقوى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

ذلك أن العمل على إرضاء المخلوق — كيفما كان ولو كان هذا المخلوق ممن تجب طاعته كالابوين — بما يغضب الخالق لا يقع إلا ممن لا يخاف الله ويخاف المخلوق ، فهو يعمل — جاهدا — على إرضائه بكل الوسائل ولو فارق دينه في سبيل ذلك .

أخرج الحاكم في المستدرك عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(مَنْ أَرْضَى سُلْطَاناً بِمَا يُسْخِطُ رَبَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ ٱللَّهِ)** . هذا وعيد شديد لاولئك الذين لا يخافون الله فيغضبونه من أجل أنهم يعملون ليرضى عنهم ذوو السلطة والحكم ، فقد أهلكوا أنفسهم وأهلكوا حكامهم من حيث زينوا لهم ما يفعلون ، ولو خالف الشرع والحق ، ولو أنصفوهم لنصحوهم حتى يبعدوهم عن الضلالة والخسران .

الفصل العاشر : بين منبر الجمعة وكرسي الحكم(1)

يتولى أمور المسلمين العامّة — بالإصلاح والرعاية — صنفان من الناس : العلماء المرشدون والحكام المسيرون ، آمرين بالخير ومحذرين من الشر ، وموجهين لإخوانهم ، حتى لا يضلوا ولا يزلوا ، لهم علماؤهم في توضيح السبيل وإنارة الطريق ، وأمراؤهم وحكامهم في رعاية مصالحهم ، من جلب خير ، أو دفع ضر ، فإذا أخلص العلماء في عملهم التوجيهي والإرشادي وإذا صدق الامراء في إماراتهم واحكامهم سعدت الحياة واستقامت الامور ، وكان كل واحد من هذين الصنفين في مستوى منصبه ، الإخلاص رائده ، والصدق قائده ، وحب الخير والصلاح غايته ، إذا كان ذلك كتب النجاح والفوز لكل واحد من الصنفين ، وفاز بلذة نجاحه ، وإذا انعدم الإخلاص وجاء الطمع والانانية وحب الذات والهيمنة ساء الحال وخسرت الامة المآل .

ومن لطف الله بهذه الامة — أمة محمد صلى الله عليه وسلم — أن فرض عليها صلاة الجمعة المسبوقة بخطبتين ، فإذا حان وقتها أسرع المسلمون

---

(1) نشر هذا الفصل فى صحيفة « الشهاب » اللبنانية تحت عدد 11 من السنة السابعة بتاريخ 7 شوال 1393 هـ الموافق لـ 1 نفمبر 1973 م .

إلى المساجد ، الامير والمأمور ، والحاكم والمحكوم ، والغني والفقير ، فهي تجتمع – بعد كل أسبوع – اجتماعا واجبا مؤكدا ، تجتمع لتتذكر فيه ماكانت سهت عنه في تلك الايام الماضية ، تستمع إلى أمر الله عباده بالطاعات ، من آيات قرآنه ، أو من أحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإلى نهيه عن مخالفة ما في شرعه ، من اقتراف الذنوب والمعاصي ، حتى يستقيم المسلمون على نهج الإسلام المستقيم ، فيفوزوا بهناء الحياة ولذتها ، في كنف الدين الذي اختاره الله لعباده ، يسمعون ذلك يتلى عليهم من خطيب واعظ – يشعر بمركزه ومهمته – يعظ المسلمين ، فيذكر النّاسي ، لقول الله تعالى : « **وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** » وقوله : « **فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ، سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ** » فيوقظ الغافل الساهي ، ويرشد الحيران ، لان كلمة الواعظ مسموعة من الجميع ، لا فرق بين الامير والمأمور ، فلا ينتهي من موعظته إلا والقلوب واجفة ، والابصار خاشعة ، فيبقى أثرها في النفوس المؤمنة ، فتستقيم على النهج القويم في سلوكها ، فلا تتراخى في فروض دينها ، ولا تقترف ما يشينها ، وهكذا تتجدد الموعظة في كل أسبوع ، فيقوى في القلوب الإيمان ، وتضعف في النفوس دواعي الشرور والآثام ، هذه هي النتيجة المرجوة إذا وجدت أسبابها ، وهي تتمثل في حسن سلوك الخطيب الواعظ ، فإن كان سلوكه حسنا وإخلاصه كاملا أفاد واستفاد ، وإلا كانت الخسارة على المتكلم والسامع ، وما هذا من مقاصد الشـــريعـــة .

من أجل هذه المقاصد الشريفة فرضت صلاة الجمعة على كل مسلم ، فوجب عليه أن يسعى اليها إذا نادى مناديها ، لا يشغله عنها بيع ولا شراء ، ولا عمل إداري ولا غير ذلك ، ولكن مع شديد الاسف رأينا الكثير من المسلمين والكثير من حكامهم – إلا القليل من هؤلاء – زهدوا في أداء هذا الركن الجليل ، وفي هذا اليوم الذي هدى الله اليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد ضل عنه اليهود والنصاري كما جاء في الحديث النبوي الشريف ، فاشتغلوا فيه بالاعمال الدنيوية – وهي كثيرة لا تنتهي – فلم يعطلوا فيه أعمالهم ساعة الصلاة ، وصار من يقصدها منهم قليلا ، ولكنه مؤمن صادق الإيمان ، فضاعت حكمة هذا اليوم في فلاة شتى الاغراض وحب الكسب ، هذا من جانب الموعظة وتأثيرها .

وفي الجانب الآخر من حياة المسلمين ، هناك حكام جلسوا فوق كراسي السلطة والحكم ، يتولون أمور المسلمين ، يحمونهم من كل مكـروه ويسوسونهم بالرفق واللين ، يوجهونهم وجهة الخير والسعادة ، يعطفون عليهم كما يعطفون على أبنائهم أو أشد ، يحافظون على حرماتهم ، ويسهرون من أجل راحتهم ، ويتعبون من أجل سعادتهم ، وفي أيديهم كتاب الله وسنة رسوله ، بهما – لا بغيرهما – يسوسون أمتهم ، لان الكل مسلمون .

هؤلاء وأولئك هم صفوة هذه الامة ، وهم منارها وكهفها ، وقد كان الوفاق تاما شاملا بين من اعتلى منبر الخطبة الجمعية وبين من تربع على كرسي السلطة الزمنية – لا يعلو أحدهما على الآخر علو عتو واستكبار – يأمر الخطيب وينهى ، وما أمره ونهيه إلا بما فيه طاعة الله ورضوانه ، فيسمع الحاكم والمحكوم ، سماع قبول ورضى وطاعة ، في قلوب الحكام حب للعلماء واحترام لجانب العلم والدين ، وفي قلوب العلماء إخلاص وولاء وطاعة لجانب الحكام ، بل كان في الازمان الزاهرة للإسلام الحاكم هو الإمام وهو الخطيب ، ولذلك لقّب بالامام ، جمع في يديه السلطة الروحية إلى جانب السلطة الزمنية ، يسترشدون العلماء فيرشدونهم ، ويستفتونهم فيما يحدث لهم من قضايا ومشكلات فيفتونهم ، فيتعاون الجميع على حلها ، لا يعادي أحدهما الآخر ، إلا إذا اعتدى ذلك الآخر على حرمة الشريعة ، فعند هذا يقف الآخر في وجهه ، أن قف عند حدك... ولا تتجاوز الحدود ، فيصير كل واحد من الصنفين يرهب الجانب الآخر ويخشى غضبه ، فيعمل كل واحد منهما على إصلاح نفسه ، حتى لا يكون عرضة لغضب الله والامة المسلمة ، وبصلاحهما تصلح الامة وبفسادهما تفسد كذلك ، كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(صِنْفَانِ مِنَ النَّاسِ إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ ، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ : الْعُلَمَاءُ وَالْأُمَرَاءُ)** والسر في هذا ظاهر ، لانهما محل القدوة ومحط أنظار العامة ، إننا في زمان تألّه فيه بعض حكام المسلمين وصاروا كالاوثان التي كانت تعبد من دون الله ، تقرب لها القرابين ، ويقدم قولها على قول الله الخالق العزيز ، تطاع ويعصى الله .

إننا رأينا العجائب والغرائب في عصرنا هذا ، فقد خرج الكثير من

الصنفين المذكورين عن طوره وخطة عمله المحددة له في الشريعة الإسلامية ، فلم تبق تلك الصلة المتينة – صلة الدين – قائمة بين الصنفين ، فالوعاظ تركوا ما هم مطالبون به – دينا – والحكام احتقروهم ولم يقيموا لهم وزنا ، فكانت الشحناء والبغضاء بينهم ، وصار الحكام لا يمتثلون لمواعظ العلماء ، بعد أن كانوا يأتمرون بأمرهم ، وينتهون لنهيهم ، فضعف قول العلماء فيهم لضعفهم ، وقويت سلطة الحكام عليهم حتى تجاوزت الحدود ، وصاروا هم الكل في الكل ، حتى بلغ الامر ببعضهم إلى أن صار يفرض على الوعاظ خطبة الجمعة ، فمنهم من يرسلها مكتوبة إلى الخطباء حسبما يشتهي ويريد ، ومنهم من يأمر الوعاظ بأخذ موضوع خطبة الجمعة من خطابه السياسي الذي تعود أن يلقيه كل أسبوع ، ومعنى هذا وذاك أن هذا الحاكم أراد أن يخضع خطباء الجمعة إلى سلطته لا إلى سلطة الدين والواجب والضمير ، وهذا كما قلنا آت من ضعف العلماء الخطباء – وأسباب ضعفهم كثيرة – وفي بعض البلدان الإسلامية تصدر خطبة الجمعة – كاملة – مكتوبة من وزارة الشؤون الدينية إلى خطباء المساجد ، وما على الخطيب إلا أن يصعد إلى المنبر ليلقي خطبة – بل أمرا – ليست من إنشائه ولا من رأيه ، تقرأ في الوطن كله ، حتى إذا حدثت حادثة في بلد مّا وأراد الخطيب أن ينبه عليها – كما هو الواجب – ويلفت النظر اليها لم يجد لها وقتا يبلغها فيه للمصلين ، فيكون حال الخطيب كحالة آلة التسجيل ، تسجل ما يلقى اليها ، أو كالببغاء تعيد من الكلام ما تسمعه ، وهذا أحد المواقف التي ضعف فيها العلماء – وما أكثرها – وقد يبعّد بعض الخطباء عن المنابر لانهم لم يرضوا بهذه المعاملة المهينة والبعيدة عن المغزى الديني ، وقد يكون موضوع تلك الخطبة في شيء لا صلة له بالحياة الإسلامية .

وهنا ظهر أن الكرسي – وأعني به كرسي الحكم الحزبي – سيطر وتحكّم في المنبر وعلى المنبر ، لتكون كلمته – النافذة – نافذة يطل منها على الامة . ولولا حب الهيمنة والتسلط لكان المنبر حرا محترما من الجميع ، كما هو الشأن فيما سلف من الزمن ، غير أن الكرسي أراد أن يعتلي على المنبر – منبر خطبة الجمعة – لتكون له السلطة عليه ، حتى يملي إرادته كما يشاء ويحب .

وفي هذه الحال نرى أن مقام المنبر مقام جليل – لمن عرف قدره –

فهو أرفع وأعلى منزلة من غيره – من غير احتقار لاحد – نظرا لما يلقى منه .

وفي صنعهما على الهيئة التي نراها عليهما الآن حكمة خفية دقيقة لمن تدبرها ، تلك هي أن النجار الذي صمم هيئة المنبر ألهمه الله بأن يجعل درجاته أكثر عددا حتى يرتفع عاليا وليبلغ صوته بعيدا ، وأقلها ثلاث درجات كما كان منبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، بينما الكرسي ليس له درجات كالمنبر ، فدل هذا على أنه دونه وأنه خاضع له خضوع استماع وعمل لا خضوع سلطة وهيمنة ، وهذا يرجع إلى معرفة والتزام كل واحد من الصنفين المذكورين لمنصبه ، واحترامه لمنصب الآخر ، فقد قص علينا تاريخ علمائنا وأمرائنا قصصا تصلح لان تكون مثالا يحتذى من الجانبين ، فالامراء والحكام عليهم أن يعرفوا فضل علمائهم ، فيضعونهم في المقام الذي وضعهم فيه منصبهم من غير أن ينتقصوهم حقهم أو يعتدوا عليهم ، والعلماء عليهم أن يدركوا منزلة أمرائهم وحكامهم ويكونوا في عونهم على إصلاح الامة وإرشادها من غير أن ينتقص أحدهما الآخر ، وعلى كل واحد منهما المحافظة على مقامه .

وعندما كان كل واحد منهما يعرف منزلة غيره كانت الكلمة الاخيرة للإسلام الذي يمثله العلماء العاملون ، وهي الكلمة الفصل في كل شيء ، الامراء والحكام يستمعون إلى نصائح العلماء ، ويأخذون برأيهم ، لانه رأي الشرع وعلى الجميع احترام الشرع والخضوع له .

وهذه بعض المواقف التي وقفها بعض العلماء العاملين من بعض أمراء زمانهم عندما رأوا منهم انحرافا عن الصراط المستقيم .

1) ناظر أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فرفع المنصور صوته عاليا ، فقال له الإمام مالك : يا أمير المؤمنين ، لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله تعالى أدب قوما فقال : «لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ» الآية ، ومدح قوما فقال : «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ» الآية ، وذم قوما فقال : «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ» الآية، وان حرمته ميتا كحرمته حيا ، فاستكان أبو جعفر ورضي بما قاله الإمام مالك .

2) ذكروا أن الخليفة هارون الرشيد حلف على شيء وحنث ، فجمع

العلماء واستفتاهم في كفارة يمينه فأجمعوا على أن عليه عتق رقبة ، وسأل مالكا فقال له : عليك صيام ثلاثة أيام كفارة يمينك ، فقال له الرشيد : لم أأنا معدم ؟ وقد قال الله : «فمنْ لمْ يجدْ» فأقمتني مقام المعدم... فقال له : نعم يا أمير المؤمنين ، كل ما في يديك ليس لك ، فعليك صيام ثلاثة أيام .

3) ولا ننسى كذلك موقفه المشهور عندما طلب منه الرشيد أن يأتي اليه ليقرأ عليه وعلى أولاده كتابه ـ الموطأ ـ فأبى مالك وأمره بأن يأتي هو وأولاده ليحضروا مجلس القراءة مع عامة الناس ـ احتراما للعلم ورجاله ـ فامتثل الرشيد ، وحضر هو وأولاده إلى مجلس العلم حتى لا يميز عن غيره في هـــذا البـاب .

4) ومن هذا القبيل موقف تلميذه العالم الفقيه راوي الموطأ يحيى بن يحيى الليثي ـ عاقل الاندلس كما سماه مالك بن أنس امامه ـ فقد استدعى الامير عبد الرحمن بن الحكم الاموي المعروف بالمرتضي صاحب الاندلس ـ العلماء عندما ارتكب في نهار رمضان ما أفسد عليه صومه ، ذلك أنه عبث بجارية له كان يهواها حتى واقعها ، فندم ، واستدعى العلماء إلى قصره ، فلما أتوه سألهم عن كفارة ما فعله ـ بعد أن تاب وندم ـ فأول من تكلم من الحاضرين يحيى بن يحيى الليثي ، فقال للأمير : يكفر عنك ذلك صيام شهرين متتابعين ، فسكت كل من كان في المجلس من العلماء ، ولما خرج الجميع من عند الامير قال الفقهاء ليحيى بن يحيى ـ وكان محترما مهابا ـ : مالك لم تفته بما في مذهب مالك ؟ ففي مذهبه أنه مخير بين العتق ، والإطعام ، والصيام ؟ فقال لهم : لو فتحت له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة فيه ، ولكني حملته على أصعب الامور لئلا يعود .

5) ولا يغيب عنا موقف الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ـ أمير المؤمنين في الحديث ـ مع سلطان بلده ـ بخارى ـ خالد بن أحمد الذهلي ، فإنه أرسل له رسوله فقال له : إن السلطان يقول لك : أن احمل إلي كتابيك ، "كتاب الجامع" وكتاب " التاريخ" لاسمعهما منك ، فقال للرسول : قل له : إني لا أذل العلم ، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين ، فإن كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضرني في مسجدي أو داري .

6) وهذه مواقف العالم المجتهد الشيخ "عز الدين بن عبد السلام" سلطان

العلماء شيخ القرافي وابن دقيق العيد ، وهذا الاخير هو الذى لقبه بسلطان العلماء ، فقد كانت له مواقف دلت على تقواه وخوفه من ربه وشجاعته ، منها انه لما كان خطيب الجامع الاموي بدمشق — وكان الذي ولاه الامامة الملك الصالح اسماعيل ابن الملك العادل — حدث ان سلم الملك الصالح اسماعيل الى الفرنج قلعتي صيدا والشقيف على ان ينجدوه على الملك الصالح نجم الدين أيوب ملك الديار المصرية ، فساء ذلك التسليم المسلمين وشق عليهم ، فذمه الشيخ ونال منه وانكر عليه وقوع ذلك منه في خطبة الجمعة — وذلك دأب العلماء العاملين اذا رأوا منكرا فانهم ينكرونه ولا يسكتون عنه ، ولو صدر من أعلى شخص في الامة — ولم يدع له كالعادة ، وبذلك الاتفاق بين الملك اسماعيل وبين الفرنج صار هؤلاء يدخلون دمشق لشراء السلاح ليقاتلوا به عباد الله المؤمنين ، فشق هذا ايضا على الشيخ واستفتاه الناس في بيع السلاح للفرنج فقال لهم : يحرم عليكم مبايعتهم السلاح لانهم سيقاتلون به إخوانكم المسلمين ، ولما بلغ السلطان انكار الشيخ عليه تسليمه حصون المسلمين — بواسطة أعوان الشيطان — الى الفرنج امر بعزله من الخطابة واعتقاله فبقي معتقلا الى ان جاء الملك اسماعيل الى دمشق فافرج عنه ، فاقام مدة بدمشق ثم تركها وارتحل عنها الى بيت المقدس .

ثم جاء الصالح اسماعيل ومعه ملوك الفرنج الى بيت المقدس قاصدين الديار المصرية ، فسير الملك اسماعيل بعض خواصه الى الشيخ ، واوعز اليه بان يصلح بينهما ويعود الشيخ الى مناصبه ، بشرط ان يذهب الشيخ الى السلطان اسماعيل وينكسر له ويقبل يده ، فاجابه الشيخ سلطان العلماء بهذا الجواب الذى دل على همته العالية ونفسه العظيمة وانه فوق هذه السفاسف .. (والله يا مسكين ماارضاه ان يقبل يدى ، فضلا عن أن أقبل يده ، يا قوم انتم في واد وانا في واد ، والحمد لله الذى عافاني مما ابتلاكم به) ، فقال له الرسول : انه رسم لي ان لم توافق على ماطلب منك أن أعتقلك ، فقال له : افعلوا ما بدا لكم ، فاخذه واعتقله في خيمة الى جانب خيمة السلطان .

وكان الشيخ عز الدين يقرأ القرآن والسلطان اسماعيل يسمعه ، فقال يوما لملوك الفرنج : تسمعون الشيخ الذى يقرأ القرآن ؟ قالوا نعم ، قال هذا اكبر قُسوس المسلمين ، وقد حبسته لانكاره على تسليمي لكم حصون المسلمين وعزلته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه ، ثم اخرجته ، فجاء الى القدس ،

وقد جددت حبسه واعتقاله لاجلكم ... فقال له ملوك الفرنج : لو كان هذا قِسِّيسَنا لَغَسَلْناَ رِجلَيْهِ وَشَرِبنَا مَرَقَتَهمَا ...) (1)

ثم افرج عنه فهاجر الى القاهرة ، فولاه ملكها "نجم الدين أيوب" خطة القضاء في مصر فاعطى للقضاء حرمته وهيبته ، حيث اراد ان يجعل القضاء مستقلا عن تدخلات الامـراء .

ومن مواقفه انه اراد بيع الامراء المماليك ، وقال لهم انكم مملوكون للامة أبيعكم في الاسواق امام الملا بالمزاد واجعل ثمنكم في بيت مال المسلمين ، فشق ذلك عليهم – وهم الامراء – ولما حضرت العامة لتبايع الملك الظاهر ركن الدين ابا الفتح بيبرس ابى ان يبايعه – وهو القاضي – فقال له : ياركن الدين انا أعرف أنك مملوك "البُنْدُقَدَارِى" ولم يبايعه حتى جاء من شهد له بالخروج عن ملك البندقدارى الى الملك نجم الدين أيوب و هذا أعتقه ، ولما قامت عنده هذه البينة العادلة بايعه ، وفي مدة توليه القضاء بمصر بني بعض الامراء بيتا فوق سطح مسجد بمصر اعده لغير مصلحة المسجد ، فانكر ذلك عليه سلطان العلماء واعتبره اهانة لبيت ، من بيوت الله ، وحكم بفسق من فعل ذلك وجاء بجماعة الى ذلك البيت وهدمه ، ثم أقال نفسه من منصب القضاء ولزم بيته الى ان توفي في جمادى الاولى سنة (660) هـ عن ثلاث وثمانين سنة قضاها في خدمة العلم والدين ، أماراً بالمعروف نهّاءاً عن المنكر رحمه الله ورضي عنه .

هذه مواقف وقفها بعض العلماء الاعلام في وجه من حاول من الحكام اهانة الدين والعلم ، وفي بعضها توقير بعض الامراء للعلماء واحترامهم والاخذ برأيهم والامتثال لنصائحهم ، وفق الله العلماء لاعزاز الاسلام ، وهدى الامراء والحكام لنصرة الحق والدين ، وفي هذا وذلك خير الجميع .

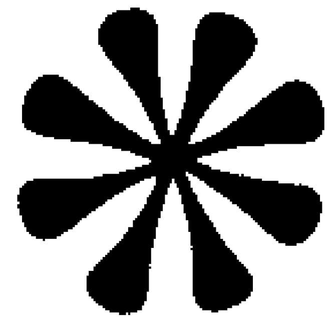
ويعجبني في العلماء العاملين اعتزازهم بعلمهم ، وشحهم بدينهم ، وحفظهم لكرامتهم من الابتذال .

وتجمع هذه المعـاني ابيات من قصيدة القاضي الشيخ ابى الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني رحمه الله وهي :

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكى ج 8 ص 244 ترجمة 1183 طبـع الحلبـى .

يقولون لي فيك انقباض وانما رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمته عزة النفس أكرما
وما زلت منحازا بعرضي جانبا من الذمّ اعتدّ الصيانة مغنما
ولم أقض حق العلم ان كان كلما بدا طمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني ولا كل من لاقيت ارضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
انهنهها عن بعض ما لا يشينها مخافة أقوال العدافيم ؟ او لما ؟
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتى لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة ؟ اذن فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودَنّسُوا محيّاه بالاطماع حتى تجهّما



الباب السادس

الفصل الأول :

المال في نظر (مزدك) واشتراكيته

ان العنصر الثاني في اشتراكية مزدك هو المال ، المال الذى جعتله اشتراكيته احد هدفيها ، فالهدف الاول والغرض المقصود هو النساء ، والهدف والغرض الثاني هو المال ، والمال به قوام الاعمال ، والمال هو المادة المهمة والمعتبرة في حياة الافراد والشعوب والحكومات ، وبه تقوى الامم أو تستعبد ، فلننظر الى المال بالنظرة المزدكية ، ثم ننظر اليه بالنظرة الاسلامية التي يجب علينا — كمسلمين — الا نتخطاها الى غيرها .

تقدم ما نقلناه عن المؤرخ الطبرى ان مزدك قال : (ان الله انما جعل الارزاق في الارض ليُقَسِّمَهَا العباد فيما بينهم بالتآسي ، لكن الناس تظالموا فيها ، وزعموا — يعني مزدك واصحابه — انهم ياخذون للفقراء من الاغنياء ، ويردون من الْمُكْثِرِينَ عَلى الْمُقِلِّينَ ، وانه من كان عنده فضل من الاموال ، والنساء ، والامتعة ، فليس هو باولى به من غيره .) فقوله هذا هو نفس اشتراكية اليوم ، وان اختلفت الاسماء ، فمدلولهما واحد ، ونتيجتهما واحدة .

هذا نظر مزدك الى المال ، وهو نظر فاسد بناه على اساس فاسد من اصله ، وفساده ظاهر جلي حيث انه يبعث في الامة التواكل والكسل والطمع فقد شاهدنا — عيانا لاخفاء فيه — قلة الانتاج والاهمال المتعمد ممن جعلوهم مستفيدين من الاراضي والنخيل التي انتزعت من اربابها واعطيت لهم ، زيادة عما فيه من اخذ اموال الناس بالباطل ، وهو ظلم فادح وشر عظيم ، وتعطيل للمواهب الانسانية التي اودعها الله الخالق وركبها في الانسان ، والانسان — ابن سعيه — كما يقولون .

فليكن نظرنا الى المال نظر المسلم المؤمن بشريعته الاسلامية المبنية على الحب

والعدل والحرية والمساواة وكرامة النفس ، فنظر الاسلام الى المال يخالف نظر الاشتراكية المزدكية وغيرها اليه .

اذا نظرنا الى المال وجدنا ان الاسلام قد حكم فيه بحكمه العادل ، وشرع فيه تشريعا محكما ، اعتبره الكثيرون من المفكرين والمقننين والباحثين – مسلمين وغير مسلمين – تشريعا عادلا رفع كثيرا من الاحمال والاثقال التي كانت ترزح تحت وطأتها الانسانية المعذبة ، ولم يوجد الى الآن قانون من القوانين الوضعية اتى على المشاكل المالية العصرية فحلها حلا لاظلم فيه ، حلها بقوانين فيها الرحمة واللطف والعطف على البشرية المهانة بقوة المال والطغيان ، رغم الطبول التي دقها مقننوها ، والمزامير التي زمروا بها ، ورغم مانشروا من دعايات ملفقة ، وما اذاعوا من الكتب والنشرات والحسابات ، الى غير ذلك من وسائل الاشهار والاشتهار ، فالفرق عظيم بين ماشرعه الحكيم العليم بما يصلح مخلوقاته كما قال : **«أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»**(1) وبين ما شرعه المخلوق مهما كان اجتهاده وحرصه ومعرفته بطرق الاصلاح واسعة .

الفصل الثاني : بالكد والعمل تدرك المآرب

اباح الاسلام للفرد ان يملك ماشاء – ولم يقيد حريته – اذا كان ذلك بالوسائل المشروعة فيه ، والعمل الشريف ، واوجب عليه – في نفس الوقت – في ماله حقوقا وواجبات يؤديها الى اهلها ، وحبب اليه فعل الخير وتقديم المساعدات والاعانات الى المحاويج من الفقراء واليتامى والايامى وغير ذلك من سبل الخير الكثيرة ، كبناء المساجد ومراكز العجزة والاوقاف على سبل الخير والاحسان ، فعليه – مثلا – ان يخرج زكاة ماله ، ويدفعها لاصناف ثمانية ذكرهم الله في آية صرف الزكاة وهي قوله تعالى:

«إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ، وَالْمَسَاكِينِ ، وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَفِي الرِّقَابِ ، وَالْغَارِمِينَ ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ ، فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»(2) .

كما رغبه في مد يد المعونة الى كل مافيه النفع والمصلحة لبني الانسان وغيره

---

(1) الآية 14 من سورة الملك .
(2) الآية 60 من سورة التوبة .

من باقي المخلوقات ، فاذا كان تملكه له وقع بسعي شريف تبيحه الشريعة الاسلامية وقوانينها ، فلم يكن مغتصبا بالقوة ، او مستولى عليه بالحيل والطرق الغير الشرعية ، فهو مباح له ، حلال تملكه ، يتصرف فيه كما يريد فلوجمع ما جمع وكنز وادخر ماأراد واستطاع ، فلا يعتبر – شرعا –معتديا ولاظالما ، ولايسمى ماله كنزا ، والادلة على هذا كثيرة ، وهي ماأوضحته السنة النبوية في احاديث ثابتة عن الرسول المبلغ عن رب العباد ، بما يصلح العباد .

ما هو الكنز...؟

كان الصحابي العالم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول : (مَا أُدِّيَ زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ) وهذا ليس من رأيه لو لم يسمعه من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء مصرحا به في كتب الحديث .

جاء في موطأ الإمام مالك رضي الله عنه من كتاب الزكاة بعنوان (باب ما جاء في الكنز) قال : (حدثني يحيى عن مالك عن عبد الله بن دينار أنه قال : سمعت عبد الله بن عمر وهو يُسْأَلُ عن الكنز ما هو ؟ فقال : (هُوَ ٱلْمَالُ ٱلَّذِي لاَ تُؤَدَّى مِنْهُ ٱلزَّكَاةُ) وجعله الإمام البخاري في صحيحه عنوان باب ، فقال في كتاب الزكاة : (بَابُ مَا أُدِّيَ زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ) . وأخرج ابن عدي والخطيب عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(أَيُّ مَالٍ أُدِّيَتْ زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ)** ، ومن المعلوم أن معنى الكنز هو جمع المال وادخاره من غير أن تخرج منه الزكاة ، هذا ما صرحت به أحاديث صاحب الشرع الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، ونقله وفهمه من تلقاه عنه مباشرة ، وهم أصحابه الذين عاشوا معه وأخذوا منه شريعة الله كما جاءت ، بلا تبديل ولا تحريف ولا تزييف رضوان الله عنهم ، وكان سلف هذه الامة حريصا على الامتثال للشريعة ، شغوفا بدراستها وتطبيق نصوصها ، عاملا على إعزازها واحترامها ، لانه يعلم أن المسلم لا يكون مسلما إلا إذا عمل بشريعة الله ، وطبقها كلها بأوامرها ونواهيها ، يحل ما أحلته شريعة الله ويحرم ما حرمته ، فهي كل لا تتجزأ .

وعندما قل العمل بالشريعة الإسلامية ، أو تعطل في الكثير من أحكامها ونصوصها الصريحة ، حاول خصوم الإسلام وأعداء الدين أن يظهروها بمظهر العاجز عن حل مشاكل الساعة والعصر ، أو مسايرة هذا الوقت

المادي البحت ، وقالوا فيها إن قوانينها – وقولهم كذب وبهتان – رجعية ، غير موافقة للعلم الذي تكشّفت فيه عناصر جديدة في حياة البشر ، وأخذ أعداء الإسلام يفتنون بهذا بعض ضعاف الإيمان من المسلمين الذين لم تكن لديهم دراية كافية ، ومعرفة وافية بما في الإسلام من تشريع حكيم ، وعدالة اجتماعية لا توجد في غيره ، وتوجيه صالح لم يكن في سواه إلى يومنا هذا ، بل وإلى يوم النـاس .

وما ذلك في الحقيقة وواقع الامر إلا دسيسة وخديعة قدموها لمن ذكرنا ، بقصد فتنتهم عن دينهم ، والقضاء على النظم والقوانين الإسلامية العادلة ، ولا يخفى على ذوي الالباب أن الإسلام في حرب مع خصومه من يوم ظهوره إلى الآن ، فما هو قول الخصم – غير الشريف – في خصمه... ؟

في الشريعة الإسلامية التي وضع قوانينها رب العالمين ، وهو العالم بما يصلح عباده ، ما يضمن لعباده الحياة الشريفة بدون ميز ولا محاباة ، ولا ظلم ولا عُدوان ، لكن المسلمين أعرضوا عن دواء أمراض مجتمعهم الذي وصفه لهم الطبيب العارف بأمراضهم ، وأخذوا يعالجون أمراض أمتهم بأدوية الجهلة والعجائز ، فازدادت عللهم ، وتمكن منهم المرض الذي لا شفاء منه إلا بالرجوع إلى استعمال دواء الطبيب العارف بالامراض وعلاجها ، شأنهم في هذا شأن المريض الذي أهمل دواء طبيبه الحاذق وأعرض عنه إلى العلاج بغيره .

وما هو ذنب الطبيب الذي عرف المرض ووصفه ، وأعطى الدواء للمريض ، وهذا أهمله ورمى به جانبا ، واستشفى بغيره ، فهل من فعل هذا تزول علته... ؟؟؟ وهل يلام الطبيب – في هذه الحالة – أو يرمى بالجهل وعدم المعرفة والمريض لم يستعمل دواءه ؟ الواقع يقول... لا ، كما قيل :

كالعيس في البيداء يقتلهـا الظمـا   والمـاء فـوق ظهورهـا محمول

فلا بد إذن من العودة إلى منبع الإسلام الصافي ، ودوائه الشافي – بإذن الله – وإلا فلا نطمع – ما دمنا على هذه الحال – في تكوين مجتمع صالح قوى ومتماسك ، سليم من أمراض الخلافات والعداوات التي تؤدي إلى التخاصم والتباغض والتقاتل على كراسي الحكم وغيرها ، وإرادة الشر لبعضنا بعضا .

علمنا ان ما اذاعه خصوم الاسلام عن الاسلام انما هو دسيسة ومكيدة مبيتة، وإن ستروا وجهها بستار التقدم والرقي ومسايرة الوقت ، وما هذه في الحقيقة إلا بقية من بقايا الحروب الصليبية ، ولكنها بسلاح آخر ، وبأسلوب مغاير لاساليب الحروب الصليبية القديمة المعروفة .

كل من عرف الإسلام يعرف أنه لم يمنع المسلمين من التقدم والرقي في حدود الحق والعدل والفضيلة ، إنما يمنع الإسلام اتباعه من الظلم والجور والاباحية والرذيلة وجميع أنواع الشرور والمفاسد ، والتاريخ شاهد عدل ، فقد قص علينا أن الإسلام جعل المسلمين يسبقون غيرهم من الامم مهما تقدمت هذه الامم وارتقت .

الفصل الثالث : هل هذه بوادر المزدكية تلوح في الأفق.....؟؟؟؟

يتساءل ذوو الرأي المسلمون قائلين : هل ما نشاهده في بعض الاوطان الإسلامية بوادر تنذر بعودة المزدكية... ؟ سؤال يفرض نفسه ، أما جوابه فيأتي من واقع حياة الحكام والشعوب الإسلامية في هذه الازمنة الاخيرة، وخاصة بعد استقلال هذه الشعوب وتولي حكام تربوا في أحضان المستعمرين، والكثير منهم اغتصبوا الحكم اما بقوة الجند وإما بالاحتيال والخديعة ، ففعلوا ما أرادوا وخنقوا حريات الشعوب ولم يتركوا لها حريتها لتعبر عما في ضمائرها عن نوع الحكم الذي تريده وترغب فيه ، والذي ظهر من تصرفات هؤلاء الحكام أنذر برجوع المذهب المزدكي ، وهو ظاهر لا خفاء فيه ، وذلك بسعي حثيث من خصوم الإسلام ، فهم يحاولون جادين تأييد المزدكية – العصرية – الملعونة ، والتي عرفنا فيما سبق أهدافها وغاياتها من قبل النساء والاموال ، ونزيد هنا هذا العنصر الاخير – المال – من عنصري المزدكية بيانا وتوضيحا .

تعمل المزدكية على انتزاع الاموال من أربابها الذين تعبوا في اكتسابها بوسائل شريفة ونزيهة وعادلة ، وبطرق شرعية وقانونية ، في حين أن الإسلام يقر الناس على ما اكتسبوه ، ويترك لهم أموالهم ليتملكوها إذا أدوا ما عليهم من فروض ، فالدين الإسلامي الخالد يأمر بالعدل وينهى عن الظلم ، كما قال علام الغيوب : «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ ،

وَيَنْهَى عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»(1) .

وقد حاول البعض أن يلبس المزدكية العصرية لباس الإسلام ، ويجد لها في التشريع الإسلامي سندا ، وكل ذلك تمويه وتضليل ، فالإسلام في نظامه الخاص المستقل بريء منها ولا يأمر بها .

فإذا أرادوا بذلك تصرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الارض التي استولى عليها المسلمون في حربهم مع الفرس ، وأبى عمر أن يوزعها بين المحاربين ، ويملكها لهم كما هو الشأن فيما غنموه من الاموال ، نقول لهم لم يوزعها عليهم ورأى أن يبقيها لجميع المسلمين نظرا لمن سيأتي من بعد، وهو اجتهاد من عمر رضي الله عنه ، ظهرت فائدته فيما بعد .

وهنا ننبه إلى استغلال آراء بعض قادة المسلمين وعلمائهم ، إذا وافقت في النفس هوى صاحب الدعوة ، أما إذا خالفت الهوى فإنه لا التفات اليها .

قد سمعنا – كثيرا – بعض الحكام في البلدان الإسلامية يحتجون بعمل عمر هذا لانه يتفق مع أهدافهم ، ومالهم لا يعملون بأعمال عمر في غير هذا ؟ ما لهم عن ورعه ؟ وعدله ؟ وزهده ؟ وتقواه لربه ؟ وسهره على راحة أمته ؟ فهل أباح عمر الخمور والفجور والفسوق ؟؟؟ وهل أخرج عمر الحرائر المقصورات في بيوتهن ورمى بهن في الشوارع مع الفسقة الفجرة ؟؟؟ فليتدبروا قليلا في أقوالهم وأعمالهم ، فإن للناس آذانا تسمع وعيونا تبصر ، وعقولا تدرك ، بل وليسوا من الغافلين .

كنا نسمع – كثيرا – من الإذاعة الجزائرية – قبل انقلاب "19" جوان 1965 – كلمة الصحابي الجليل الزاهد (أبي ذر الغفاري) رضي الله عنه – وهي قوله : (يَا مَعْشَرَ ٱلْأَغْنِيَاءِ وَاسُوا ٱلْفُقَرَاء ، بَشِّرِ ٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِمَكَاوٍ مِنْ نَارٍ ، تُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ الخ) وكانت تكرر من المذيع في غالب الاوقات ، لتكون دليلا على الدعوى ، ذلك أن أحد كبار الصحابة نادى بسوء عاقبة الذين يدخرون الاموال ولا يدفعونها للفقراء ، ترى من هم هؤلاء الفقراء الذين تدفع اليهم هذه الاموال المدخرة في نظرهم ؟ ومن هم المستحقون

(1) الآية 90 من سورة النحل .

لهذه الاموال المكنوزة ؟ **ولعلهم الفقراء المساكين القابعون في الحانات ومحال الفجور ... ليستعينوا بها على ما هم فيه** ، غير أننا لم نعد نسمع كلمة أبي ذر بعد 19 جوان 1965 فتكون قد ذهبت مع من ذهب من أصحاب الاطماع .

تلك كلمة أبي ذر التي نقلت عنه – وحفظت – وجيء بها لتكون عونا على انتزاع الاموال من أهلها ، والاستيلاء عليها ، تطبيقا لرأي أبي ذر رضي الله عنه في الظاهر ، أما في الباطن فالله يعلم ما هو المقصود .

الفصل الرابع : من هو أبو ذر هذا ؟

المعروف من كتب السير والتراجم أن أبا ذر الغفاري – رضي الله عنه – كان من السابقين الاولين إلى الدخول في الإسلام ، فهو رابع أربعة أو خامس خمسة كما جاء عنه ، كما أنه من عظماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الشجعان ، نطق بكلمة الشهادة – أعلن إسلامه – أمام عظماء قريش الطغاة ، وناله من العذاب في سبيل إسلامه ما ناله ، وكان زاهدا في ملك الدنيا ورعا رقيق القلب كثير الخشوع لله ، كما كان أكثر الصحابة طاعة وامتثالا لولي أمر المسلمين ، ولو كان الوالي عبدا حبشيا كما قال هذا هو نفسه ، لا رغبة له في المال ولا في جمعه ، ولم يكن الكثير من الصحابة مثله في هذا ، فكل مال دخل يديه أنفقه في سبيل الله والخير ، أو أنفقه على المحتاجين ، فيصرفه اليهم من غير أن يبقي منه تحت يده شيئا لنفسه ، ويبقى هو كواحد من الفقراء ، ولم يعرف عنه أنه أنفق ماله في سبيل الشيطان ، كما ينفقه من أرادوا أن يستغلوا كلمته لمصالحهم الخاصة ، قال فيه الحافظ الذهبي : (وكان راسا في الزهد والصدق ، والعلم والعمل ، قوالا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم ، على حدة فيه)(1) .

وفي القصص التالية أمثلة من زهده في الدنيا وإعراضه عنها ، وقد أتت اليه عفوا من غير تعب ولا طلب .

ذكر ابن سعد في طبقاته الكبرى في ترجمة أبي ذر قال : إن أبا ذر كان عطاؤه أربعة آلاف ، وذكر في ترجمته من طريق آخر ، عن عبد الله ابن الصامت ، انه كان مع أبي ذر فخرج عطاؤه ومعه جارية له ، قال :

---

(1) سير اعــلام النبــلاء ج 2 ص 32 .

فجعلت تقضي حوائجه ، قال ففضل معها سلع ، قال : فأمرها أن تشتري به فلوسا ، قال : قلت : لو اذخرته للحاجة تبوء بك ، أو للضيف ينزل بك ، فقال : (إِنَّ خَلِيلِي عَهِدَ إِلَيَّ أَنَّ أَيَّ مَالٍ – ذهب أو فضة – أُوكِيَ عَلَيْهِ فَهُوَ جَمْرٌ عَلَى صَاحِبه حَتَّى يُفْرِغَهُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) .

وأخرج أبو نعيم في الحلية – بسنده – عند الكلام على أبي ذر في ترجمته قال : بعث حبيب بن سلمة – وهو أمير الشام – إلى أبي ذر بثلاثمائة دينار وقال استعن بها على حاجتك ، فقال أبو ذر لمن جاءه بها : ارجع بها اليه ، أما وجد أحدا أغر بالله منّا ؟ ما لنا إلا ظل نتوارى به ، وثلة من غنم تروح علينا ، ومولاة تصدقت علينا بخدمتها ، ثم إني لاتخوف الفضل . وقال أبو نعيم أيضا من طريق آخر عن أبي ذر : إني لاقربكم مجلسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، وذلك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ خَرَجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا كَهَيْئَةِ مَا تَرَكْتُهُ فِيهَا**) وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد تشبث بشيء منها غيري .

والمعروف أيضا أن أبا ذر عندما كان في الشام كان يبث في الناس مبدأ الزهد في الدنيا ، وينهاهم عن كنز المال وادخاره ، وحاول أن يحمل الناس على رأيه ومذهبه فلم يستطع ، وأحرج بعمله هذا موقف العامل فيها – أي في الشام – وهو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، ووقع بينهما خلاف في فهم الآيتين الكريمتين من كتاب الله عز وجل وهما قوله تعالى : «**وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ، هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ**»(1) .

فاختلف الصحابيان – أبو ذر ومعاوية – في فهمهما ، فمعاوية رأى أنهما نزلتا في حق أهل الكتاب خاصة ، خصوصا وذلك بعد قوله تعالى : «**يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ**

---

(1) الآيتان : 34 – 35 من سورة التوبة .

النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» (1) وأبو ذر رأى أنهما نزلتا فيهم وفينا معاشر المسلمين ، هذا هو منشأ الخلاف بينهما كما ذكره المفسرون ، والذي اتفق عليه علماء المسلمين أنهما نزلتا في الجميع – كتابيين ومسلمين – غير أن المسلم إذا أخرج زكاة ماله ودفعها إلى بيت مال المسلمين لتصرف في أوجهها المبينة في آية : «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ الخ...» أو دفعها منه مباشرة الى الفقراء ومن ذكر معهم من الاصناف الثمانية المستحقين لها فيما إذا لم توجد بيت مال المسلمين ، فإذا دفع المسلم زكاة ماله فلا يسمى ما جمعه وادخره كنزا المتوعد عليه في الآية الآنفة الذكر ، وبالخصوص إذا علمنا أن آية دفع الزكاة لمستحقيها نزلت بعد هذه الآية : ««وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ الخ...»» ، ففرضت الزكاة تطهيرا للمال ولصاحبه من الشح والبخل كما ورد في آية : «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا الخ»(2) وكما ورد ذلك أيضا عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

من أجل هذا الخلاف في فهم الآيتين ، ومن أجل ما يقوم به أبو ذر – حسب زهده في الدنيا – من عتاب على جامعي الاموال ومدخريها من أجل ذلك شكا معاوية إلى أمير المؤمنين الخليفة الثالث – عثمان بن عفان – رضي الله عنه ما يلقاه من أبي ذر ودعوته إلى تزهيد الناس في الدنيا ، وحملاته الشديدة على جامعي الاموال ومدخريها ، فكتب معاوية إلى عثمان : (إذا كان لك حاجة بالشام فأقدم أبا ذر اليك) ، فاستقدمه عثمان إلى المدينة المنورة وأسكنه الرَّبَذَةَ – بفتح الراء والباء والذال – باختيار أبي ذر لها ، وهي قرية خارج المدينة اختارها لتكون مقرا له من غير الزام ولا جبر عليه .

وهنا نسأل أصحاب هذه الدعاية – وغيرهم – الذين استعملوا ويستعملون كلمة أبي ذر تلك كحجة لهم على دعواهم ، فنقول لهم : لماذا لم تأخذوا من أقوال أبي ذر غير هذا... ؟؟؟ أللتزهيد في جمع المال وادخاره ؟ والكل يعلم أن أرباب هذه الدعاية عملوا – جادين – على كسب المال وادخاره ، أو لكون كلمة أبي ذر فيها دعاية وترغيب لمبدأ (مزدك) المجوسي ؟ إن وراء هذه الدعاية سرا مكتوما يعلمه الراسخون في العلم .

(1) الآيــة 34 منهــا .
(2) الآيــة 103 مــن نفس السورة .

إن أبا ذر رضي الله عنه معروف بفكرته تلك ، وأول من عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذلك أن أبا ذر طلب ذات يوم من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستعمله على بعض الولايات ، فكان جواب الرسول الكريم الحكيم الرحيم بأمته عليه الصلاة والسلام لصاحبه الذي طلب منه ان يوليه عملا من الاعمال ، كان جوابه ما عرفه فيه من أنه لا يصلح للولاية ، لا لتهمة وجهت اليه ، ولا لخيانة ربما تصدر منه ، ولا لجهل بالاعمال والاحكام ، ولا ، ولا ، فالجواب ما ذكره أبو ذر نفسه كما جاء في صحيح مسلم (عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : يا أبا ذر إنّكَ ضَعِيفٌ ، وإنّها — الولاية — أَمَانَةٌ ، **وَإِنَّهَا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى ٱلَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)** (1) .

فالولاية وهي الحكم بين الناس ورعاية مصالحهم ، تتطلب من الوالي أن يكون حازما شجاعا يقظا لكل ما يطرأ عارفا بسياسة الحكم يداري الناس في سبيل المصلحة العامة الخ ، فالرسول صلى الله عليه وسلم عرف أن صاحبه أبا ذر لا يصلح للولاية والحكم ، ولهذا قال له ما قال — شفقة عليه من تبعات الولاية — ولم يعطه أية ولاية لضعفه عنها ، ولا يسمى هذا نقصا أو تنقيصا في مرتبة أبي ذر ، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال : **(اِعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ)** (2) ، وأيضا فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعطي الولاية من يطلبها أو يحرص عليها .

ونذكر هنا قول الرسول عليه الصلاة والسلام في أبي ذر رضي الله عنه : **(رَحِمَ ٱللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ)**(3) قال فيه هذا عندما خرج الرسول عليه الصلاة والسلام في جيشه قاصدا تبوك ، وخلف أبا ذر بعيره الهزيل الذي لم يستطع مسايرة الجيش ، فتخلف عنه ، ولما تفقده الرسول لم يجده فسأل عنه ، وبينما الناس ينظرون إلى الطريق رأوا رجلا راجلا قادما اليهم من بعيد ، فقالوا : يا رسول الله هذا رجل

---

(1) صحيح مسلم وطبقات ابن سعد الكبرى .
(2) الطبرانى عن ابن عباس وغيره .
(3) ج 2 من سيرة ابن هشام عند الكلام على غزوة تبوك ص 524 من القسم الثانى طبع مطبعة مصطفى الحلبى .

قادم من بعيد ، فقال الرسول : (كُنْ أَبَا ذَرٍّ) فكان هو نفسه ، ولما وصل قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : (مَا أَخَّرَكَ إِلَى الآنَ ؟) ، قال : بعيري الهزيل ، ولما أبطأ بي حملت متاعي وجئت أمشي وتركته ، فقال فيه الرسول كلمته تلك .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم يوما مخاطبا اصحابه : (أَيُّكُمْ يَلْقَانِي - يعني يوم القيامة - عَلَى الحَالِ الَّذِي أُفَارِقُهُ عَلَيْهَا ؟ فقال ابو ذر : انا ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: صَدَقْتَ، ثم قال : مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، وَلاَ أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ وَلاَ أَوْفَى مِنْ أَبِي ذَرٍّ شِبْهُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) (1) وفي رواية اخرى (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى زُهْدِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِي ذَرٍّ) .

هذه نظرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى صاحبه ابي ذر رضي الله عنه ، وهي شهادته فيه ، وقد تحقق كل ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم في ابي ذر .

وقد كان من علماء الصحابة ، في درجة عبد الله بن مسعود في العلم ، سئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن ابي ذر فقال : (وَعَى عِلْماً عَجَزَ فِيهِ ، وكان شحيحا حريصا ، شحيحا على دينه حريصا على العلم) (2)

وقد اختار ابو ذر الربذة مقرا له كما سلف ، وكان يعيش مع زوجته وغلامه فيها فلما حضرته الوفاة اوصى امرأته وغلامه فقال : اذا انا مت فاغسلاني وكفناني وضعاني على الطريق، فاول ركب يمرون بكم فقولوا هذا ابو ذر ، فلما مات فعلا به ذلك ، فاطلع ركب ، فما علموا حتى كادت ركائبهم تطأ السرير الذى عليه الميت ، فاذا عبد الله بن مسعود في رهط من اهل الكوفة ، فقال ماهذا ؟ قيل جنازة ابي ذر ، فاستهل ابن مسعود يبكي وقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : (يرحم الله ابا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده) فنزل وتولى هو بنفسه دفنه ، هذه رواية وهناك رواية اخرى تثبت ان الركب وجده لازال حيا فحضر وفاته ودفنه ، وقال لهم : قد اصبحت اليوم حيث ترون ولو ان ثوبا من ثيابي

---

(1) الترمذى والحاكم وابن حبان وغيرهم .
(2) ج 4 من الطبقات الكبرى لابن سعد ص 232 .

يسعني لم اكفن الافيه ، انشدكم الله الايكفنني رجل منكم كان اميرا ، او عريفا ، او بريدا ، فكل القوم كان نال من ذلك شيئا الافتى من الانصار كان مع القوم قال : انا صاحبك ثوبان في عيبتي — حقيبتي — من غزل امي وأحد ثوبيّ هذا الذى علي ، قال : انت صاحبي ، فكفني . (1)

هذه نبذة مختصرة من ترجمة هذا الصحابي العظيم ، الذى استغل زهده وتقواه بعض من يريدون ان يجمعوا الاموال باسم الزهد فيها ، وهو من السابقين الاولين في الاسلام كما تقدم ، وهو من الذين وحدوا الله على الفطرة ، وعبد الله قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع بمبعثه سارع الى مكة واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وآمن به ، ولحقه في سبيل ذلك من من عذاب المشركين والجوع الشيء الكثير ، ثم رجع الى قومه — غفار — يدعوهم الى الاسلام وترك الشرك والخرافات ، ومما يدل على فضله انه اول من حيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام ، فقال له :(السلام عليك)

الفصل الخامس : من مكائد اليهود للإسلام ، واغترار المسلمين بالمظاهر

والذى يجب ان يعلم هنا وبهذه المناسبة ، وبالخصوص استعمال كلمة ابي ذر السالفة الذكر ، كدليل على دعوى ترك ادخار المال ، والمقصود منها — تدعيم الغرض لاغير — ان اصلها ومصدرها من يهودى فنشير الى ان كتب التاريخ سجلت والسير او ضحت ونصت على محاربة اليهود للاسلام ، ودعوته من اول ظهوره الى يومنا هذا ، بل والى مابعد يومنا هذا ، واليهود لايكفون عن عداوتهم ومحاربتهم للاسلام ، فكم دسوا ودلسوا وزوروا على الاسلام ورسول الاسلام من اقوال واحاديث نسبوها اليه — زورا وبهتانا — قاصدين من وراء ذلك فتنة المسلمين وتخليط الاسلام على المسلمين ، وتشويه وجهه المشرق الجميل الطاهر ، باكاذيب وقصص ملفقة . فقد حفظ لهم التاريخ مكائد كادوها للاسلام ولرسول الاسلام ، كارادة تسميمه بواسطة لحم الشاة المعروفة ليموت بالسم — بواسطة امرأة يهودية — وكمحاولة قتله — غدرا — بالقاء صخرة رحا عظيمة عليه وهو تحت حائط من حيطان ديارهم لتكون القاضية عليه ، وكسحره على يد اليهودى لبيد بن الاعصم ، وغير ما

(1) المصدر السابق ص 233 طبع دارى بيروت و صادر .

ذكر من انواع المكر والكيد المعروفة فيهم – الى اليوم – والمذكورة في كتب التاريخ والسير ، لكن الله الذي ارسله رحمة للعالمين حفظه ونجاه من جميع المكائد اليهودية ، كما نجاه من مكائد المشركين ، «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» (1) فكم لليهود من دسائس منكرة كشف عنها اولوا البصر الثاقب من علماء االاسلام الاجلاء الذين يغارون على دينهم ، ولايرضون ابدا ان ينال منه احد او ينتقصه منتقص – كائنا من كان – وغيرهم يسمع ويبصر ولا يتحرك للدفاع عنه ، كمكيدة الاشتراكية اليهودية التي ارتمى في احضانها بعض حكامهم الذين لايخافون الله والتاريخ فرحم الله علماء الاسلام وجزاهم عن الاسلام والمسلمين خير ما يجزي به العاملين المخلصين .

وكم من يهودي ادعى الاسلام – ظاهرا – من غير ان يسلم في باطنه وواقعه وحقيقة امره ، بل اسر الكفر بالاسلام وبرسوله ، ليتمكن من محاربة الاسلام وهو آمن لاخوف عليه .

والذى جعل اليهود يتظاهرون بالاسلام – بلا اسلام – الاالقليل منهم – هو تامين حياتهم في الوسط الاسلامي الذى كانوا يعيشون فيه ، مع انهم اهل ذمة لهم الامن والحفظ على المسلمين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم – حسبما اوصى بذلك الاسلام – ففي وسط هذه المعاملة الحسنة لهم عملوا على جلب عدد من المسلمين الى آرائهم وافكارهم ، حتى يأنس المسلمون اليهم ويثقوا فيهم ، فيكونون بهذا الاختفاء والتستر بالاسلام قد قضوا اوطارهم ، من افساد دين المسلمين على المسلمين ، مع التأمين على حياتهم .

فكثيرا ما اغتر المسلمون بالمظاهر ، مكتفين بها من غير تعمق واستقصاء في البحث الى دواخل الامور ، وذلك راجع الى طهارة قلوبهم وحسن نياتهم ، ونظرهم الى الناس بمنظار الايمان الصافي ، لهذا ينخدعون سريعا بالمظاهر ، وفي تاريخ الاسلام والمسلمين – القديم والحديث – امثلة شاهدة على ما قلت الي يومنا هذا .

وفي الجزائر – مثلا – وقعت امور من هذا النوع ، والامثلة كثيرة – منها قصة بوشناق وبوخريص – باكرى – اليهوديين الجزائريين اللذين كانت لهما

---

(1) الآية 43 من سورة فاطر .

ديون على (فرنسا) فاتفقا معها ـ سرا ـ على خيانة الجزائر ، وهما احد اسباب احتلال (فرنسا) للجزائر عام 1830 م .

ومن امثلة انخداع المسلمين بالمظاهر قصة ذلك الجاسوس الفرنسي "ليون روش" الذى اوفدته حكومته (فرنسا) ليكون عينا لها وجاسوسا على "الامير عبد القادر" رحمه الله وعفا عنه عند ما كان يخوض حرب الدفاع عن الجزائر ابان غزو فرنسا لها، عندما وطئت اقدام جندها تراب الجزائر سنة 1830 م ـ **والوقت وقت حذر** ـ فتقدم هذا الجاسوس ـ ليون روش ـ الفرنسي الى الامير مظهرا اسلامه ، وانه من المسلمين ، وان حكومته ـ فرنسا ـ اضطهدته من اجل اسلامه ، والمثل العربي القديم يقول ـ لِأَمْرٍ مَا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ ـ فخصه الامير بالعطف عليه،وجعله ضمن خاصته وحاشيته ، وأخذ يتقرب اليه شيئا فشيئا مظهراً اخلاصه له حتى جعله كاتبه الخاص ، فاطلع على كل شيء في محيط الامير عبد القادر رحمه الله وعفا عنه ، فقام بالمهمة التي جاء من اجلها واسلم لها ـ ظاهرا ـ ولما غلب الامير على أمره في النهاية واستسلم ـ بعد قتال مرير ـ لفرنسا كما هو معروف ، رجع هذا المسلم الكاذب الى دينه الاول كما كان ، وترك دينه الثاني ـ الاسلام ـ لانه لم يسلم حبا في الاسلام وايمانا به ، بل هو كما قيل : **(صلى وصام لأمر كان يقضيه)** وقد كتب كتابا ضمنه عمله هذا الذى قام به ، والدور الذى لعبه في ذلك ، وسمّى كتابه هذا **(ثلاثون عاما في الإسلام)**، وقد طبع الكتاب بالفرنسية وبيع وان كانت نسخه الآن قليلة ، وسناتي فيما بعد ـ ان شاء الله ـ بشيء مما كتبه عن مهمته ، وعن الامير عبد القادر ، وعن الاسلام والمسلمين ، وما فهمه من الاسلام ، وثنائه على ما فيه من حلول للمشاكل الحاضرة لو وجد في المسلمين من يعمل به ، وقد عرفت حكومته ـ فرنسا ـ منزلته، فاسمت عليه نهجا في الجزائر تخليدا لاسمه واعترافا بخدماته لدولته ، في سبيل احتلالها للجزائر ، حتى لا ينساه ابناؤها .

ذكرت هذه القصة لان الكثير منا لم يطلع عليها ، ولنقارن بينها وبين الوقائع الكثيرة من مثيلاتها ، اذ لعل ما وقع لابي ذر الغفارى ـ رضي الله عنه ـ من هذا النوع ، جاءه من يهودي أسلم ، يلقب بابن السوداء ـ واسمه : عبد الله بن سبا ، كما يأتي بيانه قريبا ـ بحول الله ـ وكان ابن السوداء هذا منافقا ، ذلك ان هذا اليهودي ـ المسلم ظاهرا ـ قد اندس في صفوف المسلمين ليفتنهم عن دينهم،ويفسد عليهم ذات بينهم،وقصته مشهورة ايام كان في الشام.

وحيث كانت قصته متصلة بابي ذر وكلمته تلك التي استغلت للدعاية يجمل بنا ان نوردها هنا – للاعتبار – منقولة عن المؤرخ القديم القدير الثقة ابن جرير الطبرى والمذكورة في كتابه المشهور (تاريخ الرسل والملوك) قال : وقام ابو ذر بالشام وجعل يقول : يا معشرَ الأغْنياء ، وَاسُوا الْفقراء ، بشّر الّذينَ يكنزون الذّهبَ والْفضّةَ ولاينْفقونهَا في سبيل الله بمكاو من نار ، تُكْوَى بها جباهُهُم ، وجُنُوبُهُم ، وظُهُورُهُم ، فما زال يرددها حتى وَلِعَ الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الاغنياء ، وحتى شكا الاغنياء ما يلقونه من الناس) (1) ثم بعث معاوية بأبى ذر الى عثمان بن عفان بالمدينة حتى لا يفسد عليه اهل الشام ، ولما دخل على عثمان قال له : (يا ابا ذر ما لاهل الشام يشكون ذَرَبَكَ (2) ؟ فاخبره بانه لا ينبغي ان يقال : مال الله ، ولا ينبغي للاغنياء ان يقتنوا مالا) (3)

ويوضح لنا الطبري كيف كان اتصال عبد الله بن سبا اليهودي بأبي ذر الغفاري الذي وجد فيه ضالته ، وكيف لم يجدها في الصحابيين : أبي الدرداء ، وعبادة بن الصامت ، فيقول الطبري : (عن يزيد الفقسعي قال : لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر فقال : يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية !!! يقول : المَالُ مَالُ اللّهِ ؟ ألا إن كل شيء لله ، كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين ، هذا كلام اليهودي لابي ذر ، وهو يرمي إلى إشعال نار الفتنة بين المسلمين ، فذهب أبو ذر إلى معاوية بعد أن سمع كلام اليهودي فقال له : ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله ؟ قال – يقصد معاوية – : يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله ؟ والمال ماله ، والخلق خلقه ، والامر أمره ؟ قال : فلا تقله ، قال : فإني لا أقول لإنه ليس لله ، ولكن سأقول مال المسلمين .

قال : وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له : من أنت ؟ أظنك والله يهوديا . فأتى عبادة بن الصامت فتعلق به فأتى به معاوية فقال : (هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر)(4) . فظهر مما تقدم أن هذا اليهودي المنافق لعب

---

(1) ج 4 من تاريخ الطبرى ص 283 طبع المعارف .
(2) ذربك شدة لسانك نفس المصدر ص 284 .
(3) المصدر نفسه ص 283 .
(4) المصدر والصفحة المذكوران .

دورا هامّا في هذه القضية غير أنه صادف في أبي ذر بغيته ، وخاب سعيه مع أبي الدرداء وعبادة بن الصامت .

وقال المرحوم أحمد أمين بعد أن نقل كلام الطبري المذكور : (ونلمح وجه شبه بين رأي أبي ذر الغفاري، وبين رأي **(مزدك)** في الاموال فقط)(1) وزاد أحمد أمين قائلا : (فترى من هذا أن رأيه — يعني أبا ذر — **قريب جدا من رأي مزدك في الأموال** ، ولكن من أين أتاه هذا الرأي ؟ ثم ذكر كلام الطبري المتقدم)(2) .

وأضاف أحمد أمين إلى ما سلف هذا البيان فقال : (ونحن نعلم أن ابن السوداء هذا لقب لقّب به عبد الله بن سبا ، وكان يهوديا من صنعاء أظهر الإسلام في عهد عثمان ، وانه حاول أن يفسد على المسلمين دينهم ، وبث في البلاد عقائد كثيرة ضارة قد نعرض لها فيما بعد)(3) وزاد على ما تقدم فقال : (فمن المحتمل القريب أن يكون — يقصد ابن السوداء — قد تلقى هذه الفكرة **من مزدكية العراق** او اليمن ، واعتنقها أبو ذر حسن النية في اعتقاده ، وصبغها بصبغة الزهد التي كانت تجنح اليها نفسه ، فقد كان — يريد أبا ذر — من أتقى الناس وأورعهم وأزهدهم في الدنيا ، وكان من الشخصيات المحبوبة التي أثرت في الصوفية) . ومما تقدم ندرك يقظة بعض الصحابة وحذرهم ، فلم ينخدعوا بقول اليهودي — ابن سبأ — كأبي الدرداء وعبادة بن الصامت ومال إلى قوله أبو ذر الغفاري رضي الله عنهم كلهم ، لان قول اليهودي وافق مذهبه في الزهد في الدنيا ، وترك زينتها ، فقد ظهر من هذه الاقوال والآراء سر هذه الدعوة ومغزاها التي دعا اليها الصحابي الزاهد أبو ذر الغفاري عن حسن نية ، كما ظهر من ذلك أيضا منشؤها ومصدرها ، وهم اليهود الذين لم يفتأوا يحاربون الإسلام بشتى أنواع الحروب والاسلحة ، من أول ظهوره إلى الآن ، حتى ولو الزمهم ذلك الدخول فيه ظاهرا .

ويزيدنا يقينا فيما قلناه تلك الدعاية المسمومة بسم اليهود ، وهي قول اليهودي لابي ذر : (لماذا يقول معاوية : المال مال الله ؟) وما قال هذا

---

(1) فجر الاسلام الطبعة الثانية ص 130 .
(2) المصدر السابق .
(3) كالذى قبله .

إلا ليستحوذ على المال ويفعل به ما يريد ، وكان الواجب عليه أن يقول : المال مال المسلمين ، فنرى هنا فطنة معاوية – المعهودة فيه – لهذه الكلمة المسمومة ، ولهذا أجاب رغبة أبي ذر بجواب الحكيم والسياسي الخبير ، من غير أن ينفي المال عن الله – كما هو الواقع – ومن غير أن يغضبَ أبا ذر – – لله دره من سياسي حاذق – فقال : لا أقول إنه ليس لله ، ولكن سأقول مال المسلمين ، فجوابه هذا ارضاء لابي ذر – في الظاهر – وإن كان المال مال الله كما قال أول مرة ، وهذه حيلة ودسيسة دسها اليهودي ليتوصل بها إلى الفتنة بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فهذه إحدى دسائس اليهود الماكرين ومكائدهم للمسلمين .

ومثل ذلك في عصرنا الحاضر هذه النحلة الماركسية اليهودية الاشتراكية والشيوعية الملحدة التي أخذت مبادؤها الهدامة للعقيدة الإسلامية والأخلاق الكريمة الفاضلة تظهر وتنتشر في الأوطان الإسلامية في وقتنا هذا مستعملة كل وسائل الخداع والتمويه والتضليل في أوساط المسلمين الضعفاء في دينهم وأخلاقهم وعقيدتهم ، وقد ألبسوها لباس التقدم والتقدمية ، وأطلقوا على أنفسهم – التقدميين – وعلى من خالفهم في كفرهم بربهم – الرجعيين – ليجلبوا ضعفاء الإيمان اليهم ، فيكونون ناجحين بإخراج طائفة من المسلمين من دينهم وكفرهم بدين الله وبالرسول صلى الله عليه وسلم ، وفعلا فقد انخدع بهاالبعض منهم كما انخدع أبو ذر بعبد الله بن سبأ اليهودي فيما دعاه اليه ، كما مر آنفا . غير أن حقيقة الخداع والتمويه ستنكشف وتظهر الحقائق فيما بعد : **«وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ»**(1) .

(1) سورة الشعراء الآية 227 .

الباب السابع

الفصل الأول :

هل الإسلام قادر على حل جميع المشاكل..؟؟

هذا سؤال سمعناه كثيرا – ولا زلنا نسمعه – من أشخاص مختلفي الاغراض والغايات ، يقوله المسلم ليعرف مقدار صلاحية دينه لمسايرة أطوار الحياة ، ويقوله الزنديق ليشكك المسلمين في دينهم وصلاحيته للوقت الحاضر .

ليعلم الجميع أن في ديننا الإسلام كل قواعد وقوانين الحياة الفاضلة ، من غير اضرار بأحد ، ولا ظلم لاحد ، فلم يبح – مثلا – للغني أن يظلم الفقير ، ولا للفقير أن يعتدي على الغني بما ليس من حقه ، وهذا هو النظام الذي تسعد به البشرية في حياتها ، فكل المسلمين – بل وحتى غير المسلمين – يسعدون إذا عملوا بقوانين الإسلام التي أعطت كل ذي حق حقه .

فالمسلمون – لو طبقوا أحكام الإسلام وقوانينه وعملوا بها – أغنياء بها من كل النحل والطوائف وقوانينها الوضعية البشرية ، فلا حاجة تلجئهم إلى النظم الاخرى ، كالنظام الشيوعي ، أو الاشتراكي ، أو الرأسمالي ، أو غير ما ذكر ، فدينهم ضمن لهم الحياة الشريفة ، العفيفة ، النزيهة عن كل شوائب التكدير ، إذا عملوا به ولم يهملوه ، كما قال الله جل شأنه : **«مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى – وَهُوَ مُؤْمِنٌ – فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»(1) .**

هذا وعد الله، وعد به عباده المؤمنين به، وعدهم بالحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء الاحسن الاوفى في الآخرة .

إذن فالمسلم غني بشريعته السماوية التي وضع قوانينها الخالق العليم بما

(1) الآيــة 97 مــن سـورة النحــل .

يصلح العباد ، وهو الذي قال : «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ» (1) فشرع لهم ما فيه الخير والسعادة والكفاية لهم ، فهم في غنى عن كل قانون وضعه البشر ، لان نظر البشر مداه قصير ومحدود ، ولو بلغ أعلى درجات العلم والمعرفة ، ولكنه الضلال البشري ، والالحاد والكفر والتمرد والخروج عن قانون الخلاق العليم الحكيم ، وذلك دليل على الضلال المبين ، والخسران العظيم ، نسأل الله السلامة والعافية .

فالواجب على حكومات الشعوب الإسلامية – إن أرادت الخير للمسلمين – أن تعمل وتجبر المسلمين على تطبيق أحكام وقوانين الشريعة الإسلامية ، لا أن تجردهم منها بدعوى أنها غير قادرة على حل مشاكل الوقت الحاضر ، أو أنها لا توافق روح العصر والتطور البشري كما يتفوّه بهذا بعض الجهلة الاغـــرار .

الفصل الثاني : حماية العمل والعمال في الشريعة الإسلامية

أي قانون وضعي يحمي العامل الكادح المسكين من ظلم رئيسه أو رؤسائه ، ويأمر رب العمل بإعطاء أجرة العامل بكل سرعة ممكنة ؟ لم نعلم لهذا قانونا وضعيا ، بالرغم مما تذيعه وتدعيه بعض الدول التي تبنّت قوانين العمل والعمّال وجعلتها من خصائصها ومميزاتها ، اما في قانون الشريعة الإسلامية فإننا نجد ذلك في أوامر الله ورسوله ونواهيهما ، منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (أَعْطُوا ٱلْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ) (2) ، وجاء في رواية بعد قوله : قبل أن يجف عرقه زيادة (وَأَعْلِمْهُ أَجْرَهُ وَهُوَ فِي عَمَلِهِ)(3) . كما توعد الله من استعمل عاملا فاستوفى منه العمل ولم يوفه جره ، فالله رب العباد هو خصمه يوم القيامة ، كما جاء في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (قَالَ ٱللهُ تَعَالَى : ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ – وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ – رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ،

---

(1) الآيـــة 14 مـــن سورة الملك .
(2) رواه ابن ماجه فى باب اجـــر الاجــراء .
(3) رواه البيهقـــى .

وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوَفِّهِ أَجْرَهُ)(1) . فالمسلمون في حاجة أكيدة إلى تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية بروح خالصة من كل ما ينافي الإيمان ، ونية صادقة ، لا إلى جلب قوانين وضعية لا تطبق إلا بقوة سلطة الحكومة القائمة .

ومن أمثلة تطبيق المسلمين بأنفسهم لقوانين شريعتهم على العمال ، ما جاء في كتب السنة من أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه كان له غلام — عامل — كساه مثل اللباس الذي عليه هو ، فرآه أحد إخوانه — المعرور بن سويد — وعليه حلة — كسوة — مثل التي على خادمه ، فسأله عن ذلك ، فأجابه بما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : **(إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللهُ قِنْيَةً تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِهِ وَلْيُلْبِسْهُ مِنْ لِبَاسِهِ وَلاَ يُكَلِّفُهُ مَا يَغْلِبُهُ ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ)** (2) . فالعامل أخ لصاحب العمل ، وحقوق الاخوة في الإسلام تتطلب الرحمة والعطف واللين والمساعدة ، فهل في القوانين الاخرى — غير الإسلامية — مثل هذا.. ؟؟ ذلك أن الله يقول : **«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»** (3) ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)** (4) فالمسلمون قد أحكم الإسلام رابطة الاخوة بينهم ، فالحب متبادل بين العامل ورب العمل ، من غير أن يكون لصراع الطبقات مكان بين الاخوة كما نشاهده في الوقت الحاضر ، من إيقاد نار الفتنة والعداوة والخصومات بين طبقات العمال وأرباب الاعمال من أبناء الامة الواحدة ، فالفقراء يبغضون الاغنياء ، والاغنياء يحتقرون الفقراء ، وهذا لا يحبه الإسلام ، ولا يرضى به ، ولهذا أمر بإزالة أسبابه .

هذا هو عامل الإسلام في بذر بذور الاخوّة والمحبة بين جميع طبقات الامة ، غير أن بعض العمال في البلاد الإسلامية قد تأثر بالدعاية الشيوعية التي تثير الاحقاد وتزرع الضغائن بين أبناء وطبقات الامة الواحدة ، فقد

---

(1) رواه البخارى وابن ماجة فى الباب المذكور .
(2) اخرجه الشيخان وغيرهما عن ابى ذر .
(3) الآية 10 من سورة الحجرات .
(4) اخرجه الشيخان وغيرهما عن انس .

رأينا وسمعنا بعض الفقراء يصيحون عمن يرون عليه ثيابا نقية : يا بورجوازي أنت أكلت حقوقنا !!! ولو تأملوا في لباس من أثاروا هذه الفتنة بين الاخوة في الامة الواحدة لعلموا أن أولئك هم البورجوازيون — حقيقة — لما يشاهدونه عليهم من آثار التنعم والبذخ : في لباسهم ، ومركوبهم ، ومساكنهم ، وغير ذلك ، ولكنها الدعاية المضللة والمهرجة والطمع القبيح .

فالشريعة الإسلامية جعلت للمخالفات والمنازعات أحكاما وحدودا ، لو عمل بها المسلمون لزالت من بينهم كل أسباب العداوات ، حتى الجنايات لها حدود وعقوبات بحسب الظروف والملابسات والاحوال ، فإذا ارتكب المسلم مخالفة أو جناية عوقب عليها إلا في ظروف وأحوال خاصة ، كالسرقة — مثلا — إذا كانت من اضطرار واحتياج ، فإن السارق لا يطبق عليه الحد ، ولا تقطع يده ، لانه سرق مضطرا ، اضطره الجوع والحاجة إلى القوت ، والشرع رحيم بالعباد ، وفي قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع غلمان حاطب بن أبي بلتعة ما يدعم ذلك ، وهو الحريص على تنفيذ الحدود والعقوبات ، ولو على أقرب الناس اليه ، إذا قامت البينة على ذلك ، فقد ذكر المؤرخون وهم يتحدثون عن عدل عمر واجتهاده في أحكام الشريعة القصة التالية :

(روي أن غلمانا لحاطب بن أبي بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مُزَينَةَ ، فأتي بهم عمر فأقروا فأمر كثير بن الصلت بقطع أيديهم ، فلما رآهم صفر الوجوه ، عليهم أثر الجوع والفاقة عدل عن إقامة حد السرقة عليهم ، وقال لسيدهم : أما والله لولا أني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى أن أحدهم لو اكل ما حرم الله عليه حل له ، لقطعت أيديهم ، ثم وجه القول إلى عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة فقال : وايمن الله إذ لم أفعل ذلك لَأُغَرِّمَنَّكَ غرامة توجعك . ثم قال : يا مُزَنِي بكم أريدت منك ناقتك ؟ قال : بأربعمائة ، قال عمر لابن حاطب : اذهب فاعطه ثمانمائة ، واعفى الغلمان السارقين من الحد ، لان حاطبا اضطرهم إلى السرقة لجوعهم وحاجتهم إلى سد رمقهم) من هذه القصة نعلم مبلغ اهتمام الحاكم المسلم بحالة العمال .

إن المجتمع المسلم الذي كونه الإسلام بتعاليمه وأحكامه العادلة مجتمع فاضل شغوف بالخير والإحسان ، وقد بلغ درجة عالية في حب الخير ،

حتى للعاجزين عن ذلك ، فقد جاء في أخبار السنة النبوية أن فقراء الصحابة قد اهتموا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بفعل الخير والإحسان ، غير أنهم وجدوا أنفسهم عاجزين عن ذلك ، فهم يحبون أن يتصدقوا أو يعتقوا الرقاب أو يجهزوا المجاهدين في سبيل الله أو غير ذلك من أوجه البر والإحسان ، لذلك ذهب منهم جماعة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يشكون حالهم وفقرهم وقصر ذات أيديهم عن بذل المال ، لانهم فقراء لا مال لهم ، فهم لم يحسدوا الاغنياء على ما في أيديهم من الاموال ، ولم يشكوهم لانهم أكلوا عرقهم ، إنما لانهم يحبون أن يفعلوا الخير ولا قدرة لهم عليه ، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه : (ان فقراء المهاجرين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يَا رَسُولَ ٱللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ ٱلدُّثُورِ – يعنون الاغنياء – بِالدَّرَجَاتِ ٱلْعُلَى وَٱلنَّعِيمِ ٱلْمُقِيمِ ، فقال : وَمَا ذَاكَ ؟ قالوا : يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلاَ نَتَصَدَّقُ ، وَيَعْتِقُونَ وَلاَ نَعْتِقُ ، فأرشدهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عمل يلحقهم بمن سبقهم ويسبقون به غيرهم ، ولا يكون أحد أفضل منهم إلا من صنع مثل صنعهم ، فلما رضوا بذلك أرشدهم إلى أن تسبيح الله وتحميده وتكبيره عقب كل صلاة مفروضة ثلاثا وثلاثين مرة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلى آخر ما جاء في متن الحديث بطرقه وألفاظه المتعددة ، في كل ما ذكر أجر عظيم وثواب كثير ، يوازي ما يقدمه الاغنياء من صدقات وغيرها ، لان فيه تنزيه الله عما لا يليق به وتكبيره وتعظيمه الخ ، لان ذلك يدل على قوة الايمان ، في حين ربما قد لا يكون للمتصدق بماله ثواب ولا أجر ، لاختلال في صدقته .

نستلهم من هذا الارشاد النبوي سبل تربية الاسلام للمسلمين ، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يوغر صدور الفقراء على الاغنياء ، فلم يقل لهم – مثلا – انهم ظلموكم ، أو أكلوا عرق جبينكم ، أو امتصوا دماءكم أو غير ذلك مما نسمعه اليوم من محترفي السياسة وزعماء الإشهار ، بل دلهم على أعمال تعود عليهم بالنفع والخير ، من غير خصومة ولا عداوة لاحد ، فليس في القوانين البشرية الوضعية ما في قوانين الشريعة الاسلامية لو وجد في المسلمين من ينفذها ويعمل بها .

يزعم واضعوا القانون البشري أن فيه الحماية والرعاية لحقوق العامل

ومصالحه ، غير أن الواقع بخلاف ذلك ، فكم من عامل رفع شكواه وظُلامته إلى النقابة التي تتزعم حركة العمال ، أو إلى المجلس القضائي الخاص بقضايا العمل والعمال طالبا اليها أن تأخذ له حقه وتنصفه ممن ظلمه ، ولكن بدون جدوى وفائدة ، انتظار طويل ، وتسويف كثير مخل وممل ، والعامل المسكين يجيء ويذهب ، ويصعد وينزل ، إلى أن ييأس ، فيترك الدعوى آسفا على ما ضيعه من وقت ومال .

إذ من المشاهد المسلّم به ان الطبائع الخلقية قد فسدت وتغيرت وزال من القلوب الخوف من الله القادر على كل شيء ، واستحوذ عليها حب الاثرة ، ونسي الناس الجبار المنتقم من الظالم للمظلوم ، فصارت فطر الناس تتأثر بالمظاهر الظاهرة الخلابة الخادعة ، وبما يزينه لها شياطين الإنس والجن ، فزال منها الذوق الفطري السليم ، وصارت كالآلة الحديدية الصمّاء تعمل حسب تصميمها ووضعها من غير أن تشعر بأن عليها مراقبا يراقب عملها وسيرها . وكمثل على هذا فليجرب من أراد التجربة ، كي يلمس بنفسه ويده ما ذكرته من فساد الطبائع الخلقية وذهاب الروح الدينية إلا من القليل ، فليجلس إلى جماعة – أي جماعة كانت – ويشاركهم فيما يدور بينهم من أحاديث وحوار وآراء ، فإنه يرى ويسمع منهم العجب العجاب ، فلا يسمع إلا ما يستبين به بُعْدَ الناس عن الخوض فيما له صلة بالدين وقوانينه ، وفرارهم من كل ما فيه صلة بالروحيات والشرائع الالهية ، اللهم إلا النادر القليل ، الذي لا زالت فيه بقية صالحة من عقيدة التوحيد وحب الإسلام ، فإذا أراد أن يشاركهم فيما يتناولون من مواضيع ، وتكلم معهم وطرق في حديثه موضوع الإسلام وقوانينه وعدالته وشريعته وحبها للطهر والفضيلة والاخلاق الطيبة ، فإنه سرعان ما يرى الانقباض باديا على الوجوه ، هذا إذا لم يتفرق من حوله من كانوا إلى جنبه ، فإذا تكلم أحد الجالسين بكلام لا صلة له بالإسلام – وقد يكون منافيا للأخلاق – فإنه يرى الوجوه تتهلل وتستبشر ، لماذا هذا التحول السريع فيما يظهر ؟ لان الكلام قد ابتعد عن الجو الديني ودخل ميدانا آخر ، وهذا إنما حدث ويحدث غالبا من الدعايات المضللة الملحدة التي تصور الدين وكأنه شر وبلاء ، لا خير ورحمة ، وساعد هذه الدعاية على تأثيرها في أوساط الشبان المسلمين بالخصوص أنها تملك في حيازتها شتى وسائل الاعلام ، من صحافة وإذاعة وغيرهما ، ولم يعط

للإسلام ودعوته أية قيمة تذكر ، وما أعطيت له من حصص فهي قليلة جدا ، وتعطى لاناس لا صلة لهم بالدين – إلا القليل منهم – وفي بعض الاوقات تعطى للنساء ، وبضاعتهن في هذا الميدان قليلة ، وقد أعطيت في بعض الاوقات لمن لا يحسنون التكلم بالعربية ، فيخاطبون الناس بالفرنسية فيما يرجع إلى الامور الدينية !!! فيقول بعضهم في الإسلام – لِزْلاَمْ – كما ينطق به غير العربي ، وفيهم حتى المتجنس بالجنسية الفرنسية ، وبه خرج من الشريعة الإسلامية بفتاوي العلماء .

والمقصود من هذا كله إبعاد علماء الإسلام عن الاتصال بالامة المسلمة ، حتى لا تتأثر بكلامهم ، فإذا سمعت كلاما من غيرهم – قصد به سد الفراغ – فإنه لا يؤثر فيها التأثير المطلوب وذلك هو المقصود .

وفي مثل هؤلاء ما حكاه القرآن عن حال الكافرين المشركين حين يذكر الله وحده في مجالسهم من غير ذكر لمعبوداتهم الباطلة ، فقال : «وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ، وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ»(1) ، ومما يناسب هذا وما تقدمه من الكلام على – مزدك والمزدكية – أن أذكر هنا بيتين أوردهما الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" وقيل إنهما للأصمعي في هجو البرامكة – وأصلهم من الفرس – بعد أن حل بهم ما حل – في نكبتهم – من الخليفة العباسي هارون الرشيد ، وهما :

إذا ذُكِرَ ٱلشِّرْكُ في مجلسٍ أنارَتْ وُجُوهُ بني برْمك
وَإنْ تُليتْ عندهُمْ آيةٌ أتوْا بالاحاديث عنْ مزْدك(2)

فالشعب المسلم – أينما كان – يرد على دعاة الإلحاد والكفر والزندقة الذين يحاولون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وأقلامهم المسمومة ، كما يحاولون تغليط الامة المسلمة بواسطة مباديء شيطانية – مزدكية – يرد آراءهم وبضاعتهم الرخيصة بقول الله تعالى : «قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ»(3) . هذا ما أمر الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن

---

(1) الآية 45 من سورة الزمر .
(2) ج 2 ص 309 طبع مطبعة الاستقامة .
(3) الآية 57 من سورة الانعام .

يرد به على مشركي زمانه ، كما يقوله المؤمنون الصادقون لملاحدة هذا العصر ، ويقول الشاعر العربي : مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله ابن الزبير بن العوام رضي الله عنهما ، من قصيدة ناظر بها إسحاق بن إسرائيل فقال منها :

وَقدْ سُنّتْ لنا سُنن قِوَامٌ ... يلُحن بكُل فج أوْ وَجين(1)
وَكانَ ٱلحق ليس به خفاءٌ ... أغرّ كغُرة ٱلفلق ٱلمُبين
وَما عوّض لنا منهاجُ جَهْمٍ ... بمنهاج ٱبن آمنةَ ٱلامين
فأمّا ما علمتُ فقدْ كفاني ... وَأمّا ما جهلت فجنّبوني(2)

كيف يرضى شعب مسلم له تاريخ حافل بالاعمال الشريفة والمواقف العظيمة ، ورث الاخلاق الإسلامية عن آبائه الامجاد ، تلكم الاخلاق المشبعة بروح الإيمان القوي ، المؤمن بدينه وشريعته وأحكامها ؟ كيف يرضى أن ينبذ كل ذلك وينسلخ عنه بما فيه من محامد وأيام بيض غر في جبين التاريخ ؟ من أجل طائفة لا تؤمن بالدين ، أرادت ذلك ، ولم تفكر في العواقب والنتائج ، كيف يرضى شعب مسلم أن يعوض ويبدل منهاج وشريعة محمد بن آمنة عليه الصلاة والسلام بمنهاج (جهم) أو (مزدك) أو (ماركس) أو غيرهم ، كما قال موسى لبني إسرائيل : «**أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَى بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ**» (3) أم هل من له كنز عظيم كالإسلام ينفق منه ويجد فيه كل ما يحتاج اليه من تشريع كامل ، ورحمة شاملة ، من له هذا الكنز يحتاج إلى الاقتراض من الغير ، أو يمد يده إلى غيره كالسائل المستجدي ؟ اللهم لا إلا من كان جاهلا بأن له كنزا فهو لا يعرف عنه شيئا .

فمن رغب في تبديل قوانين الشريعة الإسلامية الكاملة ، بقوانين أخرى وضعية – أو وضيعة – كيفما كان واضعها فهو غاش للمسلمين ، بل ولم يكن منهم ، لقول الرسول عليه الصلاة والسلام : **(مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)**(4) وإنما هو عميل للملاحدة الكفرة ، لان الحق واضح ، وهل يستطيع معاند

(1) الوجين شاطىء وطرف النهر .
(2) ج 2 من كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .
(3) الآية 61 من سورة البقرة .
(4) رواه ابن ماجه .

مكابر صحيح البصر أن يفضل نور النجم على ضوء الشمس أو على نور القمر... ؟ أو في إمكانه أن يفضل قنديل الزيت الضعيف على مصباح الكهرباء الوهاج ، أو على ضياء الشمس ؟؟؟ إذا كان كل ذلك غير ممكن ولا يقوله عاقل يدري ما يقول، فالواقع والحقيقة انه لا أعدل ولا أشمل لمصالح البشر من تشريع الإسلام العظيم ، ولله در البوصيري في قوله :

اللهُ أكبرُ إن دينَ مُحمّد ... وكتابهُ أقوى وأقومُ قيلاً
لاتذكرُوا الكتبَ السوالفَ عنده ... طلعَ النّهارُ فأطفئِ القنديلاَ

فإذا طلع النهار بشمسه المضيئة وجب أن يطفأ قنديل الزيت الضعيف ، فالإسلام كما قيل :

كالبدر لاَ تختفي ليلاً أشعتّهُ ... إلا على أكمه لا يعرفُ القمرَا

لكن الجهالات المتفشية في المجتمعات العصرية دفعت بالمسلمين إلى الاقتداء بغيرهم حتى في الكفر ، فقد كفروا بالاتباع والتقليد لغيرهم ، ولهذا حذر العقلاء من الاندفاع وراء من لا يقدرون للعواقب نتائجها كما قال أبو محمد عبد الحق الإشبيلي تحت عنوان "كفروا تقليدا" ؟

لا يخدعنّك عن دين الهُدى نفرٌ ... لم يُرزَقوا في التماس الحق تأييدا
عميُ القلوب عروْا عن كل فائدة ... لانهمْ كفرُوا بالله تقليدا

الباب الثامن

الفصل الأول :

الاشتراكية والدين

إن كل من درس أصل الاشتراكية – وهي الشيوعية – أدرك ما تبيته للدين – وخاصة للإسلام – وعقيدته من نيات سيئة ، فهي ترى أن الذي يقف في طريق انتشارها وإقبال الناس عليها إنما هو الدين – وبالخصوص الإسلام وعقيدته – لهذا نراها في كل بلد وجدت فيه لا تهتم بأمر الدين – وهو رأس مال الإنسان – ولا توليه – وهو هو – أية عناية،فهو عندها من الامور الزائدة ، هذا إن لم تحاربه ، وتصد الناس عنه كما سنعرفه – إن شاء الله – فيما بعد ، وأظهر ما يظهر ذلك في بعض المظاهر الإسلامية :

1) المظهر الاول من مظاهر الإسلام التي عملت الاشتراكية على أن لا يظهر فيها الإسلام وشريعته : إبعاده عن كل عمل أو ميدان يخدم فيه الشعب خدمة مباشرة ، تطهره من أدناس البشرية الضالة ، وجعله مقصورا ومحبوسا ومحصورا بين جدران المساجد ، بدعوى أنه عاجز عن العمل في المجتمع ، وإذا أريد له الظهور – في بعض المناسبات – في المقابر وبين الاموات بالدعوات ورفع الاكف – التقليدي – إلى السماوات ، وهل يجيب الله دعاء قوم لا يعتقدون فيه – الدعاء – ؟ فلإجابة الدعاء شروط وعلامات ، منها التغذي بالحلال والطهر ، كما ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً ، إلى أن قال : ثُمَّ ذَكَرَ ٱلرَّجُلَ يُطِيلُ ٱلسَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ يَارَبِّ يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِّيَ بِٱلْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ؟)**. فظهر من متن الحديث أن أكل الحلال هو السر الاكبر في إجابة الدعاء ، وأن الله طاهر لا يقبل إلا الطاهرين ،

في هذا الحديث تنبيه للغافلين ، وتقريع للمتغافلين ، الذين يرفعون أيديهم بالدعاء وهم على ما هم عليه .

2) المظهر الثاني من مظاهر الإسلام : القضاء الشرعي — وما أدراك ما القضاء الشرعي ؟ — تعمل الكثير من حكومات الشعوب الإسلامية — الاشتراكية — على إلغاء القضاء الشرعي وتعويضه بالقضاء المدني .

والقضاء الشرعي مظهر من مظاهر سلطة الإسلام التي تنشر الامن والرحمة والعدل بين العباد ، فيكون المسلمون على صلة بربهم ، فأحكامه مستمدة من نصوص الآيات القرآنية أو من أحاديث ثابتة عن صاحب الشريعة فيكون الحكم معتمدا على نص في كتاب الله ، أو في سنة رسول الله ، بخلاف القضاء المدني ، فإن أحكامه تدعم بفصل كذا من قانون كذا المؤرخ بكذا ، ومصدرا : باسم الشعب الفلاني حكمت محكمة كذا — لا باسم الله — على فـلان بكـذا الخ...

وللقضاء الشرعي في الإسلام مرتبة رفيعة عالية تلي مرتبة الخلافة ، أو الإمارة ، وله من الحرمة والاعتبار ما جعل أمراء المسلمين والخلفاء يختارون له من اجتمعت فيهم الصفات العالية : كالعلم الواسع ، والفهم الصائب ، والورع الحقيقي لا المزيف الكاذب الخادع ، والشجاعة في الحق ، وألاَّ تأخذ القاضي في سبيل العدل لومة لائم ، والمساواة بين الخصمين أو الخصوم في كل شيء ، حتى في النظر والاستماع إلى آخر ما في ذلك من السمو والرفعة ، وكانت محاكم الشرع الإسلامي — فيما مضى من الزمن — عندنا في الكثير من مدن الجزائر متصلة البنيان بالمساجد ، بل هي جزء منها ، فإذا حضر وقت الصلاة خرج القاضي من المحكمة إلى المسجد لاداء فرض الصلاة ، وكان الامراء المسلمون يحترمون القضاة الشرعيين ويهابونهم ، ويتركونهم أحرارا في أحكامهم ، بعد أن يفوضوا لهم الحكم في النوازل حسب النصوص الشرعية ، وقد يكون ابن الخليفة ، أو أخوه — مثلا — أو هو نفسه متهما — وفي تاريخ الامراء والقضاة الكثير من هذا — فيأتي إلى المحكمة ، ويقف أمام القاضي مع خصمه .

ولا يخفى علينا موقف القاضي العادل — سلطان العلماء — عز الدين ابن عبد السلام المتوفى عام 660هـ رحمه الله ، من الامراء المماليك في مصر عندما أراد بيعهم في السوق وقال لهم : انكم مملوكون للأمة ، ولبتم

بأحرار حتى تنالوا الإمارة والسيادة على الاحرار ، وقد غضب عليه السلطان من أجل موقفه هذا ، ولكنه فضّل – رحمه الله – رضى خالقه عن رضى السلطان ، وهكذا ينبغي أن يكون علماء الإسلام ، كما قال القائل فيهم :

إن الأكابر يحكمون على الورى وعلى الأكابر يحكم العلماء

فالقضاء سنة محكمة كما جاء في رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الاشعري رضي الله عنهما ، وقد ذكر فيها من أصول الاحكام ما لا يوجد في غيرها من مواد القانون المدني في الوقت الحاضر .

فالقضاء الشرعي يحسم مادة الخلاف من أصلها ، ويمحو الخصومات من أساسها إذا تولاه رجال أكفاء قادرون على تحمل مسؤوليته الثقيلة ، رجال أطهار – لا نساء كما هو في الوقت الحاضر – ملئت قلوبهم بالإيمان بربهم والنزاهة والخوف من عقابه الذي ينتظرهم إذا هم جاروا عن علم ، أو حكموا عن جهل أو هوى ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث : (**ٱلْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ – ٱثْنَانِ فِي ٱلنَّارِ وَوَاحِدٌ فِي ٱلْجَنَّةِ – رَجُلٌ عَلِمَ ٱلْحَقَّ فَقَضَى بِهِ ، فَهُوَ فِي ٱلْجَنَّةِ ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي ٱلنَّارِ ، وَرَجُلٌ عَرَفَ ٱلْحَقَّ فَجَارَ فِي ٱلْحُكْمِ فَهُوَ فِي ٱلنَّارِ**) (1) . والقضاء في الإسلام من الوظائف والمناصب الخاصة بالرجال ، نلاحظ هذا في الحديث المتقدم وفي غيره ، فإنه لم يقل فيه – امرأة عرفت الحق – وقال أيضا : (**إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى مَعَ ٱلْقَاضِي مَا لَمْ يَجُرْ ، فَإِذَا جَارَ تَبرَّأَ مِنْه وَأَلْزَمَهُ ٱلشَّيْطَانَ**)(2) وقال أيضا : (**لاَ يُقَدِّسُ ٱللَّهُ أمَّةً لاَ يَأْخُذُ ضَعِيفُهَا مِنْ قَوِيِّهَا حَقَّهُ**) (3) ، وفي رواية عن جابر رضي الله عنه (**لاَ قَدَّسَ ٱللَّهُ أمَّةً لاَ تَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ حَقَّهُ مِنَ ٱلظَّالِمِ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ**) (4) كما ورد هذا المعنى للحديث المتقدم بلفظ : (**لاَ تُقَدَّسُ أمَّةٌ لاَ يُقْضَى فِيهَا بِالْحَقِّ ، وَلاَ يَأْخُذُ ٱلضَّعِيفُ حَقَّهُ مِنَ ٱلْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ**) (5) . أي من غير أن

(1) رواه اصحاب السنن الاربعة والحاكم عن بريدة .
(2) رواه الحاكم والبيهقى فى السنن عن ابن ابى اوفى .
(3) رواه فى مسند الفردوس .
(4) ذكره العجلونى فى كشف الخفاء .
(5) اخرجه الطبرانى عن معاوية رضى الله عنه

يصيبه أذى يقلقه ويزعجه . والاحاديث وأقضية الصحابة كثيرة متعددة في هــذا البـــاب .

أما القضاء المدني فإنه يشعب النوازل ويطيل أيام الخصام ، ولربما نمى النوازل وزاد في مشاكاها ، وقد يصعب حلها من بعد .

هذا وقد جرد القضاء الشرعي من التدخل في الامور المهمة المتعلقة بحياة المسلمين ، وحصر نظره في الأحوال الشخصية لا غير ، وهذه الاخيرة هي أيضا في طريق الزوال .

فنجد ـ مثلا ـ أن عقد الزواج حسب القانون المدني الجديد يجوز إيقاعه لدى القاضي المدني الذي أبدل لقبه بـ "الموثق" أو لدى رئيس البلدية ، وهذا الاخير كثيراً ما يكون جاهلا بالاحكام الشرعية ، ، فإذا حضر أمامه الزوجان ـ ولا بد من حضورهما معا ـ عملا بقانون استعماري سنه المستعمر وقت الثورة المسلحة ، وأطلق عليه اسم ـ عانس ـ تدعى (سيد قارة) كانت نائبة وقت حرب التحرير في البرلمان الفرنسي ، وبقي قانونها معمولا به إلى ما بعد الاستقلال ، وإلى يومنا هذا ، قلنا لا بد من حضور الزوجة في البلدية أو المحكمة ـ كالاروبيين ـ إلا إذا كان القاضي يحمل الروح الإسلامية ، فإنه لا يرضى بحضور الزوجة لما في ذلك من الفضيحة ، فإنه يكتفي بالولي ، فإذا حضر الزوجان أمام رئيس البلدية أو أمام الموثق ، سأل الزوجة أولا : ـ كالاروبيين ـ هل أنت راضية بالزواج من هذا الرجل ؟ فتجيب بنعم ، ثم يسأل الزوج : وهل أنت راض بالزواج من هذه ؟ فيقول : نعم . بعد هذا يقدم لهما السجل ـ سجل الحالة المدنية ـ ليضعا عليه إمضاءيهما ثم ينصرفان ، هذا ما هو واقع الآن ، وفي هذا الإجراء ما هو مخالف للنصوص الشرعية من عدة وجوه ، منها أن فيه عزلا للولي الشرعي وإبعادا له عن رعاية مصلحة من هو مسؤول عنها ، وصحة العقد الشرعي تتوقف عليه لحديث : **(لاَ نِكَاحَ إلاَّ بِوَلِيٍّ)** (1) ولحديث : **(أَيُّمَا امْرَأَةٍ زَوَّجَتْ نَفْسَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ)** (2) ولحديث **(أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ ـ تَزَوَّجَتْ ـ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا**

---

(1) رواه ابن ماجه عن ابن عباس وابى موسى .
(2) رواه الخطيب عـــن معـــاذ .

باطِلٌ الخ ...) (1) ومنها أنه لا يجوز - شرعا - للمرأة أن تتولى بنفسها عقد نكاحها ، والذي يتولاه - شرعا - إنما هو وليهاللحديث الشريف : **(لاَ تُزَوِّجُ المرْأةُ المرْأةَ ، ولاَ تُزَوِّجُ المرْأةُ نفسَهَا ، فإنَّ الزانِيَةَ هِيَ الّتِي تُزَوِّجُ نفسَها)**(2) .

من أجل هذه المخالفات الظاهرة والكثيرة لما شرعه الإسلام للمسلمين في بناء الاسرة على قواعد سليمة من كل تدخلات إبليس ، رأينا في هذه السنوات الاخيرة ما هال المفكرين وحيرهم على مستقبل الاسرة المسلمة ، وذلك من كثرة الطلاق وانحلال رابطة الزوجية ، وقد كثر وتفاحش إلى حد كبير جدا جدا ، وما ذلك إلا من عدم اتباع سبيل الشرع العزيز الذي أرسى قواعد الاسرة المسلمة على أسس ثابتة متينة ، فالمرأة المسلمة غرر بها أعوان الشيطان ، فوقعت في الهاوية ، فهي مهما كانت حريصة على اختيار زوجها فإن هناك جوانب في الرجل قد تخفى عليها ، ومما زاد في كثرة الطلاق خروج المرأة سافرة متبرجة - وقد عد هذا من التقدم وحسنات العصر - فقد يتزوج الرجل اليوم وبعد أسبوع أو أسبوعين يرى امرأة أخرى تعجبه فلا يفكر إلا في فراق الاولى ليتزوج من الثانية ، وهكذا ، فصار زواج المسلم والمسلمة كزواج الامريكي والا مريكية ، فقد يتزاوجان المرتين والثلاثة في الشهر الواحد ، فالمرأة - العصرية - أدخلت في حسابها أنها كسبت شيئا كبيرا بخروجها سافرة مبدية مفاتنها ، متبرجة تبرج الجاهلية - الاخيرة لا الاولى - كما قيل لها انك كسبت حريتك بخروجك من سجن المنزل إلى حرية العمل والاجتماع بمن ترغبين ، غير أن الحقيقة الملموسة - لا المتخيلة - أظهرت خلاف ذلك ، وهي أن المرأة العصرية خسرت كل شيء في هذه الحياة له وزنه وقيمته ، خسرت قيمتها الغالية ، **وخربت بيتها برجلها لا بيدها .**

نعود إلى قضية القضاء الشرعي ونتساءل : كيف يكون حال أمة مسلمة أماتت القضاء الشرعي وألغت أحكام الإسلام وعوضتها بالقانون المدني المأخوذ من قوانين الامم التي لا تؤمن بخالقها ، هل لازالت في حظيرة

---

(1) رواه احمد ، وابو داوود ، والترمذى وابن ماجه والحاكم عن عائشة
(2) رواه ابن ماجه عن ابى هريرة .

الاسلام ؟ سؤال يجيب عنه الواقع ، وكفى به ، والله يقول : «**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**» (1) .

3) المظهر الثالث من مظاهر الإسلام التي تعمل الاشتراكية الشيوعية على ابطالها وإلغائها الاوقاف والاحباس الإسلامية ، التي هي حسنة من حسنات الإسلام والمسلمين ، ففي بعض الاوطان الإسلامية التي دخلتها نحلة الاشتراكية المزدكية عمدت حكوماتها إلى حل وإبطال جميع أوقاف المسلمين الاولين أولي الخير والصلاح — وهي في المكان العالي من الدين — واستولت عليها بحجج واهية ، وهو أمر مخالف لما رغّب فيه الإسلام وحببه إلى المسلمين وحثهم عليه ، وذلك بوقف وتحبيس أملاك وعقارات على سبل الخير ومنافع المسلمين ، ومنها ينتفع محاويج المسلمين ، وتنتعش بها مراكز إشعاع نور الإسلام ، من مساجد ودور العجزة وغيرهما ، ويعظم بها الاجر والثواب للمسلمين المحبسين ، فكم أفادت هذه الاوقاف الخيرية المسلمين وأبقت نور الإسلام يشع لينير الطريق للسالكين ، فإبطالها وإلغاؤها تعطيل لما حواه الحديث النبوي الشريف ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : (**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ — وفي رواية الإنسانُ — انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**) (2) .

فالمسلم طبعه الاسلام بطابع حب الخير وتحصيله ، أما مقاصد المحبسين فكثيرة ، وقد ذكر العلماء منها أنواعا تظهر فيها رغبة المسلم في إعانة إخوانه في الدين بما يوقفه عليهم ، من عقارات وغيرها يرجع ريعها وفائدتها عليهم ، إذ للواقفين والمحبسين مقاصد خيرية يرجون من ورائها الاجر والمثوبة والنفع في الدنيا والآخرة ، كعمارة المساجد بالدروس العلمية والقرآن وانارتها وفرشها وغير ذلك ، ومما يلفت النظر الى مقاصد المحسبين نياتهم في التحبيس ، منها — وهو الاهم والاغلب — عمارة المساجد واصلاحها الخ ،ومنها اعانة العجزة والارامل ، واعانة البنات الفقيرات او اليتيمات على تزويجهن حتى لا يرغب عنهن الراغبون ، ومن المقاصد الانسانية وقف كان بعنوان (مؤنس العليل) سببه ان رجلا غنيا أصيب بعلة ومرض فبات ساهرا يتململ من علته، فنام أهله

(1) الآية 44 من سورة المائدة .

(2) رواه البخارى فى الادب المفرد واصحاب السنن الا ابن ماجه عن ابى هريرة .

واستوحش في ليله ، فلم يأنس إلا بالمؤذن الذى شرع في تلاوة القرآن والادعية من أعلى صومعة الجامع في آخر الليل وقبل طلوع الفجر ، فلما شفاه الله من علته تلك أو قف وقفا لمؤذن خاص يصعد كل ليلة — بعد رقاد الناس — الى الصومعة لتلاوة القرآن والاذكار والقصائد بصوت حنون ، اذ لعل هناك من هو عليل أصابه الارق فيأنس بما يسمع من صوت المؤذن من أعلى الصومعة ، وهذا كله من أثر العقيدة الاسلامية ، ورعاية حقوق الاخوة الاسلامية بمكان .

ومن ذلك وقف ياخذ منه الفقير اجرة الوضوء — الغسل — في الحمام حتى لا تفوته صلاة الصبح عن وقتها وهذا من الاعانة على العبادة في وقتها ، ومنها ما هو معد للفقراء وابناء السبيل ، الخ فاوجه البر كثيرة ،والاهم من ذلك كله ما هو معد للمساجد من اصلاح وعمارة وغير ما ذكر .

4) المظهر الرابع من مظاهر الاسلام المناصب الدينية ، فقد صارت تسند الى رجال غير اكفاء لها ، وليس لهم — الا القليل — من ماضي حياتهم ما يجعلهم ينالون ما اسند اليهم عن جدارة واهلية ، لضعف بضاعتهم فيما اسند اليهم ، وعدم تمكن الدين من نفوسهم حتى يدافعوا عنه ويحموه ممن يتربص به الدوائر ويتحين الفرص له لينفذ مرغوبه فيه .

والدافع الذى يدفع المسؤولين الى اسناد المناصب الدينية الى من ذكرنا ما يعرفونه فيهم من ضعف ،لانهم سيكونون أطوع لهم من غيرهم الذين لا يتساهلون في التفريط ولو بجزء يسير منه . او تضييع اىّ جزء ولو كان مقدار قلامة ظفر ، فهم ان لم يكونوا قوة له فلا يكونون عونا على القضاء عليه .

ويولونهم — ايضا — بدعوى ان فيهم مُرُونَةً — والاسلام مَرِنٌ كما يقولون وانهم يسايرون ركب الاشتراكية ، بل ويجعلون الاسلام اشتراكيا — اذا اقتضى الحال — كل ذلك ليرضى عنهم زعماؤها المتحمسون لها ، فيكثرون الكلام — كما سمعنا ذلك منهم المرات العديدة — على موافقة الاسلام للاشتراكية — وهم كاذبون — فهم يعملون على تعويض الاسلام بالاشتراكية — وهذا ما يرمي اليه خصومه — ومحوآثاره شيئا فشيئا الى ان يزول —لاقدر الله ذلك — ويمحى من الوجود ، ولاتبقى الا الاشتراكية ، وهذا هو المقصود ، فيكون محوه بايدى من ينتسبون اليه .

فالاسلام دين سماوى قائم بذاته ، مستقل بنفسه ، وشريعته كاملة لا نقص

فيها حتى تكملها قوانين الملاحدة ، فمن ادعى ان الاسلام ناقص ، او لاقدرة له على حل مشاكل الوقت الحاضر كما يقولون– من ادعى ذلك فهو كاذب ومكذب ومرتد كافر برب العالمين ، منزل القرآن الذى جعله دستور المسلمين ، كما هو خائن لامانة العلم وعهد الدين ، فاذا قالوا ان في الاسلام بعض اهداف الاشتراكية ، او نزعة تشبه الاشتراكية ، فهذا نعم ، واما ان يكون هو هي فلا ... فالاسلام ليس بالشيوعية في نظامها ، ولا بالرأسمالية في أهدافها ، فهو وسط بينهما ولعل هذه الآية تتحمل هذا المعنى وهي قوله تعالى وتقدس: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً»(1) فالامة الاسلامية امة وسط في حياتها ، فليست بالمتغالية في كسب المادة كالرأسماليين ، ولابالمفرطة كالذين يتظاهرون بانهم ليسوا من عباد المال وارباب،لهذا فالاشتراكية لاتتفق – ابدا – مع الاسلام مهما حاول بائعوا دينهم ذلك ، فتعاليمه وتعاليمها متغايران متناقضان ومتضادان ، فكيف يمكن الجمع بين هذه المتناقضات ، كالجمع بين النور والظلمة ، او بين الليل والنهار ، وذلك امر مستحيل ، فهو دين الهي اساسه الاقرار بوجود الله وتوحيده والايمان به وطاعته ، وهو موجود موجد لكل شيء ، اما هي فانها من وضع البشر ، تحمل فيما تحمل ما يناقض الدين فلا ايمان فيها لا بالاله ولابالدين ولا بطاعة الخالق العليم ، اذ من الاصول التي بنت عليها دعوتها (لااله والحياة مادة) فمن ذا الذى يدعي انه لاتنافي بين الاسلام وبين الاشتراكية ؟ وامرهما ما يعرف الجميع ، وتثبيتا لهذا المبدا الاشتراكى فاننا لم نر – الاشتراكيين – يقومون باداء الفروض الدينية كما يقوم بها غيرهم ممن ليسوا على مذهبهم ، فلا يقصدون المساجد الا في المناسبات كالاعياد ، اذ كيف يفعلون شيئا يرونه خلاف مذهبهم ،؟ فاذا تظاهر واحد منهم بالتدين فانه لحاجة في النفس لا غير ، وقد سمعنا رئيس الجمهورية الجزائرية السابق احمد ابن بلة يصرح في حفلة اقيمت في قاعة سينما "الماجستيك" سنة 1964 بما يلي ، اذ قال وهو يتكلم عن الدولة الجزائرية : (تأخذ مكانها في البناء الاشتراكى ، تأخذ مكانها الطبيعي) وهل طبيعة الامة الجزائرية ودولتها هي الاشتراكية ... ؟؟ ومن المعلوم في النظم الدولية ان المسؤولين الكبار كالملوك والرؤساء اذا تكلموا أوجزوا فيقلون الكلام بلا ثرثرة، وفي مناسبات خاصة،

(1) الآيـة 143 مـن سورة البقـرة .

ولكلامهم مفاصل ومواقع ، وهكذا فقد ساقه الغرور الى ان يرمي الاسلام والقائمين عليه بما لا يتفق والـواقع فقال فيما قال :(نندد بالافكـار الباليـة ، طائفة باسم الدين ،هذاك الدين البالي — حسب تعبيره — تخلينا — يقصد تتركنا — في حالة ركود) هكذا قال ، فقد تجرأ على ان رمى الاسلام بِالبِلَى ، فقد ظن ان الاسلام كالثوب البالي القديم الممزق ، وتجاهل أنه ما أحله ذلك المحل الا الاسلام ، وهو الدين القوى الصحيح لا البالي الخلق ، فلا ينكر احد دور الاسلام الفعال وعقيدته الحية في تحرير الجزائر من الاستعمار ،فان هذه الكلمات التي كانت مستعملة إبّانَ الثورة المسلحة — ولازالت — كلمات إسلامية وهي ، الجهاد ، والمجاهدون ، والشهيد ، والشهداء ، وفي سبيل الله الخ ، وبعد ان قال ما قال في الاسلام اخذ يرمي العلماء بما لا يليق ، ويتهكم بهم، في نفس الوقت ، فقال في نفس المناسبة : (أهل الرززْ — يقصد اصحاب العمائم — الذين اشبعوا بطونهم ، هذوك — يريد اولئك — الناس الذين يتغنون بالدين ماشفناهمش — يعني مارأيناهم — في أيام "لاكُوست".) — حاكم الجزائر وقت الحرب التحريرية — بهذا صرح رئيس الدولة الجزائرية الاولى ، وهو مسؤول عن كل ما قال في جمع حاشد أكثره — بل أكثرهن — من النساء كما هي العادة في كل اجتماعاته .

فاصحاب العمائم — الذين قصدهم بالكلام — قاموا بواجبهم نحو الثورة والوطن، ففيهم من انضم الى ثورة التحرير في وقتها ، فكان في صفوفها ، أوداعيا لها في الخلف او في المساجد ، وغير ذلك من اوجه النشاط ، ففيهم الشهداء ، والمعذبون ، والسجناء والمعتقلون الخ ، ولم يَمُنُّوا على امتهم بما نالهم من المستعمر وجنده كما مَنَّ عليها غيرهم،فكيف يتجاهل اليوم متجاهل او جاهل ما قدمه العلماء — وهم الذين هيّأوا الشعب لذلك بالعلم — لتحرير الجزائر من ضحايا في شتى الميادين ، وكان فيهم الهالكون والناجون كباقي افراد امتهم ، ولكن انى له ان يعرفهم او يعرف أعمالهم وهو في وقت الثورة المسلحة كان يعيش خارج الجزائر ...؟؟؟

وفي اصحاب الرزز — العمائم — من كان ضد ثورة التحرير ، وفي صفوف الجيش الفرنسي ، عملوا كثيرا على تحطيم الثورة المسلحة — وكنا نظن ان الثورة ستعاقبهم بالشنق بعد الاستقلال — غير اننا رايناهم جالسين الى جنبه في الحفلات الرسمية — ولازالوا الى الآن — وهم يتبوأون أعلى المناصب،وكان من هذا النوع

الاخير الائمة المتازون – هكذا المتازون – يا ابن بلة ، ولكنه العداء السياسي والحزبي القديم يعمي صاحبه عن رؤية الامور على حقيقتها ، ويا ليته استثنى البعض ، فلواستثنى البعض ولم يعمم لقلنا انه اراد بكلامه الذين كانوا في صفوف الجيش الاستعمارى ، وهذا النوع – منهم – بالطبع صفّق – ولازال يصفق – للاشتراكية ونادى بها في الدولة الجديدة ، فهم مع كل من حضر وقته وليس لهم مبدأ – شأن الاحرار – فهم اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، كما قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكما قال الشاعر القديم :

وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةٌ أُدْعَى لَهَا وَإِذَا يُحَاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ

جرنا الى هذا الحديث ما قلناه سابقا من ان الاسلام والاشتراكية لا يلتقيان ، لهذا يعادى دعاة وانصار الاشتراكية العلماء الذين لا يجارونهم فيما ذهبوا اليه.

وهنا يجمل بنا ان نوجه هذا السؤال الذى تتفرع عنه اسئلة اخرى والتى تفرض نفسها علينا – ليزداد الموضوع وضوحا ، وهي موجهة الى حكام المسلمين الذين عوضوا الشريعة الإسلامية بالاشتراكية الشيوعية، والسؤال هو : هل الاسلام أفضل وأكمل وأوفى بالحاجات الانسانية او الاشتراكية ؟ او هو مساولها ؟ اوهو دونها وأقل منها؟ والجواب لايخلو عن واحد من ثلاثة :

1) فان اجابوا بأن الاسلام أفضل وأكمل وأوفى بالحاجات الانسانية – وهذا لا يرجى منهم – قلنالهم : لماذا – اذن – استبدلتم الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟

2) وان قالوا : الاسلام والاشتراكية متساويان ، قلنالهم – ايضا – ولماذا عوضتم الاسلام بمساويه ؟ وهذا لا يفعله عاقل ،

3) وان أجابوا بان الاشتراكية أفضل وأكمل منه وأحسن للبشرية – ولهذا عوضناها به – قلنا لهم هذا ردة وكفر – عياذا بالله – فاجهروا بهذا الرأى حتى تعرفه شعوبكم ، وانظروا هل ترضى بتكفيرها او لا. ؟

5) المظهر الخامس من مظاهر الاسلام عدم الاهتمام بالدين وترك اهل الشر والفساد يفسدون في الارض ولايصلحون ، من غير أن ينالهم العقاب ، وفي هذا اغراء وتشجيع لغيرهم باتباع سبيلهم ، وبالعمل مثلهم ، وفي الناس الصالح والطالح والخيّر والشرير – ومعظم النار من مستصغر الشرر – والحكومة

الواعية لواجباتها يجب ان تكون يقظة لاتترك الاشرار يجهرون بشرورهم ، ومن الغريب أنهم يجدون التشجيع والعون من بعض الدوائر الحكومية .

6) المظهر السادس مجاهرة الاشتراكيين التقدميين — حسب تعبيرهم — بعداوتهم للدين ، واحتقارهم له ، وتحميله جميع اوزارهم وخيباتهم ، فاذا لم ينجحوا في عمل ما فذلك راجع الى الدين ، واذا هزموا في معركة ما فانهزامهم من الدين ، وان لم تكن لهم قوة كقوة غيرهم فذلك سببه الدين ، الى غير ذلك مما نسمعه ونراه ، والواقع انهم لو اتبعوا الدين لماحل بهم ما يكرهون ، «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَا يَشْعُرُونَ»(1) .

الفصل الثاني : محاربة الاشتراكية الشيوعية للإسلام .

ان محاربة الاشتراكية الشيوعية للاديان بصفة عامة ، وللاسلام بصفة خاصة امر شائع ومعروف يعرفه الخاص والعام ، ولكن حربها للاسلام اشد . وعامة المتتبعين لما يجرى في الاوطان الاسلامية التي استحوذت عليها الاشتراكية الشيوعية يعرفون ما يلاقيه اخواننا المسلمون فيها من اضطهاد واحتقار وتضييق بلغ اقصاه من هذه الشيوعية الملحدة ، وحربها للاسلام مكشوفة غير مستورة ، وأمثلتها كثيرة ، نذكر منها بعض العينات على سبيل الاستشهاد .

1) كتب المدعو (أ — جاكو فينسكي) في جريدة "برافدا فوستوكا" الصادرة بتاريخ (29 جوان عام 1965) تحت عنوان (الماركسية اللينينية والدين) يقول: (ما زلنا نجد عندنا اناسا لا يزالون يعتقدون بالله، متأثرين بالخرافات والسخافات الدينية ... وهم يقومون بطقوس دينية ، ويحافظون على الصيام وعلى الاعياد التي سنها القرآن ، ومن بين هذه الطقوس نجد صوم ثلاثين يوما في رمضان ، فالذى يصوم رمضان لا يحق له ان يأكل ولا ان يشرب ولا ان يستحم — كذا قال — من الفجر الى الليل ، ولا يحق للصائم ان يستعمل العلاج حتى ولو كان لصقا فوق الجرح ، وبالاضافة الى ما يعترى الافكار من ادران من جراء هذا الاعتقاد البائس — في نظر الشيوعي طبعا — فان الذين يصومون يفقدون جزءا من قدرتهم على العمل ، واذا ما علمنا ان رمضان يأتي في أفضل الاوقات

---

(1) الآيتان 11 — 12 من سورة البقرة .

لزراعة القطن ، ادركنا ما يحدثه صيام هذا الشهر من رمضان في زراعة القطن ، وفي الحصول على قطن جيد ...) (1) فالشيوعي يرى ان الانسان كالحمار والبغل يأكل ليقوى على حمل الاثقال .

ابعد هذا الذى رايناه يَدّعي مدَّعٍ انه اشتراكى ومسلم ايضا ؟؟؟ فالاشتراكية والاسلام لا يجتمعان في شخص واحد ابدا ، بالرغم مما يصرح به ويعلنه زعماؤها الذين هم من ابوين مسلمين ، وقد سمعت مرة كلمة قالها السيد احمد ابن بلة قال انه قالها لزعماء — الكريملن — عندما زارهم فيه وهي : (ان الاسلام لا ينافي الاشتراكية) وهذا منه خطأ ظاهر اذا كان يعرف ويدرك مدلول الاسلام واهداف الاشتراكية .

2) وفي هذه القصة التي اذكرها هنا — ايضا — والتي وقعت من سنوات قليلة مضت الدليل الكافي على ما يبيته الاشتراكيون للدين — وكم لها من نظائر — وقد كان لوقوعها وقعها صدى بعيد في العالم الاسلامي نبه الغافلين وايقظ النائمين ، وكشف القناع عن وجوه الملحدين ، خصوصا وهي واقعة فوق ارض عربية وفي بلد عربي يعز علينا ان يوسم بميسم الالحاد — من اجل بعض الطائشين !! — ونبذ الاسلام — الذى به لابسواه كان عز العرب — ذلك البلد العربي هو (سوريا) وكفى !!! التي ابتلاها الله بحزب البعث — بل العبث — الشيوعي كما ابتلى الله به العراق — أيضا — فقد كتب كاتب — الانسان البعثي العربي الاشتراكي — في مجلة "الجيش السوري" يصف ويعرف الاشتراكي العربي من هو ؟ فقال بالحرف : (والطريق الوحيدة لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي ، هو خلق — كذا — الانسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن... ان الله ، والاديان ، والاقطاع ، والرأسمال ، والاستعمار ، والمتخمين ،... وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دُمًى مُحَنَّطَةً في متاحف التاريخ... الخ ثم يستطرد فيقول : الإنسان الذي لا يعتمد إلا على نفسه ، وعمله ، وما يقدمه للبشرية جمعاء... لانه يعلم أن نهايته الحتمية : الموت ، وليس غير الموت ، لن يكون هناك

---

(1) عن العدد العاشر — السنة الخامسة — من صحيفة (المجتمع) اللبنانية الصادرة فى 24 رمضان 1385 هـ وفى 10 جانفى 1966 م.

نعيم ، أو جحيم ، بل سيصبح ذرة تدور مع دوران الارض.. الخ)(1) فقائل هذا القول إن كان غير مسلم فأمره واضح ، وإن كان مسلما – بالوراثة أو الدعوى – فهو كافر مرتد ملحد، وفيما كتبه براءة من الإسلام ، لانه أنكر وجود الله – وهذه هي عقيدة الاشتراكيين – والاديان ، بل سوى في إنكاره وجحوده الله الخالق بالاستعمار والرأسمال ، وهذا مما يدل صراحة على جهل أصحاب هذا المذهب السياسي وإلحادهم ، ومما يضحك أنه أنكر بعث الله للأجساد في الآخرة – وهو بعثي – وآمن ببعث الانسان في الدنيا – إذ أنكر البعث وما بعده إلى آخر ما هذى به هذا المحموم – وأمثاله كثيرون –وما أظهره من مكنون عقيدته الإلحادية ، وقول هذا البعثي في الواقع ليس له وحده ، بل له في ميدان هذا السباق فرسان كثيرون من المضللين ، وهم يتمتعون بالحصانة والمساندة من بعض أعضاء حكومات الشعوب الإسلامية ، من غير التفات إلى ما تحدثه هذه النزعات في الشعوب المسلمـــــة .

3) ويقول بعثي آخر : (لو امتدت يد الله إلى حزب البعث لقطعناها ! ! !) عجيب والله من هذا الغرور ، فإذا كان لهذا البعثي – المغرور – القدرة على قطع يد الله – والله منزه عن اليد – ولا تستطيع بعوضة مثل هذا البعثي أن تصل اليه ، فلماذا لم يقطع رجل إسرائيل التي داست كرامته وأنفه وهي – إلى الآن – فوق تراب أرضه العربية ، كفاكم من الهذيان أيها المخـادعــون .

من هذه الكلمات وأمثالها التي تعبر – بصراحة لا خفاء فيها – عن عقيدة الاشتراكي الشيوعي سرت في شباب المسلمين – إلا من قل – روح العداوة والبغضاء للدين الإسلامي نظرا لما يتلقونه من تلقين الشيوعيين لهم . وهنا أشير إلى حادثة رأيتها بعيني تؤيد ما قلت وهي :

4) كنت دعيت فيمن دعي من الاساتذة لتصحيح امتحان الدخول إلى مدرسة المعلمين الكائنة بـ(بوزريعة) في نهاية السنة الدراسية – 1965 – لتصحيح مادة الكتابة فكان من نصيبي أوراق بعض التلامذة الممتحنين.

---

(1) مجلة « الجيش السورى » بواسطة صحيفة « الشهاب » اللبنانية المجاهدة العدد 12 الصادر فى 15 ماى 1967 السنة الاولى .

فرأيت عجبا ، وكان الموضوع – فيما أذكر – (الاقتصاد في حياة الامة والفرد) فكان الطلبة يستدلون بأقوال وآراء قادة روسيا الشيوعية ، فهذا يقول : قال ماركس الاقتصاد كذا ، وذاك يقول : قال لينين ، وآخر يقول قال ستالين ، وهكذا مما علمت منه أن المعلمين الذين تولوا تعليم أبناء هذا الشعب المسلم لم يكونوا يحملون في نفوسهم عقيدة المسلم ، ولا يعرفون شيئا مما ذكره القرآن في الموضوع ، ولا الحديث الشريف ، فعلمت أن الامر مقصود ، وهو محو الإسلام من هذه الارض وإثبات الشيوعية مكانه ، وبثها في عقول شباب الامة ، وهذا أمر مدبر ومبيت ولم يأت عفوا من غير قصد ، وإلا فما هي قيمة أقوال هؤلاء الملاحدة ؟ وكم تساوي إذا قارناها بالقرآن ؟ كما في قول الله : «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً»(1) وهي آية عظيمة القدر في الاقتصاد لمن أراد أن يكون مسلما له في قرآنه ما يرشده إلى سبيل العيش الهني والحياة الفاضلة . وجاء في آية صفات عباد الرحمن ما هو بين واضح . قال الله تعالى : «وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً» (2) . ومثل هذا ما ورد في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مع الاختصار والدلالة الوافية بالمراد . من ذلك قوله : (مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ)(3) . والحديث على قلة كلماته جامع لمعاني الاقتصاد كلها . وفي رواية أخرى قال : (مَا عَالَ مُقْتَصِدٌ)(4) والحديثان من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام . وقد نبهت الاستاذ مدير المدرسة – في الوقت – إلى هذا الخطر الذي غزا أفكار شبابنا بواسطة المعلمين الذين لا يحملون الروح الإسلامية . وفي ذلك يكمن الخطر الكبير الذي يبعد شبابنا عن ماضيه العظيم . وفي الوقت نفسه تحشى أفكار شبابنا بعقائد الزيغ والضلال ، ويظهر هؤلاء المعلمون لتلامذتنا عجز الإسلام عن مسايرة الوقت ، وتلك هي الاغنية التي يتغنى بها الملاحدة وأشباههم ويقولون أن الإسلام ليس فيه ما يصلح لهذا الوقت . وهذه الافكار المريضة من الاسلام – نعم هي

(1) الآية 29 من سورة الاسراء .
(2) الآية 67 من سورة الفرقان .
(3) رواه الامام احمد فى مسنده عن ابن مسعود .
(4) رواه الطبرانى فى الكبير والدارقطنى فى السنن عن ابن عباس .

مريضة من الإسلام – ومبادئه هي التي دفعت بشباب المسلمين إلى التمرد عن دينهم وتاريخهم .

5) ما يلقاه إخواننا المسلمون – في بلغاريا – من حكومتها – الاشتراكية الشيوعية – ونحن نعلم أن في الوطن – البلغاري – عددا لا بأس به من المسلمين ، سواء من كان منهم من أصل تركي ، أو من أصل بلغاري أسلموا حبا في الإسلام أيام كانت – بلغاريا – تحت حكم الدولة التركية العثمانية ، فهاهي الشيوعية – صاحبة الحرية – تتدخل بين العبد وعقيدته ، لصرفه عنها إلى العقيدة الشيوعية الملحدة .

فقد قامت حكومة بلغاريا – أخيرا – وقعدت ضد مسلميها ، فهي تحارب الإسلام حتى في الاسم الشخصي ، فقد فرضت على المسلمين البلغاريين أن يُغيّرُوا أسماءهم الإسلامية وأسماء أولادهم ، ومن تمسك باسمه القديم ولم يستجب لما طلب منه فإنه لا حق له – كمواطن – في التمتع بحقوق المواطن التي ينالها غيره من بقية المواطنين البلغاريين ، كذلك إذا بقي مصرا على الاحتفاظ باسمه الإسلامي فإن المولود الذي يولد له لا يسجل في سجل الحالة المدنية ، وكذلك لا حق له في المنحة العائلية أو الضمان الاجتماعي أو عقد الزواج الخ ، وهذا نوع جديد من أنواع الحرب التي يحارب بها الإسلام ، وهي ترك الدين الإسلامي من باب أولى ، فإلغاء حتى التسمي بالاسماء الإسلامية نوع آخر من الحروب التي يلقاها الإسلام من الملاحدة أو العقاب المتعدد الانواع والاشكال ، فيا لله للمسلمين من هذه العداوة الشيوعية المتأصلة في النفوس الملحدة ، أما في البلدان الإسلامية فإن البلغاريين يعيشون فيها من غير أن يطلب منهم تبديل أسمائهم ، فانظروا إلى تسامح الإسلام وترفعه عن الامور التافهة كهذه .

هذا هو واقع حقيقة من غير مبالغة ولا تهويل ، وقد وجه المؤتمر الإسلامي العام في عمان نداء إلى العالم الإسلامي كي يتدارك إخوانه فيما يلقونه من دولة بلغاريا الشيوعية ورجا من دول المسلمين التي لها علاقة سياسية طيبة مع حكومة بلغاريا أن تتدخل في القضية لإزالة هذا الضغط والاضطهاد الإلحادي للعقيدة الإسلامية .

ولكن هل استجابت حكومات الشعوب الإسلامية لنداء المؤتمر الإسلامي

هذا... ؟ ان الذي يظهر في الافق السياسي أن حكومات الشعوب الإسلامية – الحاضرة – تفضل تمتين العلاقات – السياسية والاقتصادية – على العلاقات الدينية الروحية ، فهي مهتمة إلى أقصى حدود الاهتمام بالحرب الفيتنامية الشيوعية ، وما هو واقع في – الشيلي – المسكين المضطهد من طرف (الامبريالية) ولله في خلقه شؤون...

جاء في نداء المؤتمر الإسلامي العام ما يلي :

(إن إخوانكم المسلمين في بلغاريا يتعرضون لمحنة قاسية بسبب عقيدتهم الإسلامية ، ويضطهدون في محاولة لمحو الصبغة الإسلامية عنهم ، ومن أهم الامور التي تواجههم : "1" إجبارهم على تغيير أسمائهم الإسلامية ؛ "2" إبعادهم عن وظائف الدولة ؛ "3" محاربتهم في رزقهم وإفقارهم ما داموا مصممين على التمسك بعقيدتهم ؛ "4" محاولة إفناء الطائفة الإسلامية ، بتعريضهم لعمليات قتل جماعية .

وإزاء ذلك فإننا نهيب بكل مسؤول في الامة الإسلامية أن يبادر إلى الاسهام في دفع هذا البلاء ورفع هذا الظلم عن إخواننا مسلمي بلغاريا ، ونرجو بصورة خاصة من الدول التي تربطها علاقات ودية ودبلوماسية مع بلغاريا أن تهب لنجدة إخواننا في العقيدة ، بأن تضغط على حكومة بلغاريا لتكف عن تنفيذ خططها التعسفية الرامية إلى إفناء مسلمي بلغاريا) اه النداء(1) .

نرجع إلى ما سبق من أقوال وأعمال صدرت من أصحاب النحلة الشيوعية تطعن في الإسلام والقرآن والعقيدة ، وعندما هب علماء الإسلام – كما هو مفروض عليهم – لإنكار مثل هذه الاقوال والاعمال الفظيعة والمنكرة من لدن كل عاقل ، فأنكروا هذا التجاهر بالكفر والإلحاد ، كان جزاؤهم من حكومات شعوبهم الإسلامية السجن والشنق وما يتبعهما من إبعاد عن وظائفهم وبلدانهم وغير ذلك ، هذا واقع بدلا من أن ينال العقاب المنحرفين والمستهترين والمستهزئين ، لم يصبهم من ذلك شيء وصب العقاب على المنكرين المحقين في إنكارهم وفي أداء واجبهم .

---

(1) صحيفة الشهاب اللبنانية المجاهدة ، العدد الرابع « السنة السابعة » الصادر فى 15 – 6 – 1393 هـ الموافق – 15 – 7 – 1973 م .

لقد حورب الإسلام – في الجزائر – بشتّى الاسلحة ، فمن الاسلحة النارية القاتلة للذوات البشرية إلى الاسلحة العقائدية القاتلة للإيمان بالله والشعور الروحي ، إلى الرذائل القاتلة للكرامة والعزة النفسية ، إلى التبشير المسيحي المحارب للإسلام .

كل هذه الاصناف من الحروب ذقنا وبلاتها من المستعمر الفرنسي الذي احتل بلادنا ، وغزاها بكل ما يملك من أسلحة ومعدات ، فقد جلب معه المبشرين المسيحيين لينصروا – بتشديد الصاد لا بتخفيفها – المسلمين ، بأن يخرجوهم من دينهم الإسلام إلى النصرانية المسيحية ، ومكنهم من كل وسيلة لذلك ، غير أنهم خابوا في مسعاهم بالرغم من المجهودات المبذولة ، والاموال المصروفة ، لصرف المسلمين عن دينهم ، فلم ينالوا شيئا يذكر ، إلا في بعض الجهات الفقيرة ، والتي يكثر فيها الفقر وينتشر فيها المرض ويقل العلاج ، فإذا قيست الخسارة والاتعاب بالفائدة كانت النتيجة صفرا ، وذلك راجع إلى صلابة عقيدة المسلم الجزائري ، ولولا هذه الصلابة في العقيدة لما بقي في الجزائر إسلام ولا عروبة ، ولو ما نزل بالجزائر نزل بغيرها لامحى منها كل أثر للعقيدة الإسلامية – وهذا من فضل الله علينا – فالمسلم الجزائري عرف أن المبشر المسيحي الفرنسي ما هو إلا جندي من جنود الاستعمار الفرنسي ، فأخذ حذره منه واتقاه .

ولما استيقظ الشعب الجزائري من نومه حارب عدوه المحتل لبلاده ، المغتصب لارضه ، فأخرجه من وطنه بعد احتلال استمر قرنا وأكثر من ربع قرن ، قال : الآن استرحت ، أو (الآن يمد رجله أبو حنيفة) كما جاء في المثل ، الآن أستريح في وطني من الاحتلال الاجنبي ، بعد أتعاب وأتعاب ، وسأحيى بتراثي الروحي وديني الاسلام الذي اختاره لي خالقي ، فما راعه إلا والإلحاد الشيوعي يتسرب اليه – كالمرض – ويتغلغل في أوساطه وخاصة في الشباب وبعض الطلبة الاغرار – بدعايته المناهضة للدين – والعقيدة الإسلامية ، وكان تسربه ذلك – بتساهل بعض المسؤولين – إحدى المشاكل التي لا زال يعاني منها الشعب الجزائري أنواعا من الاتعاب ، فالمحتم على قادة الامة المخلصين الناصحين أن يتنبهوا إلى هذا الخطر الجديد ، أو الاستعمار

الفكري الجديد الذي أخذ دعاته يمهدون له ، وينشرون محاسنه – في نظرهم – بين أبناء الامة ، والعجيب أن الشيوعية تعمل – جاهدة – على نشر مبادئها المخربة في أوطان المسلمين ، في حين أنها لا تسمح هي بنشر مبادئ الإسلام في وطنها بل تحاربه وتمنعه ، وهذا هو مبدؤها ، كالإضراب عن العمل ، فإنها تحرض عليه بواسطة عملائها ، في غير بلدها وفي غير وطنها ، أما في وطنها فإنه يعد جريمة يعاقب عليه القانون ، وبذلك تحدث الاضطرابات والمشاكل في العالم وتكون هي في منجاة منها ، ويسأل السائل فيقول : ترى ، هل للعمال في وطنها مشاكل عمل أولا... ؟؟؟ وهل ان كانت هناك مشاكل عمل وخلافات تسوى بسهولة فلا حاجة إلى الاضرابات ؟؟ يقول العارفون بما هنالك : إن الحكم هنالك حكم قوة فلا يسمح – أبدا – بتعطيل العمل لحظة واحدة ، بدعوى أن العامل هو صاحب المصنع ، إلى آخره ، وهو قول أجوف ، لا قيمة له ، فإن العمال هناك أشبه شيء بالعبيد القدامى المسخرين ، لا يحق لهم الكلام ولا الاحتجاج ، فهم مسخرون كما يسخر العبيد ، من لدن حكومة "ديكتاتورية" .

الفصل الرابع : الاستهتار بالقيم الروحية – وشهد شاهد من أهلها

إن الاستهتار بالقيم الروحية ، وبالدين والاخلاق الإسلامية الصادر من جماعة من الشبان المسلمين كان لاسلافهم الفضل في مواقفهم المشرفة التي نشروا بها النور الإسلامي ، فأزاح عن العالم ظلمات : الجهالة والشرك ، والفجور ، قد فشا وكثر ، ويؤسفنا من هذا الخلف أن ينحرف عن طريق أسلافه ، نتيجة للدعاية الإلحادية التي وجدت آذانا صاغية – في بعض الشبان – وقلوبا من الإيمان خالية ، فتمكنت منها كما تتمكن الجراثيم الوبائية من الجسوم الضعيفة التي لا مناعة لها تحفظها من تأثير تلكم الجراثيم فيها .

إن قول البعثي – الشيوعي – السابق مستمد من البيان الشيوعي الذي حدد فيه "ماركس" اليهودي الالماني مبادئ وأهداف الشيوعية الماركسية ، والذي جاء فيه قوله : (ما الدين ، والاخلاق ، والقانون في نظر – البروليتاريا – (1) إلا آراء بورجوازية ، ورسالة – البروليتاريا – هي

(1) البروليتاريا هي طبقة العمال .

القضاء على الدين والداعين اليه)(1) وقوله : (إن القانون ، والاخلاق ، والدين ، ليست كلها في نظر البروليتاريا إلا أوهاما بورجوازية)(2) وقوله : (إن الماركسية تؤمن بأهدافها ، وكل وسيلة تؤدي إلى هذه الغاية فهي خير)(3) وكان يقول : (لا إله والحياة مادة) وقال ماركس أيضا : (إن النظام الخلقي في كل مجتمع ، وديانته وقوانينه ، ليست غير جزء من بناء زائف ، أقامته ظروف الإنتاج ، فهي تترجم بالتالي عن مصالح الطبقة السائدة)(4) .

هذه الفقر جاءت في البيان الشيوعي الماركسي ، الذي هو بمنزلة الدستور للشيوعية ، والمتأمل فيها يرى الجهل والغباوة وسوء النية وإرادة الشر للإنسان تفوح روائحها الكريهة من بينها ، فالماركسيون أرادوا أن يتولوا أو أن يستولوا على الحكم وسلطة البلاد وليست لهم مؤهلات ذلك ، فابتدعوا هذه الخدعة ليستولوا بها على عقول العمال البسطاء ليكونوا لهم قوة يقاومون بها قوة جيوش الدولة ، وبذلك نالوا مرغوبهم وتولوا الحكم في البلاد لا أكثر ولا أقل ، ولما استولوا على الحكم فعلوا في الشعوب أكثر مما فعله الملوك المستبدون الإقطاعيون ومن أنكر هذا فقد أظهر قلة تفكيره وإدراكه للحقائق الواضحة ، وما لمسناه في البلدان الاشتراكية حجة على ما قلناه وقد شهدت الشيوعية على نفسها بأنها تتخذ كل وسيلة توصلها إلى أهدافها . بل وتراها خيرا... فليتنبه الغافلون وليستيقظ النائمون لهذه المكائد التي تكيدها الشيوعية اليهودية للانسانية (لا إله والحياة مادة) فمن خلقك وركب فيك العقل الذي توصلت به إلى أن قلت هذا القول أيها المغرور الغرار ؟ إن كل شيء في الوجود ينادي بأنه مخلوق للخالق الواحد العظيم القهار ، ولا أظن أي كائن من الكائنات ينكر وجود الخالق غير الشيوعي البليد .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

اليس ما جاء في هذا البيان الشيوعي الذي أذاعه ماركس اليهودي عن أهداف الشيوعية هو الذي أثر في بعض الافكار العربية – بواسطة عملاء وصنائع الشيوعية الملحدة – فبدأت تتبرأ من دينها ، وماضيها ، وأخلاقها

---

(1) ص 81 من كتاب « التضليل الاشتراكى » للدكتور صلاح الدين المنجد ، وكذلك الارقام ، 2 ، 3 ، 4 ، من صفحات 131 – 132 منه .

وقيمها ؟ ومن ذلك البيان استمد ذلكم الاشتراكي البعثي العربي – والاليق أن نقول : الشيوعي – ما هذى به ، فإن تسمية بعض الاحزاب السياسية بأسماء تتفق في أهدافها مع الشيوعية دلت على أن تلك التسمية ما هي إلا للتمويه والتغطية حتى لا تفطن شعوبهم لما يراد بها ، فلا تستفيق إلا وهي شيوعية – لحما ودما وتفكيرا – وشبيه بقول الاشتراكي البعثي ما جاء في كتاب (في الاشتراكية العربية) لصاحبيه الدكتور مخيمر ، ورفيقه رزق ، فقد جاء فيه قولهما : (وبديهي ألاّ تجد القيم الخالدة في العقائد الدينية مكّانا ضمن هذا الجهاز الفكري عن الاخلاق ، وبديهي أن تغير القيم... وان يعدم التقيد بأية قيم تقليدية ، ما دامت المعركة تقضي بذلك)(1) فقولهما هذا هو قول البعثي الاشتراكي الملحد ، وهما – القولان – من نفس البيان الشيوعي ، وكلها أقوال غير المسلمين ، والعجب العجاب من تأثير هراء هذه الأفكار الملحدة في عقول بعض قادة المسلمين ، والمسلم المفكر لا يلتفت اليها فضلا عن الاهتمام بها أو العمل بمحتواها .

إن السكوت عن انتشار هذه الاوهام – التي يسمونها أفكارا – يعد رضى بها ، وهي تنتشر بمساعدة دولة الملاحدة ، بل السكوت عنها يعد جريمة من أكبر الجرائم في هذا الوقت يتحمل وزرها العلماء الامناء على الدين والعقيدة ، فليتكلموا ولينكروا ذلك بصراحة ، وليكن ما يكون ، «**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**»(2) وهنا يظهر جهاد العلماء وزحفهم على العدو المهاجم على الدين والعقيدة ، أو توليهم الادبار ونكوصهم على أعقابهم خاسرين ، ولا يخفى عليهم قول الرسول عليه الصلاة والسلام : (**أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ – وفي رواية عَدْلٍ – عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**)(3) ولهم أسوة بصالح العلماء المجاهدين الذين وقفوا في وجوه ملوك زمانهم وأمرائهم الذين دفعت بهم نزوات السلطة والحكم إلى أن يعملوا غير مقيدين بالدين والخلق الكريم ، فقام العلماء الصادقون ينافحون ويدافعون عن الدين بل ويهاجمون

(1) المصدر السابق .
(2) الآية 113 من سورة هود .
(3) رواه ابن ماجه وغيره .

أوكار المفسدين ، حتى كان لدفاعهم عن الدين الاثر البالغ في إصلاح الاوضاع المتعفنة من أجل حب الرئاسة الخطير ، ومثل العلماء في تحمل المسؤولية ، المسؤولون في حكومات الشعوب الإسلامية ، إن لم يكونوا هم الذين جلبوا — الشرور والمفاسد — أو تساهلوا في دخولها أو في إدخالها ، فانتشرت بسكوتهم عنها .

فلا غرابة في حوادث هذه الحياة وأحداثها ، فقديما كانت محنة العلماء الصادقين شديدة وقاسية عليهم — لوقوفهم في وجوه طغاة زمانهم — ذلك لانهم لم يلينوا لهم ولم يتساهلوا في القيام بواجبهم ، فكانت المحن تنزل عليهم من كل جانب وهم صابرون ، كما أخبر بذلك أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم : **(أَشَدُّ ٱلنَّاسِ بَلاَءً ٱلأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ ٱلأَمْثَلُ فَٱلأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى ٱلرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْباً ٱشْتَدَّ بَلاَؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ٱبْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ)** (1) وقد ظهر ذلك في كبار الائمة — رحمهم الله — خاصة ، فقد امتحن إمام دار الهجرة مالك بن أنس والائمة أبو حنيفة ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، والبخاري ، وابن تيمية ، وسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام ، وغيرهم كثير رضي الله عنهم ، لقيامهم في وجوه حكام زمانهم الطغاة ، فلم يستكينوا لهم ، ولم يوافقوهم على أعمالهم المخالفة للدين ، وأنكروا عليهم ما يفعلون في جرأة وصراحة ، كما يوجب ذلك عليهم دينهم ، مما هو داخل في باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي هو واجب على من تعيّن عليه ، وبدون هذا لا يستقيم حال الامة — حاكمها ومحكومها — غير أن حكام المسلمين — اليوم — لا تتسع صدورهم وعقولهم لتلقي النصائح الدينية المفيدة والتوجيه النزيه ، والنقد المفيد — أو البنّاء — ولا يرضون بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويحسبون أنفسهم أنهم فوق كل أحد ، فما رأوه واختاروه فهو الحق الذي يجب أن يجد الآذان صاغية ، والقلوب واعية ، وما سواه فهو الباطل المتروك ، ولا يُراجَعُون في شيء ارتضوه ، وهذا خطأ من بعض الحكام ، متمكن في نفوسهم ، واستعلاء وتجبر على عباد الله ، كما هو مخالف للتربية الإسلامية ، فذلكم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب — وكفى به مثالا — رضي الله عنه كان يقبل النقد والتوجيه ، ويعترف بخطئه أحيانا وإصابة غيره ،

---

(1) رواه الائمة : البخارى ، واحمد ، والنسائى ، وابن ماجه .

كما جاء في قصة عزمه على التحديد أو التقليل من مهور النساء ، فبعد أن خطب في الناس وأمر بذلك — وهو أمير المؤمنين — بالتقليل تراجع عن أمره ، ذلك أن امرأة واحدة عارضته فيما ذهب اليه ، وقالت له : ليس لك ذلك يا عمر ، قال لها : ولم ؟ فتلت عليه الآية القرآنية وهي قوله تعالى : «وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً الآيَة»(1) فقبل قولها ورجع إلى رأيها ، وقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، ولم تأخذه العزة بالإثم ، ولم يتمسك برأيه ، وان كان ما رآه حقا وصوابا ، فهذه هي نتيجة تربية الإسلام لحكام المسلمين ، ومما حفظ عنه قوله : (رحم الله عبدا أهدى إلي عيوبي)(2) .

ويجرني الكلام عن أعمال الملاحدة المخربين في البلاد الإسلامية إلى ما هو واقع من الاعمال فيها تلكم الاعمال المنافية حتى للمجاملة وحسن الاستقبال أو الجوار ، فهم — ما وجدوا إلى ذلك سبيلا — جادون في إفساد عقيدة المسلمين في مقدساتهم ، ويتخذون لذلك كل وسيلة — لإهانة الإسلام — يتوصلون بها إلى نيل أغراضهم — كما مر في البيان الشيوعي — أقول يجرني الكلام إلى ذكر أحداث مؤلمة تمس أعز ما يقدسه المسلمون ، وهو القرآن العظيم كتاب الله المقدس ، حدثت هذه الاحداث في الجزائر — المسلمة — ووقعت هذه الاحداث فيما بين شتاء 1967 وشتاء 1973م مما سأقصه — إن شاء الله — وهذه الاحداث يجب أن تذاع ولا تكتم ، لعلها تنبه الغافلين لما يجري في البلاد الإسلامية ، ليهبوا لإبادة هذه الحشرات الطفيلية التي خرجت من القمامات المتعفنة عندما نزلت أمطار الحرية والاستقلال ، بعد أن سقيت أرضها — الجزائر — بدماء المسلمين ، لا بدماء الملاحدة ، فإن هذه الاعمال دلت على أن عمل الملاحدة متواصل ، لاحتقار الإسلام وتوهين دعوته وتهوين شأنه في قلوب المسلمين ، وخاصة في أوساط الشباب الفاقد — للأسف — لحسن القيادة والتوجيه والرعاية ، وفيها مس لشعور المسلمين في عقيدتهم التي حافظوا عليها أيام عهد الاستعمار المظلم ، ولم يستطع أن يحولهم عنها ، رغم وعوده واغوائه ، وهذه الحادثة لم يقع مثلها فيما سمعنا حتى في زمن الاستعمار الذي كان يحكم هذه الديار ، وكان يحترم — إلى

(2) الآية 20 من سورة النساء .
(1) مقدمة سنن الدارمي .

حد ما – شعور المسلمين وعقائدهم لفائدته ، كما كان واقفا بالمرصاد في وجه الشيوعية الخاسرة ، ولا يسمح لها ببث دعايتها إلا بمقدار .

الفصل الخامس : تمزيق المصحف ، وإحراقه

هذه صورة حادثة من حوادث ثلاث وقعت ، وسأذكرها كما بلغتني وذكرها من وقعت أمامه ، وصورتها :

1) كان أحد الرجال الكبار الطاعنين في السن جالسا في أحد مقاعد الحديقة العامة – حديقة الحرية – الكائنة في أعلى شا ع "مراد ديدوش" في عاصمة الجزائر ، وكان ذلك في شهر دسمبر من سنة 1967 م ؛ فبينما كان ذلك الاشيب جالسا تقدم اليه شبان ثلاثة ، من هؤلاء الشبان الذين ضللتهم الدعاية الشيوعية الإلحادية المخربة للعقائد والفضائل ، والتي يدعونها بالافكار التحررية – كما يزعمون – تحرروا من الذوق السليم ، والمجاملة واحترام الشعور وكرامة الفرد والمجتمع ، ولما اقتربوا من الشيخ المسن أخرج أحدهم مصحفا من جيبه وقال للشيخ : ما هذا ؟ فأجابه الرجل : قرآن ، فقال له الشاب : هذا هو الذي أخركم وجعلكم في آخر الامم !!! ثم مزقه – مزق الله لحمه – حسب الرواية وألقاه على الارض متبوعا بالبزاق والدوس بالاقدام والاهانة شأن الاشياء الحقيرة ، ثم مضوا في حالهم آمنين ، وحارس الحديقة قريب منهم ، ففزع اليه الاشيب وأبلغه الحادثة كما وقعت من هؤلاء الطائشين ، مستنجدا به علّه يقبضهم فيعاقبوا على ما ارتكبوه ، فلم تتحرك من الحارس شعرة واحدة تدل على إيمانه وغيرته على المصحف المهان ، بل هز كتفيه وقال للشيخ مثل قول الشبان الطائشين الاغرار .

هذه الحادثة التي ذكرتها كما وقعت وحسبما بلغتني هي نتيجة غض النظر عن دعاية الملاحدة في بلادنا ، والتضييق على المدافعين عن الاسلام وعقيدته ، وقد رأيت المصحف الممزق بعيني في منديل من حرير .

وعندما يرفع الامر الى المسؤولين على المحافظة عن الامن وغيره يكون الجواب : لا تجزعوا من هذه الاعمال ، فانها صدرت من شبان طائشين !!! يقولون هذا – ظاهرا – ولعلهم راضون به باطنا ، حتى يستمر الاستهزاء بالدين ومقدسات المسلمين .

ولما نقل خبر المصحف الممزق، والمصحف نفسه الى المسؤول – قانونا –

وهووزير الاوقاف آن ذاك ــ العربي سعدوني ــ عن حماية الدين ورعايته، لم يفعل شيئا ذابال ــ بل لم يعمل شيئا أصلا ــ إنما أنكر ذلك العمل الطائش بالقول فقط

ما ذا عمل ؟؟ ــ والحادثة ليست بالامر الهين ــ قام وقعد، وأبرق وأرعد، وأزبد وهدد ــ حسبما بلغنا عنه ــ وقلنا سينتصر للمصحف المهان بعد ما توعد المجرمين بأشد العقاب ... ثم هدأ غضبه وجلس ــ مرتاحا ــ على كرسيه الوثير ولسان حاله يردد المثل الشعبي ــ يا ناس ما عليكم باس ــ ولعله أمر بالسكوت ؟؟؟ ثم سلط غضبه على بعض أئمة المساجد .

2) الحادثة الثانية من نوع الاولى وتتلخص فيما يلي : دخل ــ في نفس السنة 1967 ــ بعض الشبان المفتونون بالافكار التحررية ــ كما يقولون ــ الى الجامع الاعظم بعاصمة الجزائر ، وقصد خزانة المصاحف القرآنية ، وتناول واحدا منها وفتحه ورسم على إحدى صفحاته الصليب المعقوف ــ رمز هتلر النازى ــ يشير بهذا الصنيع الى ان القرآن فشيستي ــ حسب الدعاية الشيوعية ــ وكما هي أقوالهم فيه ، فعل هذا وانصرف من غير أن يراه أو يفطن اليه أحد ، لان المسلمين يترددون دائما على خزانة المصاحف للتلاوة ، فمن رآه لم يظن فيه غير ما ذكر ، وان تعجب من هذا الصنيع فالعجيب ان الصليب وضع ــ مصادفة ــ فوق آية تحث على طاعة الله الحي القيوم والخضوع للقوى العزيز الجبار ، وتخبر بخيبة الظالمين ، وما درى هذا الجهول معنى الاية التي رسم عليها الصليب المعقوف ، انها آية تشير الى إجرامه في عمله ، والآية هي قوله تعالى جل جلاله «وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا»(1) وقد رأيت ــ ايضا ــ هذا المصحف المرسوم عليه الصليب النازى .

ان المسؤول في الهيئة التي تتزعم ــ وتحتكر لنفسها ــ الدفاع عن الاسلام والدعاية له في المحافل الدولية لما بلغه هذا النبأ المزعج كان في شغل شاغل عن تتبع المجرمين ــ ان كانوا في نظر القانون المدني مجرمين ــ الذين اعتدوا على أعظم ما يعظمه المسلمون ، وله ألف حق في تتبعهم ــ قانونيا ــ لو اراد ذلك .

3) الحادثة الثالثة ــ حادثة إحراق المصحف ــ وقعت في مساء الاحد اول افريل سنة 1973 م في مسجد جامعة الجزائر ، حيث عمدت شرذمة ممن لقنوا المبادئ الهدامة ودخلت الى مسجد الجامعة ، في يوم عطلة الاسبوع ، وبعد

(1) الآيــة 111 مــن سورة طــه .

ان خرج الطلبة الى شؤونهم الخاصة ، دخلت هذه الشرذمة الى الجامع ، وجمعت عددا من المصاحف القرآنية وأشعلت فيها النار ، ولما رآى بعض الطلبة الدخان خارجا من نوافذ بيت الصلاة أسرعوا اليها ، فوجدوا البعض منها قد احترق والبعض الآخر لا زالت منه بقية ، فأطفأوا النار وأنقذوا البقية الباقية من الحريق

هذه هي الحادثة ذكرتها كما وقعت حسب رواية الطلبة ، وهي ترمز الى امور ثلاثة هامة في النظر المصيب .

1) اولها : ما شعر به الملاحدة من خيبة في مسعاهم الحقير ، لهذا صبّوا جام غضبهم على المصحف الشريف ، وهذا هو عمل الجبناء ، يشعرون بالقوة في الظلام ، وفي غيبة الابطال – الشباب الاسلامي – وهؤلاء المجرمون لم يرتكبوا جريمتهم المنكرة لو لم يكونوا مدفوعين اليها بايد خفية ، وبدافع قوى خارج عن نطاقهم الضيق الافق ، ومن غير شك أن يكون المحرض لهم على مافعلوا خارجا عن وسط الطلاب الجامعي ، وقد اذيعت الحادثة وانتشرت بواسطة الطلبة الابطال – رغم الاوامر التي صدرت بكتمانها وإسدال الستار عنها كأنها أمر تافه لا يستحق الاهتمام والذيوع – انتشرت في جميع الاحياء والمدن والقرى الجزائرية ، وتناولها الخطباء في خطبة الجمعة ، ولم نسمع عن المسؤول الكبير عن الجامعة أنه فعل شيئا – وقد بلغه خبر الحادثة – كما لم نسمع انه قام ولو ببحث بسيط عرف به نوع ومصدر هذه الحادثة المفجعة والمفزعة ، او الاهانة التي ألحقت بالمصحف في بيت الصلاة ، وفي حرم الجامعة -كما يقولون – بل كأنه لم يقع أى شيء يستحق الاهتمام به ، ولم يظهر الجاني – فضلا عن عقابه – حتى يعرف المحرك له من هو ....؟؟؟؟

2) الامر الثاني ، او المغزى الثاني مما يستنتج من هذه الحادثة هو حنق الملاحدة وغضبهم عن الشباب الجزائرى المسلم – عقيدة وعملا – فقد اغتاظ الملاحدة الى حد كبير من ان يروا جماعة مهمة من طلبة الجامعة يؤمون المسجد للصلاة او لتلاوة القرآن – وهذا أمر لا يعجب ابليس وأعوانه – فقد تعود هؤلاء الطلبة الابرار على ترددهم على الجامع ، وخاصة يوم الجمعة ، حيث يؤمهم إما أحد الاساتذة – متطوعا بالصلاة – في صلاةالجمعة ، أو أحد نجباء الطلبة القادرين على الخطبة والصلاة ، هذا هو الذى أدخل الحقد الى قلوب الملاحدة فعملوا ما عملوا ، لان المعروف ان الطلبة او الشباب الجامعي يتلقون تعليمهم عن معلمين – عفوا – بل دكاترة،يرون أن الدين رجعي وعلامة على

التأخر ،و – فكرة – كما يقول خصوم الاسلام ،وقد سمعت مرة احد الدكاترة – الجدد – خصص لتوجيه الشباب بواسطة الاذاعة والتلفزة ، وقد سأله المذيع في الندوة عن العصبية عند العرب ، فكان جوابه : إن العرب كانوا يتعصبون للقبيلة ، ولما جاءهم الاسلام – والاسلام فكرة !!! – تعصبوا له ... هذا قول الدكتور عبد الماركسية ، وهذا نفس القول الذى يقوله خصوم الاسلام من مبشرين وغيرهم في محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم – إن الاسلام فكرة فكر فيها محمد ثم قدمها للعرب – وهذا الدكتور الذى يقول في الاسلام إنه فكرة كأنه قرأ في مدارس المبشرين ومن معينهم أخذ معلوماته ، الم يعلم او يتعلم هذا الدكتور أن الاسلام شريعة سماوية نزلت من السماء على رسول من رسل الله وهو محمد عليه الصلاة والسلام ؟اذا كان هذا هو قول استاذ الجامعة فما هو قول التلميذ الذى كثيرا ما يتأثر برأى أستاذه؟ وهو نسخة منه اذن فكيف يتخيل مثقف جامعي ان يرى الطلبة الجزائريين يصلون ويقرأون القرآن ويصومون رمضان ، هذا – في نظرهم – شيء لا يكون ، ونسوا التربية الاسلامية المنزلة ، وأن هؤلاء الطلبة آباؤهم مسلمون وأمهاتهم مسلمات ، والشباب الجزائرى – مسلم بطبعه وفطرته – لولم يصب بطاعون الملاحدة ، فلا غرابة اذا قام بشعائره الدينية ، بل رأينا هذا الشباب – الجامعي – المسلم ، قد تحدى الملاحدة ، وأقام بعد أيام قليلة من إحراق المصاحف ، وبمناسبة ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم – اقام اسبوعا او ملتقى اسماه – أسبوع القرآن – ردا على عمل الملاحدة ، وقد انقضى اسبوع القرآن هذا في الدروس الدينية والمحاضرات التوجيهية ، مما زاد في قيمة القرآن ، وفي حب الدين الاسلامي عند شبابنا المسلم الواعي .

3) ثالث الامور هو ارخاء العنان للعابثين بالقيم الاسلامية ،يفعلون مايشاؤون من غير ان ينالهم أدنى عقاب على ما فعلوا ، ولو عوقب السابقون لكف اللاحقون ، ولماذا أوجد قانون العقوبات اذن وعمن يطبق ...؟؟

رأينا في دساتير الحكومات والدول العصرية مادة من مواد الدستور تنص على احترام شخص رئيس الدولة أو الحكومة سواء كان ملكا أو رئيسا ، لانه الرمز لسيادة البلاد ، واحترامه واجب على كل المواطنين ، وقانون البلاد يعاقب كل من مد لسانه أو قلمه أو يده واعتدى على كرامته أو شخصه أو منصبه ، فقد احيط رئيس الدولة بسياج محكم من التقديس والاحترام – لتبقى هيبته

في نفوس الرعية - وهو العبد المخلوق ، اما الخالق الواحد الذى تجب طاعته واحترامه على كل العباد ، ودينه ، وقرآنه المحكم فلا حرج ولاعقاب على من تطاول الى مقامه العالي في نظر ضعاف الايمان والعقول العصفورية ، وهذا هو الضلال البشرى .

إن شعور المسؤول - الموظف - بالتبعات والمسؤوليات يجعله لا يفرط في أدنى جزء من الواجب الملقى عليه ، فعليه أن يعمل حسب منصبه ومركزه ، فإذا لم يلق التأييد من السلطة العليا على إحقاق الحق وإبطال الباطل، فواجب كرامة النفس يحتم عليه الانسحاب من كرسي لا تسمع كلمة الجالس عليه ، فإنه أفضل وأليق بالكرامة الشخصية من البقاء على كرسي حقير لا قيمة للجالس عليه .

فلنفكر معاشر المؤمنين في هذا الاعتداء على كرامة وقدسية القرآن وعلى شعور المسلمين ، والشعور الذي استعملته كثيرا هنا المراد به الشعور بمعنى الإحساس ، لا الشعور - الجمع - المتدلية على أكتاف فتياننا البواسل المتشبهين بالفتيات ، فإنه لا يليق بنا - كمسلمين - أن نمر بهذه الحوادث مر الكرام أو مر اللئام ، فإن لها ما بعدها من الآثار السيئة ، كما كان يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحادثة تقع : (هذا يوم له ما بعده) كذلك نقولها نحن هنا .

لو فرضنا - جدلا - أن هذه الإهانة التي لحقت كتابنا المقدس كتاب الله - القرآن - المعظم عند المسلمين أصابت كتاب العهد القديم - التوراة - أو أصابت كتاب العهد الجديد - الإنجيل - المعظمين عند اليهود والنصارى ، لو حدث ذلك لعمل أهلهما ما يوجبه عليهم احترامهم لكتابيهم ، ولهب رجال الدين منهم يطالبون بإنزال أشد العقوبات وأقساها على المعتدين الآثمين ، إذ من المعروف لدى الجميع أن المسيحي يشتري كتابه (الانجيل) ويحله في المكان اللائق به من الاحترام والتقدير ، ومثله اليهودي مع كتابه (التوراة) يحب كتابه ويعتز به ، فهل المسلمون أقل احتراما لكتابهم - السالم من التحريف - من الطائفتين المذكورتين ؟؟؟ ما سمعنا أن ملحدا مستخفا بدينه - سواء أكان من اليهود أو النصارى أو من المجوس - مزق أو أحرق كتاب قومه وأهانه أمام الناس ، ولوكان هو لا يؤمن به ، كما أهين قرآننا ومصحفنا !!!

فالمسألة خطيرة جدا ، وإن حاول البعض تهوينها أو إظهار تفاهتها وجعلها حادثة بسيطة وقعت من شبّان طائشين ، فقائل هذا القول يعتبر شريكا ونصيرا للمجرمين ومؤيدا لهم على ما ارتكبوه ، كما يعد تشجيعا لغيرهم وإغراء للسفهاء بأنه لا خوف عليهم من العقاب ، فليمضوا في سبيل ما يريدون ، ما داموا لم ينالوا من رمز سلطة وسيادة البلاد شيئا .

فالواجب يقضي بتتبع المجرمين حتّى يعرف المحركون لهم والدافعون بهم إلى ارتكاب مثل هذا العمل الجنوني ، وليعلموا أن المسلمين منهم بالمرصاد ، لا تخفى عليهم أعمالهم التخريبية ، ولو فرضنا أن هذه الإهانة أصابت موظفا يعتز بنفسه وشرف مركزه ، فمزق أحد السفهاء ثوبه – لا لحمه – أو كسوته لسارع إلى الانتقام لنفسه وشرفه المهان – وله الحق في ذلك – ممن لم يعرف له قدره وفضله وشرفه ومركزه ، وإذا عجز عن الانتقام لنفسه استعان بسلطة الدولة .

وهكذا تنتهك حرمة الدين جهارا نهارا من غير أن ينال المنتهكين العقابُ الرادعُ الزاجر لهم ولامثالهم من المستخفين بالمقدسات الدينية والطائشين ، ولعل هذا السكوت نتيجة لاوامر صدرت بإخفاء القضية وإسدال الستار عنها ، لعل !!!

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : (لاَ تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ ، وَلَكِنْ ابْكُوا عَلَيْهِ إِذَا وَلِيَهُ غيرُ أَهْلِهِ) (1) وقوله : (إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) (2)

والسبب الحقيقي الباعث لهؤلاء الطائشين على فعل ما فعلوه هو ذلك التوجيه اللاَّإِسْلاَمِي الإلحادي الذي يتلقاه التلامذة والطلبة من معلمين جيء بهم من الخارج – لحاجة الجزائر اليهم – يحملون العداوة للدين الإسلامي بالخصوص ، مع غض النظر عن أعمال المفسدين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، وقد اغضب هؤلاء ما رأوه من إقبال الشباب الجامعي على الدين ، فجن جنونهم .

---

(1) رواه الامام احمد والحاكم كلاهما عن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه ، ذكره ابو ايوب لمروان بن الحكم عامل المدينة فى قصة .
(2) اخرجه الامام البخارى فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه .

الباب التاسع

الفصل الأول :

الاشتراكية الشيوعية ، والديموقراطية والحرية

تدعي النحلة الاشتراكية أنها ديموقراطية ، في تكوينها ، وفي مبادئها ، وفي تسييرها ، وفي حياتها إلى آخر ما تملأ به فراغ صحفها وإذاعاتها ، غير أن الواقع الذي يشاهده الناس لا يوافقها على هذه الدعوى ، لان العمل الذي يصدر عن زعمائها وحكامها غير موافق للدعوى ، فالواقع يظهرها بمظهر المتصرف الجبار المطلق التصرف في تصرفه الديكتاتوري ، الذي لا يرحم ، فهي تتخذ جميع الوسائل والطرق لفرض مبادئها في أوساط العمال والفلاحين والطلبة الذين لا تفكير لهم ، يتحصنون به من الانخداع لاقوال المغرريـــن المغروريـــن .

فالاشتراكية الشيوعية توجه النقد الساخر إلى الاديان الإلهية لان مبدأها الاول — لا دين ولا رب الدين — لا إله والحياة مادة — وتحاول أن تجعل تأخر البشرية وفقرها وظلم حكامها يرجع أولا وقبل كل اعتبار إلى التمسك بالدين والعمل بالشرائع السماوية .

والذي يفكر قليلا في هذه الدعوى يهتدي بفطرته السليمة ، وبقليل من التدبر إلى بطلان هذه الفرية المتعمدة ، فنحن — كمسلمين — نعلم من ديننا ومبادئه وأهدافه ما لا نغتر ولا ننخدع بحيل الماركسية الملحدة ، وإذا وجد في المسلمين من اعتنق النحلة الشيوعية الاشتراكية فهو واحد من اثنين : إما جاهل بدينه — وإن ادعى أنه يعلمه — وهذا هو الاعم والاغلب فيهم ، لم يتمكن الدين من قلبه ، فإسلامه ورثه عن آبائه بدون فهم — كما هو في الكثير من المسلمين — ولا وعي ، وأما مذبذب لا مبدأ له ، ولا عقيدة فيه تحفظه ، فهو يمشي إلى أين يجد منفعته وفائدته الخاصة به ، ولو كان

ذلك بالتنكر إلى ما كان عليه أسلافه ، فهو قد اعتنق المذهب الاشتراكي الشيوعي ويدعو اليه لا حبا فيه ، ولا إيمانا به ، وإنما لقضاء مآربه ، فيتظاهر به ، وينادي اليه على حد قول المثل : (إذا وَجدتَ قوْماً يعبُدونَ حماراً فعليكَ بتقديم الْحشيش) فالذي يقدم الحشيش للحمار المعبود غير مؤمن بألُوهيته ، إنما فعل ذلك ليزداد تقربا إلى عابدي الحمار حتّى يرضوا عنه .

فالاشتراكية – وكلها شيوعية – ولا أستثني منها بلداً دون بلد للواقع المكشوف – تُوَجّهُ نقدها واعتراضها إلى الاديان السماوية ، محاولة بذلك أن تظهرها بمظهر العاجزة عن حل مشاكل العباد – والحياة كلها مشاكل – القصيرة النظر عما يحدث للبشر من مشاكل وأتعاب ، والحقيقة التّي لا تخفى على أحد هي أن مشاكل العباد إنما نشأت عن إهمال العباد لوصايا الاديان السماوية ، وعدم العمل بما جاءت به قوانينها ، لا من الاديان نفسها ، فهذه هي الحقيقة ، وإن حاول طمسها المغرضون ، ان الشيوعية تدعي لنفسها – والواقع لا يصدقها – أن فيها كل أنواع العلاج لجميع مشاكل البشرية ، ولهذا فهي تستطيع أن تقضي على ما أخر البشرية – في زعمها – أزمانا ودهورا... فهي قد تحل بعض المشاكل – حسبما تدعي – ولكن بقوة الحديد والنار والقهر والقوة .

إن الواقع كشف عن إفلاسها في كل ميادين الحياة ، وإن لم تعترف هي بذلك ، ولولا فرضها نفسها بالقوة والخداع على بعض الشعوب الضعيفة لما بقّي لها ذكر ، وقد ظهر عجزها أخيرا في تقربها لامريكا الرأسمالية .

وبناء على جرأتها في نقدها واعتراضها على الاديان ، واستهزائها بها – كما مرت الإشارة اليه سابقا – فهل في صدر الاشتراكية سعة لتلقّي النقد الصحيح والصريح من لدن من لا يؤمن بها – لانها خرافة – ؟ وهل تتقبّل ذلك بصدر رحب.. ؟ وقد يجيء النقد والاعتراض حتّى من الذين يؤمنون بها... وهل تفتح أذنيها لتسمع أقوال غير الشيوعيين ، مظهرين عجزها في تشريعها وفي حلها للمشاكل ، بل هي صاحبة المشاكل ؟ لعلها تقبل ذلك إذا تجردت من جبروتها وغطرستها – وهذا ما لا يكون منها – فيوجه اليها النقد كما توجه هي اعتراضها ونقدها للأديان الإلهية ، وإظهارها بمظهر العاجز ، بل ونعتها بكل أنواع النعوت الحقيرة والمنفرة منها... ؟

هذا غير موجود ولا مسمُوح به في بلد الاشتراكية والديموقراطية كما تدعي ، فإن الاخبار تتوارد بين الحين والآخر بتسليط أشد أنواع العقاب على من ينتقد نظامها ، وما جزاؤه إلا السجن والتعذيب .

واليك أحد الامثلة على ذلك ، وهي كثيرة :

وقع في سنة (1966) أن وجه كاتبان روسيان(1) نقدا إلى النظام الشيوعي وأظهرا ما فيه من عيوب ونقائص ، فهل اتسعت صدور حكام روسيا – الاشتراكيين الديموقراطيين – لقبول هذا النقد ؟ وهو منهم واليهم ، وهل أحلوه محله اللائق به ؟ وناقشوا آراء الكَاتِبَيْنِ فلعلهما مصيبان فيما قالا ؟ وهل يحترمون أفكار الناس وآراءهم ؟ لم يستطيعوا حتى سماعه – فضلا عن مناقشته – شأنهم في هذا الشأن شأن كل الحكام الاشتراكيين ولو كانوا من المتطفلين على الاشتراكية ، بل عمدوا إلى القوة – كعادتهم – والانتقام ، فحوكم الكاتبان على أفكارهما – التحررية كما هي العادة – وحكم عليهما بالسجن ، كم يا ترى ؟ عشر سنين – فقط – من أجل مقال في صحيفة – لا من أجل قتل نفس بشرية – والحادثة هذه هزَّ صداها العالم كله ، وأذيعت في الإذاعات العالمية ، كما نشرتها الصحافة أيضا وعلقت عليها على ما تراه حسب منهاجها ، هذه هي الحرية والديموقراطية التحررية التي يتغنى بها زعماء الاشتراكية والا فلا ، هذه حادثة واحدة من أمثالها ، وهي كثيرة ، فضيق صدور الحكامْ الاشتراكيين لا يتسع للنقد والتوجيه ، ولعلهم يعتقدون أنهم – دائما – على الصواب لا يخطئون وهذا نفس الخطإ ، وفي المثل المعروف : (من كان بيته من زجاج فلا يرم الناس بالحجارة) .

كلنا يعرف أن من خصائص الدول الاشتراكية خنق حريات الشعوب التي تتحكم فيها ، فلا حق لذوي الرأي في إبداء آرائهم وإظهار عواطفهم ، لا بالكلام وحرية القول ولا بالسماح بإصدار الصحف لتعبر عن رغبات وعواطف الامة ، ولا بطبع الكتب إلا برخصة خاصة من وزارة الاخبار والثقافة ، كأن الناس في حالة حرب يجب أن تفرض عليهم الرقابة ، كما أنه لا يسمح أيضا بتأسيس الجمعيات لخدمة الامة ، إلا إذا كانت لخدمة مصلحة الاشتراكية والواقع أوضح دليل على ذلك ، فأنى للحاكم أن يعرف

---

(1) همـا الكـاتبـان : دانيـال ورفيقـه .

الصواب من الخطإ إذا لم يقبل التنبيه على ذلك ؟ ولعل حكام الاشتراكية يضفون على ذواتهم المحترمة صفة العصمة من الخطإ ، لهذا فهم في غنى عن النصائح وعمن يرشدهم إلى خطإهم .

وقد مضى ذلك الزمان الذي كان الحكام يقبلون فيه النصيحة والإرشاد ، ويرون ذلك علامة على حيوية الامة ويقظتها واهتمامها بما يقع فوق ترابها ، فهي لا تسكت عن الخطإ أو الظلم ولو كان مصدره رمز سيادتها ، وأذكر بهذه المناسبة أن حاكم تركيا (مصطفى كمال) لما استولى على الحكم بعد أن طرد الخليفة العثماني — السلطان عبد المجيد — وألغى الخلافة الإسلامية سنة (1924) وأسس حزبه — حزب الشعب — وأسس البرلمان بنوابه ، طلب من المعارضة — ولا بد من وجود معارضة في كل بلد — أن تؤسس حزبا لمعارضة الحكومة وانتقادها إذا انحرفت عن الطريق السوي ، وتم ذلك ، وأصبحت المعارضة — بنوابها — تناقش الحكومة في كل شيء ، وبوجود المعارضة يظهر الخطأ من الصواب ، أما النظام الاشتراكي وما يدور في فلكه فإنه لا يسمح بتأسيس أي حزب أو هيئة ، ولو كانت دينية توجيهية ، وما وجد منها فهو معرض للتعطيل بأدنى سبب ، وهذا ما يطلق عليه بـ (نظام الحزب الواحد) فهل هذا من الحرية والديموقراطية التي تدعيها الاشتراكية ؟ الجواب عند الواقع وكفى .

إذ من المعلوم — بناء على هذا — أن كل قرار يصدر يفرض على الشعب فرضا ، ولا يحق لاي أحد أن يبدي رأيه فيه ، بل ما عليه إلا الرضى والقبول — سَلِّمْ تَسْلَمْ — وهي الكلمة التي كان يقولها الطرقيون ، وان عارض معارض أو انتقد منتقد فعاقبته السجن والتعذيب والابعاد إلى البقاع القاصية القاسية ، ثم الطرد من منصبه والتنكيل به ، وهلم جرا ، ويحرم من حقوقه — كمواطن — وللمواطن في كل دولة حقه الطبيعي ، فإذا طلبه مُكِّنَ منه إلا في النظام الاشتراكي ، فإذا طلبه — أي حق المواطن — مَنْ وُسِمَ بسمة المعارضة للنظام الاشتراكي فإنه لا يُمَكَّنُ منه ، وما هنالك إلا ما قاله الحزب الحاكم ، فهو إذن حكم استبدادي لا شورى فيه ، ولا مناقشة فيما يقرر بل يفرض على الشعب فرضا لان مجلس نواب الامة — لا نواب الحزب — معطل وملغى ، وفي المناسبات يصرح المسؤولون بأن الشعب هو الذي اختار النظام الاشتراكي ، والشعب المسكين بريء من ذلك .

هذه هي الحقيقة تتبعتها في كل بلد انتحل الاشتراكية مبدأ وسياسة له .

وما يذاع وينشر عن لقاءات وجلسات أعمال بدعوى التشاور وأخذ الآراء ، فإنما هو تمويه وتغطية للواقع ، إذ لا يسمح بالمناقشة إلا لمن حاز الرضى ، وهو بالطبع لا يقول – لا – ولا يقول ما يثير الغضب والانزعاج كما هو الحال في الانتخابات وغيرها ، إذ لا يسمح بالترشيح لاحد إلا لمن رشحه الحزب ورضي عنه ، ولو كان لا يساوي شيئا عند الامة وعقلائها ومفكريها ، ثم يقال بعد ذلك إن الانتخابات قد جرت بصورة حرة وديموقراطية ، وان المرشح الفلاني أحرز على أغلبية : 99٪ ولربما بزيادة فاصل كل هذا زيادة في التحري .

وكمثال على الديموقراطية الاشتراكية – حسب المزاعم – نقول : ان المانيا – مثلا – مقسمة إلى قسمين ، أحدهما وهو القسم الشرقي ، هو تحت الحكم الاشتراكي الروسي ، والآخر وهو القسم الغربي ، وهو تحت حكم أمريكا وحلفائها وفي أيهما تسود الحرية والديموقراطية يا ترى.. ؟؟ أفي القسم الشرقي أين يوجد الحكم الاشتراكي الشيوعي ؟ أم في القسم الغربي أين يسود النظام الامريكي وما معه ؟

الواقع الذي لا شك فيه أننا نسمع – باستمرار – وبدون انقطاع هروب الالمان من القسم الشرقي – بالرغم من الجدار الحديدي الفاصل بين القسمين – إلى القسم الغربي عن رضى واختيار من أنفسهم – مع الحراسة الشديدة وقلة وسائل الهروب ، ولم نسمع بهروب أحد من القسم الغربي إلى القسم الشرقي . فأي القسمين الالمانيين أفضل من الآخر يا ترى ؟

مما لا ريب فيه أن الناس لا يفرون مما فيه الخير والراحة إلى ما فيه الشر والشقاء ، ولا من الحرية إلى العبودية ، فالالمانيون أعرف وأدرى من غيرهم بمصالحهم ، إنما هذه ملاحظة فقط أبديتها في هذا المكان بمناسبة الكلام عن الحرية والديموقراطية ، التي يتبجح بها النظام الاشتراكي الشيوعي ، ولكن الحق يقال على كل حال .

وأنا – كمسلم يعتز ويفخر بإسلامه – لا أدافع عن أمريكا ولا عن غيرها ولست عميلا لها – حسب الاصطلاح الاشتراكي الذي يطلق كلمة العميل على كل من لا يؤيد النظام الاشتراكي – أقول ان أمريكا – في نظري –

هي العدو الاول للإسلام والمسلمين ، فهي مستغلة الشعوب الضعيفة ، وهي التي تمتص دماءها ، وفوق كل شيء وقبل كل اعتبار هي ناصرة اليهود ، ونصيرة الصهيونيين اللؤماء على العرب الاحرار الكرماء ، فواجب على كل مسلم يؤمن بربه ويعتز بإسلامه ألا يحمل لها في قلبه أي احترام فضلا عن أن يكون عميلا وصنيعة لها .

إن الذين يعرفون ما يجري داخل البلاد الاشتراكية الروسية يذكرون أن الناس لو وجدوا السبيل أمامهم مفتوحا للخروج من الوطن الاشتراكي لخرجوا ، ولما بقي منهم خمسة في المائة ، وهذا من علامات الخير ، وهكذا العمل في كل البلاد الاشتراكية ، فإنها تضيق أشد التضييق على الناس في الخروج من وطنهم حتى لا يروا ما يتمتع به الناس من الحريات في غير البلـــدان الاشتراكيـــة .

إن بعض الحكومات – مسلمة وغير مسلمة – ارتمت في أحضان الاشتراكية الشيوعية راجية منها تخليص شعوبها من محنها ، فشرعت في تطبيق النظام الاشتراكي الشيوعي في بلادها – ترضية لروسيا – وخاصة ضد الدين والعقيدة الدينية ، فهي قد استبدلت استعمارا باستعمار أشد من الاول ، وقد كشف الواقع عن حقيقة النظام الاشتراكي الشيوعي وخيبته ، وأنه لا يستطيع أن يواجه المشاكل المتجددة في كل وقت وحين إلا بالقوة – والقوة لا تحل المشاكل – وفعلا فقد أصاب هذا النظامَ الفشلُ الذريعُ – بل الإفلاس – الظاهر الذي لا يخفى على كل ذي عقل نيّر ، فهو نظام لا يأتي إلا بالفقر وضنك العيش وقلة الموارد والنتائج ولو كان في أغنى بقاع العالم ، ولا يستفيد منه إلا المسيرون له والقائمون عليه ، فإنهم اغنوا منه غناء لا مثيل له على حساب الطبقة الفقيرة الكادحة ، ولا يستطيع أحد أن ينكر الواقع ، لهذا أخذت بعض الشعوب المطبقة له تستفيق من نومها ، وتزول عنها غفلتها كما فعل أخيرا الاشتراكي الشيوعي المتحمس لها (فيدال كاسترو زعيم كوبا) فقد أذاع من أيام قريبة تركه للنظام الاشتراكي ، وقال : إنه خيال لا يمكن تطبيقه ، وأظهر عيوبه ، كما أظهر أنه تسرع أولا في تطبيقه ، واستدل على عدم صلاحيته بقلة الانتاج وبكثرة اليد العاملة فيه ، وهذا شيء طبيعي في البشر ، لانهم – العمال – يرون أنفسهم يشقون بأجر زهيد وغيرهم ينعم في رغد من العيش بسبب كدهم وسعيهم المتواصل.

يقال : فلان يدس السّم في الدسم ، ذلك ما يحكي عن المنح الدراسية التي تمنح من بعض الدول الصناعية لبعض البلدان المتأخرة علميا وصناعيا فقد قص علي أحد الآباء أن ولده أعطيت له منحة – أو محنة – دراسية ليتم بها دراسته في إحدى البلدان الاشتراكية ، فسافر الولد للدراسة فيها غير أنه تبين له فيما بعد أن ما يتلقونه عن النظام الشيوعي ومحاسنه أكثر مما يتلقونه من العلوم التي غادروا وطنهم من أجلها ، وقد قال مرة مسؤول في بلد اشتراكي لتلميذ جزائري ما معناه : إننا نعلمكم هنا في بلدنا ونرجوكم إذا عدتم إلى الجزائر أن تكونوا في عوننا على إخراج الإسلام من الجزائر ، وابدأوا بأسرتكم أولا ، ثم بأصدقائكم ، وهكذا حتّى نقضي بواسطتكم على الإسلام ، وتصبح الجزائر اشتراكية شيوعية ، فرجع التلميذ هاربا بدينه – وهذا يرجع إلى فضل تكوينه العائلي وتربيته المنزلية – وكم من تلميذ عاد من دراسته في البلدان الاشتراكية إلى وطنه وهو شيوعي في نفسه وداعية لها ، وفي نفس تلك الدولة عوقب تلميذ جزائري لانهم وجدوا عنده مصحفا ، هذا بعض من حرب الشيوعية للإسلام ، والذي ينقص تربيتنا الدينية المنزلية قلة تزويد أبنائنا بوسائل الدعاية الكافية ليكونوا هم أيضا دعاة صادقين ومبشرين مخلصين لدينهم الحق وعقيدتهم الفريدة في عالم استولى عليه الشيطان بوساوسه وغواياته ، فنكوّن من أبنائنا – زيادة عن تمكن الدين منهم – شبانا صالحين يجلبون بسيرتهم الطيبة الغرباء عن الدين الحق ، زيادة عن دعوتهم غيرهم إلى الإسلام الحي ، ولا نخاف بعد هذا من خروجهم من دينهم وانسلاخهم عن عقيدتهم .

الفصل الثانى : خداع العناوين

اختارت بعض الدول أن تزيد إلى اسمها كلمة – الديموقراطية – فتقول – مثلا – ألبانيا الديموقراطية ، رومانيا الديموقراطية ، وهكذا : بلغاريا ، ألمانيا ، فيتنام ، كوريا إلى آخر ما نسمع في عناوين الدول .

والواقع أن هذا العنوان – الديموقراطية – يخفي وراءه أو تحتـه – الاشتراكية الشيوعية – لان الشعوب لا تقبل الشيوعية – مختارة – ولا تُقْبِلُ عليها ، وتفر منها فرارها من الجذام والطاعون ، وللتغطية والتعمية

تأتي الدول بهذا العنوان الخادع ، حتى لا تفطن الشعوب المسكينة إلى الحيلة والخدعة ، فإذا تمكنت الحكومة من السلطة والسيطرة على الشعب شرعت في تطبيق النظام الشيوعي من أخذ الاموال وغيرها ، رغم أنف الشعب ، وسخرت له كل ما في إمكانياتها ، حتى لا يرد ولا يرفض ، وهيأت له كل ما يعين على تثبيته ولو بالقوة ، وتدعي أن الشعب هو الذي اختار هذا النظام ، والواقع أن الشعب لم يُسْتَشَرْ في ذلك بتاتا ، بل فُرض عليه بـالقـــوة .

وقد كنت يوم 31 اكتوبر 1965م في حفل أقيم بمسجد "الحراش" بمناسبة توسيعه ، وكان معي في المجلس بعض الإخوان بما فيهم وزير الاوقاف الاسبق ، ورئيس المجلس البلدي لعاصمة الجزائر ، فامتد بنا الحديث إلى طرق عدة مواضيع ، كل يدلي بما عنده ، وأذكر أنني قلت لهم — فيما قلت — : إنني تتبعت عناوين بعض الدول المعاصرة فرأيت أن كل دولة تضم إلى عنوانها كلمة — الديموقراطية — هي دولة شيوعية ، وذكرت لهم كمثال على هذا : ألمانيا الديموقراطية ، ألبانيا الديموقراطية ، إلى آخر ما ذكرته سابقا ، فالكثير منهم وافقني على هذا الرأي...

لهذا فالنظام الاشتراكي — وهو شيوعي لحما ودما — تفرضه الحكومات فرضا على شعوبها ، وخاصة في الشعوب الإسلامية ، لان الشعوب الإسلامية لا تقبل ولا ترضى أن تُسْلَخَ من دينها من غير أن تكون للشعوب كلمة رضى أو رفض أو معارضة وسخط ، إنما فرض ذلك النظام عليها فرضا ، وعندما يصرح مسؤول مّا يدعي ويقول — بلا حياء — ان الشعب قد اختار الاشتراكية مذهبا له ، وأنا أتحقق — وكل العقلاء النزهاء البرآء معي — أن الشعب لو استشير — أي شعب كان — وأعطيت له حرية التعبير — وهو حق لكل إنسان متمدن — لرفضها رَفْض الحذاء المرقع ، ولفر منها فراره من الاسد المفترس أو الغول المخيف .

من أجل هذا ، فكل المسؤولين في الشعوب الإسلامية مسؤولون أمام الله ، وأمام التاريخ ، وأمام أرواح الشهداء عما حدث لشعوبهم وفيها ، من كفر وإلحاد ، وخيبة أمل ، وضياع حقوق وشرف قديم وجاه وطهر وعفاف وغير ذلك مما أتت به هذه الاشتراكية المزدكية إلى الشعوب ،

وسيلقى كل واحد منهم جزاءه على أعماله ، سواء آمن بذلك أو كفر .

والإسلام يأمرنا بالتناصح فيما بيننا ، فإذا أدى العلماء واجبهم تلقاء حكامهم وولاة أمورهم ، وتقدموا إليهم بالنصائح حسبما يمليه الإيمان والإسلام ، لم يجدوا فيهم قلوبا متفتحة على الخير – إلا النادر القليل – وعقولا تدرك خطر المسؤولية ، بل أنفوا من قبول النصيحة ، واتهموا العلماء بالضدية للدولة ، ورموهم بالرجعية والتأخر والجمود الخ ، والرجعية في النظام الاشتراكي معناها التديّن ، لان الاشتراكيين لا دين لهم كما نعلم ، ولان الدين مصباح مضيء ، ونور كاشف ، إذا سلط على المبادئ والاهداف كشف حقيقتها كما هي من غير تدليس ولا تلبيس ولا تزييف ، لهذا نسمع كثيرا **كلمة الاستعمار القديم والجديد ، والتنفير منهما – الاستعمار بنوعيه القديم والجديد – فنقول هذا الاستعمار القديم عرفناه ، ترى ما هو الاستعمار الجديد ؟ فلا نجد لهذا السؤال جوابا إلا أن نقول هو "الاشتراكية الشيوعية"** ومثل كلمة الاستعمار القديم والجديد في لغة الاشتراكية كلمة الامبريالية ، والرجعية المستنزفة لدماء الشعوب ، القاهرة للعباد، المعذبة للبشرية ، إلى آخر ما شاع وذاع وملأ الاسماع حتى مل الناس سماعه ، وهي دعاية شيوعية قصد بها التضليل وإخفاء الحقائق وراء العناوين الضخمة الخادعة البراقة .

ومن العجيب الغريب المضحك أن الكثير من الدول العربية الإسلامية !!!! تسطر في دساتيرها كلمة : (الإسلام دين الدولة) وإذا بحثنا عن معنى الإسلام ومدلوله في هذه الدول لم نجد له أثرا ، إلا في الصلاة والصوم عند البعض من أفراد هذه الشعوب ، أما الاحكام والحدود وحماية الدين فلا تسأل عنها ، وهي في ذلك تخادع شعوبها ، لان الشعوب لا ترضى أن تستبدل الإسلام – وهو الدين الذي حررها من الاستعمار – بالشيوعية عدوة الاديان ، أما أحكامه فقد أبطلت وعوضت بأحكام وضعية ، فأين هو الإسلام إذن... ؟؟ فلو قيل في تلك الدساتير : (الإسلام دين الشعب) لكان أصدق وأصلح في طائفة من أبناء الشعب ، لان الدولة لا تعمل بالإسلام ولا تطبقه ولا تحميه من عبث العابثين ، بل تضيق عليه سبل نشره والعمل به ، والذي نلاحظه هنا أن (الاشتراكية) صارت مودة – موضة – العصر كاللباس ، فكل دولة لشعب مسلم لبست لباس هذه المودة أو الموضة حتى لا تتهم

بالتأخر أو بالمحافظة على القديم ولو كان صالحا مختارا من الله ، أو بالرجعية – التدين – إلى غير ذلك من نعوت الازدراء والسخرية بالإسلام .

الفصل الثالث : من ذيول الاشتراكية تحديد النسل

مما لا ريب فيه ان الامة المهابة والمحترمة هي الامة القوية ، وقوتها تشمل جميع اصولها وفروعها ، من عدد افرادها الى تربيتهم واخلاقهم ، ومن علوم وصناعات واختراعات وغير هذا ، والمعتبر في الامم هو الكم والكيف ، فاذا وجدا في الامة – وخاصة الاخير – كانت امة قوية ذات شأن وبال .

والاسلام – ديننا – يأمرنا بأن نكون أقوياء في كل شيء في عزيمتنا وفي ارادتنا وفي ايماننا بربنا وبانفسنا وبوجودنا ، حتى لا يطمع فينا طامع ، لا في اوطاننا ولا في عقولنا ولا في اتجاهاتنا ، فبقوانا تلك نحافظ على وجودنا ، ونواجه خصومنا – وكل كائن لا يخلو من خصوم – كيفما كانوا ، سواء أكانوا من البشر أم من غيرهم ؟ فنحارب الفقر بالعمل والصناعات، ونحارب الجهل بالعلم النافع ، نحارب الطامع في الاستيلاء على عقولنا وبلادنا باتحادنا وقوة جيوشنا ، كما نحارب الامراض بالوقاية والعلاج ، هذا هو التفكير الصحيح لقوانا كلها ، مجتمعة في كثرة ابنائها ، وما بقي فمن الفروع التابعة للاصول كالمال مثلا .

والقرآن يأمرنا باتخاذ القوة والاستعداد لكل الطوارئ كما يأمرنا بالحذر ، حتى لا نؤخذ على غرة أو خديعة ، فهو يقول : «**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**» (1) ويقول : «**وَخُذُوا حِذْرَكُمْ**» (2) كما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم امته بان من الخير لها ان تكون قوية فقال : (**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ، اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**)(3) .

---

(1) الآية 60 من سورة الانفال .
(2) الآية 102 من سورة النساء .
(3) اخرجه الائمة مسلم واحمد وابن ماجه وغيرهم عن ابى هريرة رضى الله عنه .

فقوة الاسلام والمسلمين رحمة واحسان للبشرية كلها ، فالامة الاسلامية امة حرم الله عليها الظلم ، وامرها باقامة العدل ونشر الفضيلة في العالم — كما كان سلفنا الطيب الخير — وخاصة في هذه الظروف التي كثر فيها االجور والباطل والطغيان ، وعم فيها الجبروت وهضم الحقوق وابتلاع الشعوب والافكار .

اذن فالواجب علينا ان لاننظر الى المسلم كما ننظر الى البغل والحمار والبقرة وغيرها من الحيوانات الاعجمية التي تطلب منا أن نهيّئ لها الأكل من حشيش وغيره حتى يمكن لنا الانتفاع بها ولكي تؤدى عملها في هذه الحالة على اكمل ما تكون ،فالحيوانات يؤتى لها بالاكل اللازم لكي تستغل في الاعمال ، فهي تاكل لتعيش .

ان المسلم في هذه الحياة بخلاف الحيوانات ، فهو مطالب بواجبات يؤديها لمجتمعه ، كما هو مكلف بمهمة عالية وغالية انيطت بوجوده ، ومسؤولية كبرى لا يسعه جهلها او تجاهلها او التفريط والتهاون فيها .

هذه المهمة او المسؤولية هي التبشير بالاسلام وعقيدته ، عقيدة التوحيد وشريعة الله ، شريعة العدل وسمو النفس والفضيلة .

تلك المهمة أو المسؤولية أو الواجب هي نشر التوحيد ، هي الجهاد — بكل انواعه — في سبيل اسعاد عباد الله ، وايصال الخير اليهم ، وفي هذا السبيل يجب أن يقضي حياته ، ويشغل اوقاته في ذلك — بعد السعي والعمل لكسب معيشته ومعيشة من هم تحت نظره ، وما تتطلبه منه الحياة ومشاكلها — حتى يؤدي المهمة التي عليه من غير اخلال بها او تفريط فيها .

هذه هي مهمة المسلم ، وهي مهمة في خير الانسان واسعاده دنيا واخرى ، وهذا ما يجب ان يعرفه كل مسلم في وقتنا هذا ، كما عرفه اسلافنا الاولون ، وقاموا به حق القيام ، فقد جردوا انفسهم من كل شيء يشغلهم — الامالا بدمنه — وانتشروا في الارض دعاة هداة رحماء كرماء فأنقذوا أمما من الغواية والجهالة ، لازالت تذكرهم بكل إجلال وإكبار .

جهل المسلمون في وقتنا هذا ما هم مطالبون به ، فظن الواحد منهم أنه يعيش لنفسه ، ويتمتع بما شاء من متع الحياة ، ويقضي واجبات نفسه ، غير ناظر الى حقيقة وجوده ، وما عليه من احمال ثقال ، ومسؤوليات جسام ،

فمن أجل هذه النظرة الخاطئة توقف نشر الاسلام ـ دين التوحيد ـ وانتشاره ، حتى طمع فيهم من لا يساويهم ، ومن اجل ترك المسلمين ما هم مطالبون به نحو دينهم خرج من الاسلام أقوام استهوتهم زخارف الحياة ، ولذائذها فكانوا من الخاسرين .

ان خصوم الاسلام أذهلهم وهالهم تزايد عدد الاولاد عند المسلمين في كل الاقطار ، وهذا بالطبع لا يكون في صالح خصومهم ولا يعجبهم ، فهم يريدون أن يكون المسلمون أقلية ضعيفة غير قوية ، فعملوا ـ الخصوم ـ ما استطاعوا لذلك ، وأكثروا من الوسائل لصرف المسلمين عن التمسك بدينهم ، كما أكثروا من وسائل اخراجهم منه ، كالتعليم اللاديني ، ومن تلك الوسائل ما اشاعوه في أوساطهم من مخاوف المجاعة الناتجة عن كثرة الاولاد وما يتبعها من نفقة المعيشة ، والتعليم ، والكفالة وغير هذا ، وجسّموا لهم شبح المجاعة التي تنتظرهم في مستقبل ايامهم ، فأدخلوا الاقتصاد والحساب في حياة المسلم ، وبعد عمليات الضرب ، والطرح ، والقسمة ، نشروا نتيجة الحساب ، واذاعوا ان كل شعب لا يستعد من الآن لاخذ الحيطة على حياة ابنائه في المستقبل فسيكون مهددا بالمجاعة ، بل بالموت جوعا اذا حل الاجل الذي افصحت به عملية الحساب ، فسارع المسلمون المساكين ! الى الدعاية لذلك والعمل بوسائل التقليل من انجاب الاولاد ، خوفا من الموت جوعا ، **ومن رؤسائهم من خصص جائزة لمن نظم ذريته كما يريد عدوه** ، من اضعافه ، وتقليل قيمته ، ونتيجة ذلك جعلت المسلمين لا يساوون شيئا .

نقول لاصحاب هذا التفكير ، ان تفكيركم سقيم ، وحسابكم عقيم ، لان تفكيركم مبني على عدم ايمانكم بالخالق الرازق ، فالاسلام يأمر المسلم بالسعي والعمل حتى يضمن لنفسه ولاطفاله الحياة الهنية الكريمة ، وينهاه عن الكسل والقعود عن العمل ، واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في الموضوع لا تخفى اهميتها ، وكلمة امير المؤمنين عمر بن الخطاب بينة واضحة في الحث على العمل والنهي عن تركه ، قال رضي الله عنه : (لايقعد احدكم عن طلب الرزق و يقول : اللهم ارزقني ، فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة)

لهذا فغير المسلمين ينظرون الى الحياة نظرة الجاحد لرب الكائنات ورازقها ، ونحن ـ المسلمين ـ ننظر اليها نظرة المؤمن بربه ، الواثق بوعده ، وهو جلت

عزته المتصرف في كل شيء وحده ، لانحن ولا أنتم وما علينا الا السعي و العمل فعلينا ان نسعى ونعمل ، والرزق تكفل الله به خالقنا وخالقكم فهو الذى بيده كل شيء — آمنا به وكفرتم — وهو لا يضيع اجر العاملين .

في القرآن آيات تدل على قسمة الارزاق والحظوظ ، وان الذى خلق لايضيع خلقه ، ومن المؤسف ما يتفوه به بعض المغرورين من حكام المسلمين عندما يتوصلون الى مناصب عالية في الحكم ، فيغترون بمنصبهم ذلك ، ويظنون ان فطنتهم وحذقهم هو الذى بوأهم ذلك المنصب ، فيسخرون بالعباد ويهزأون بالقرآن ويريدون ان يفسروا القرآن كما واتهم به الفرص والحظوظ ، جاهلين حكمة العليم الحكيم ، وان الحظ الذى واتاهم هو من الله ليريهم للناس على حقيقتهم ، ليشكروا او يكفروا ، **«وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ»**(1) قال الله تعالت قدرته ، وبهرت العباد حكمته ، مبينا انه هو الرزاق لا غيره **«وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ، وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ، كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ»** (2) وقال : **«أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ؟ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ، وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ»** (3) .

آه ثم آه لو فكرنا في هذه الآية الاخيرة تفكيرا صحيحا فطريا لاهتدينا جميعا الى الطريق المستقيم، فهذه الآية في قسمة الارزاق يفهمها ويؤمن بها المؤمن وينكرها الكافر المنكر ، الجاحد المخطئ ، وسيعلم بعد حين عاقبة كفره وجحوده وخطئه .

أن الملاحدة وغيرهم ابتدعوا — في تضليلهم — دعاوى ينفرون بها المسلم من دينه ، ويجعلونه يتبرأ منه ويحاربه ويوسوسون له بان ما نزل بالمسلمين من محن ومصائب انما هو من تمسكهم بدينهم .

وهذا توضيح موجز في حكمة جعل الناس درجاتٍ وطبقاتٍ — كما مر في آية الزخرف — متفاوتة ، فيما يمكن فيه التفاوت ، في أصل خلق الانسان

---

(1) من الآية 40 من سورة النمل .
(2) الآية 6 من سورة هود .
(3) الآية 32 من سورة الزخرف .

وتكوينه ، ذلك ان التفاوت يكـون في اشياء — مثـلا — في العقـل ، و في العلم والجهل ، والذكاء وضده — البلادة — وفي الصحة الجسمية والضعف ، وتفاوت ايضا في المنصب والوظيفة الى آخرما هنالك من اصناف البشر ودرجاتهم ، فالله يقول: «**وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً**» أي مسخرا ، فالملاحدة يعترضون على القرآن بأنه جعل الناس طبقات ودرجات ، وقائل هذا القول جاهل بحكمة الخلاق العليم ، فلو كان الناس كلهم في درجة واحدة — كالفقر أو الغنى — لضاعت مصالحهم ، فلا أحد يحتاج إلى أحد ، أما وهم في درجات متباينة تجعلهم لا يستغني الواحد منهم عن غيره ، فكل واحد يحتاج إلى سواه ولو في أبسط الحاجات ، وبهذا تلتئم مصالحهم ، ويكمل بذلك نظام هذا الكون .

أما جعل الناس في درجة واحدة لا يحتاج الواحد منهم إلى غيره فذلك ما لم يكن — ولن يكون — وأصحاب هذه الفكرة — التي تدل على الغباوة ، أو التغابي وسوء القصد — هم أنفسهم يحتاج الواحد منهم إلى غيره ، ليخيط له ثوبه ، أو يصنع له حذاءه ، أو يسوق به سيارته الخ... أما على دعواهم فكان الواجب عليهم أن يتولى كل واحد منهم شأنه بنفسه ويباشره بيده ، وهذا ما لا يستطيعه أحد كيفما كانت قوته ومداركه ، وهل في بلد أصحاب هذه الدعوى توجد المساواة في كل شيء ؟

حدثني من زار "موسكو" أنه لاحظ — فيما لاحظ — على بائعي الخبز — مثلا — فرقا كبيرا لم يره في بلد غيره بالرغم من كثرة تجواله وتنقله في البلدان والعواصم ، ذلك أن الخبز في موسكو على ثلاثة أنواع لـكل نوع أصحابه وأهله .

1) نوع رديء الدقيق والصنع والنضج تزن الخبزة الواحدة نحو(2 ك ق) وهو في دكان خاص يتولى بيعه عمال باللباس الازرق — وهو خاص بالعمال —

2) وإلى جنبه دكان آخر بنوع آخر من الخبز أقل رداءة من الاول ، وأقل وزنا منه ، وبائعوه في لباس أحسن من الاولين ، وأصحابه في درجة أعلى من العمال وأقل من الاختصاصيين

3) أما الدكان الثالث فخبزه أحسن وأجمل من السابقين ، في كل شيء في جودة الدقيق والنضج وقلة الوزن ، يتولى بيعه وتوزيعه فتيات باللباس الابيض مع اللطافة في المعاملة الخ ولـكل نوع من هذه الانواع طبقة من الناس لا يُسمَحُ لأفراد الطبقة الاولي او الثانية ان تاخذ من خبز الطبقة الثالثة ،

لان هذا النوع الاخير خاص بطبقة الموظفين الكبار والعلماء الأختصاصيين وهكذا !!! ما سمعنا عن بلد – ما – أنه نوع الخبز هذا التنويع إلا في هذا البلد الذي ملأ الدنيا دعاوة وصراخا بأن الشيوعية قضت بنظامها على نظام الطبقات ، وسوت بين جميع الناس وأعطت للعمال حقوقهم ، ويقولون ويذيعون انه يجب ألا يكون الإنسان مسخرا لاخيه الإنسان ، هذه أقوالهم التي ملأوا بها أجواء الدنيا ، أما أعمالهم فهي تخالف أقوالهم خلافا واضحا يدركه أبسط الناس ، فقد رأيناهم اتخذوا الشرطة – مثلا – كالعبيد القدامى المسخرين لاسيادهم المالكين لهم ، يحيطون بسياراتهم إذا تنقلوا من مكان إلى آخر ، ويؤدون لهم التحية إذا دخلوا ، مقرونة بشكل غريب من الخضوع والمسكنة وعدم الحركة ، حتى ليخيل للناظر اليهم على تلك الحالة كأنهم تماثيل من حجر نصبت فوق قواعدها ، مع أن الشرطة جعلت للمحافظة على الامن وملاحقة المجرمين حفاظا على راحة السكان وأمنهم ، ومقاومة الشر والفساد وتتبع من يصدر ذلك منه حتى يقضي على كل ما يخل بالامن والراحة فصارت الشرطة حارسة لطائفة مخصوصة ومحظوظة من كبار الموظفين والزعماء لا غير ، وهذا لا يوجد إلا في بعض البلدان الاشتراكية !!!

هذه الاعمال المرئية تناقض الاقوال المسموعة ، والشواهد على هذا كثيرة جدا ، ولله در الإمام البوصيري في قوله الحكيم :

وَٱلدَّعَاوَى مَا لَمْ تُقِيمُوا عَلَيْهَا   بَيِّنَاتٍ أَبْنَاؤُهَا أَدْعِيَاءُ

من هذه الدعاوى المبتدعة بقصد تضليل المسلمين الضعفاء في إيمانهم كلمتان كثر ترددهما على الالسن والاقلام حتى مل الناس سماعهما ورؤيتهما ، – وهما الاقطاع والرجعية – يقولونهما كدليل على أن صاحبهما الذي قيلتا فيه هو من بقايا القرون الوسطى المشهورة بالجهل والتخلف العقلي والصناعي الخ ، ويطلقون على أنفسهم كلمة – التقدميين – وفي شيء من التفكير البسيط يرد المسلمون على الملاحدة هذه الدعوى أو الوصمة – إن كانت وصمة عار – ويقولون لهم : ان الماضي كفيل بتكذيبكم وفضيحتكم وتسفيه آرائكم ، فأنتم الرجعيون – حقيقة لا ادعاء – والمسلمون هم التقدميون – حقيقة لا ادعاء – فالدين الإسلامي الطاهر قدم المسلمين يوم كانوا عاملين

به ، بل جعلهم هم السابقين لجميع الامم ، ويوم كان المسلمون مسلمين حقيقة لا ادعاء ، مسلمين بالاقوال والاعمال والعقيدة والتفكير ، — والتاريخ وأحداثه شاهد على ذلك — ولما انحرفوا عن الطريق التي خطها لهم دينهم الإسلام ومالوا إلى طرق شتى ، حل بهم ما أخرهـم وجعلهم أضحوكة بين أهل زمانهم ، حتى صاروا يصدقون كل محتال دجال خداع يعيب دينهم الطاهر فلا يغارون عليه ، ويؤمنون بما يقوله أعداؤهم في دينهم ، فكانت أفعالهم القبيحة أفعى لهم .

فهؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم لقب التقدميين هم في الواقع على العكس من هذا اللقب الذي لقبوا به حضراتهم المحترمة ، ذلك لانهم يعملون الآن للرجوع إلى عهد الإنسان الاول البدائي ، الذي كان يحيى حياة البهائم التي لا تعقل ، لا دين يهذبه ، ولا حدود تردعه ، ولا خوف من ربه يزجره ، يأكل ما وجد أمامه ، لا يعرف حدود غيره فيحترمها ويبتعد عنها ، يمشي عاريا أو شبه عار ، لا يعرف خالقا ولا حراما ولا حلالا ، لا علاقة له بغيره إلا علاقة المادة والملذات ، ينام في المغاور والكهوف وعلى رؤوس الاشجار ، فالتقدميون — على زعمهم — يعملون من أجل الرجوع إلى العهد البدائي القديم ، عهد الجهالة الاولى (لا إله ولا دين والحياة مادة) .

إذن فمن هو التقدمي ومن هو الرجعي ؟؟ ، إن التقدميين — ادعاء — هم الرجعيون حقيقة ونحن — المسلمين — التقدميون حقيقة وواقعا ، وهذا ما أقوله وأصرح به في كل المناسبات ، فالمسلمون بالحجة هم التقدميون ، والملاحدة — بالدليل — هم الرجعيون ، فالقضية قضية أدلة وبراهين ، لا قضية كلام فارغ ودعوى باطلة ، وتهم ساذجة .

ومثل كلمة — الرجعية — كلمة — الإقطاع — التي أكثروا من تكرارها وإذاعتها حتى ملتها الآذان، تكرر في كل مناسبة للدعاية ، وحتى في غير مناسبة ، نقول لهم أين هو الإقطاع الآن... ؟؟؟ فلنبحث عنه فهو غير موجود بالمعنى الذي كان متعارفا به في الماضي ، والاقطاع القديم كان بإقطاع الملك أو الامير قطعة من الارض إلى من خدم الدولة بإخلاص ، تعطى له على سبيل التمليك يستغلها ويعيش منها لنفسه خاصة ، أما الآن فقد صار

إقطاعا من نوع آخر إقطاعا عصريا تقدميا ، وهو إقطاع أو إعطاء الصديق المؤمن بالمبادئ وظيفة عالية ، أو إدارة مؤسسة وطنية كبيرة يتولاها ليستغلها كما يشاء ، من غير أن يحاسبه محاسب ، أو يراقبه مراقب — وَإِلاَّ غَضِبَ — هذا هو إقطاع هذا الوقت (العصري) فهل فهمتم معنى الإقطاع العصري التقدمي أيها الإقطاعيون... ؟؟؟

نعود إلى الموضوع المعنون له بـ — الاشتراكية وتحديد النسل — فنلقي نظرة على حياة العرب قبل الإسلام ، فقد كانت حياتهم حياة جاهلية ، وكان الرجل منهم يخشى ضيق العيش — لجهله — وقلة الرزق ، كما كانت نظرتهم إلى المرأة نظرة خاطئة ، فهي عندهم عضو أشلّ عاطل في جسد الاسرة والمجتمع ، كما هي عندهم أيضا عبء ثقيل يحمله عائل الاسرة ، لهذا زينت لهم نفوسهم الجاهلية التخلص منها بوأدها — دفنها — حية في التراب ، وهي طفلة صغيرة ، حتى لا تضايق الاسرة في رزقها ، كما كانوا يخشون العار الذي قد ينجر للأسرة أو القبيلة بسبب سوء سلوكها وخروجها عن تقاليد الاسرة والوسط ، لهذا ولغيره من الاسباب والاعتبارات السائدة في ذلك الزمان الجاهلي كانوا يدفنونها وهي حية ضعيفة ، وقد تستغيث ، ولكن ما لها من مغيث ، كما كانوا يقتلون أولادهم الذكور خوفا من الفقر والجوع .

ولما جاء الإسلام — رحمة الله — أبطل هذا الجرم الفظيع بشرعه الرحيم ، وأبان للعرب الجاهليين قبيح صنعهم ، وأظهر لهم خطأهم فيما ذهبوا اليه ، مبينا لهم ولغيرهم أن الرزق والقوت بيد الله الخالق العليم الرحيم — مع السعي منهم بالوسائل المعروفة — لا بيدكم أنتم معاشر العباد ، وقد أمر رسوله — المبلغ عنه — بأن يتلو على قومه ما حرمه عليهم ربهم ، وهو ما منعهم من إتيانه وفعله ، لما فيه من الفساد والضرر وسوء الاعمال فقال تبارك وتعالى : **«قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ، أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ(1) نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ»(2) وقال : «إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً»**

---

(1) الاملاق — الفقر والاحتياج .
(2) الآية 151 من سورة الانعام .

وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً»(1) .

والملاحظ في التعبير القرآني : أن الآية الاولى – آية الانعام – نصت على أن قتل الآباء للأبناء كان بسبب الفقر الموجود فعلا ، ولم يستطع معه الآباء أن يقوموا بواجب النفقة على أولادهم ، ولم يتحملوا رؤية ابنائهم في حاجة إلى لقمة العيش ، فيتخلصون منهم بقلتهم ، لهذا قدم في الذكر رزق الآباء على الابناء ، وبين لهم أن الكل من الله .

أما في الآية الثانية : "آية الإسراء" فهي بالعكس من ذلك ، فإنه قدم في الذكر رزق الابناء على رزق الآباء لان قتلهم لهم كان من أجل الخوف من فقر متوقع ومنتظر – فهو غير موجود – يرون أنهم لا يقدرون معه على القيام بنفقة أبنائهم ، فيتخلصون منهم بقتلهم ، فهذا التعبير البليغ من دقائق القرآن العجيبة ، كما أشار إلى ذلك علماء التفسير القرآنيون ، والمسلمون الآن صار البعض منهم يسلك سبيل الجاهلية الاولى ، فيستعمل وسائل منع الحمل وهذا هو الوأد الخفي ، كما في الحديث عندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن – العزل – الذي رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها ، وهو قوله: **(ذَلِكَ ٱلْوَأْدُ ٱلْخَفِيُّ)** إشارة لقوله تعالى : **«وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ»**(2) فإذا تأملنا جيدا آيتي الانعام والإسراء وجدنا أن القرآن يوصي الابناء بالإحسان إلى آبائهم في حال كبر السن أو العجز عن اكتساب القوت ، كما يوصي الآباء بالرحمة بأبنائهم في حالة الصغر والضعف ، كل ذلك لتنشأ سلسلة الاسرة متماسكة الحلقات ، كونت على أساس ومادة من الرحمة والحب والعطف والعدل ، وبهذا يكون تكوين الاسرة وصوغها قويا وصنعها متينا محكما ، لا تزعزعه الرياح والاعاصير مهما اشتدت واستمرت ، إذ كل واحد فيها يعرف ما له وما عليه .

هكذا تربى الاسرة المسلمة بوصايا القرآن ، غير أن صدوف المسلمين المتأخرين عن هدي القرآن ونور الاسلام الكامل ، ونبذهم لشريعتهم – عملا وتطبيقا – ظانين أنهم يجدون الراحة والخير في غيرها ، وصلاح

(1) الآيتان 30 – 31 من سورة الاسراء .
(2) الآيتان 8 – 9 من سورة التكوير .

أمورهم في سواها ، كل ذلك صيّرهم إلى ما نرى ونشاهد من تفكّك وضعف ، ونقص واحتياج ، وقساوة على بعضهم واحتيال حتى بين الآباء والابناء ، لان رابطة الدين والقرآن — وهي أمتن الروابط — ضعفت فيهم ، فمدوا أبصارهم وأيديهم إلى خارج ما رسمه لهم دينهم ، وراحوا يقلدون ويتبعون من لا يؤمن بربه ، ولا يعترف بخالقه ، لهذا حل بهم ما حل بمن سبقهم من الامم الغابرة — سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا — تلكم الامم التي كفرت بربها ونبذت شرائعه واتبعت الشياطين وآمنت بالطواغيت ، فلم يكن لهم فيهم العبرة البالغة ، والعظة الكاملة ، وكيف يكون فيهم هذا وهم لا يرون نصح الناصحين وموعظة الواعظين علاجا لامراضهم ، وصلاحا لشؤونهم ، فساء حالهم وانحطت أخلاقهم ، وانفلتت الدنيا من أيديهم ، والآخرة كذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فالناظر البصير بالامور يدرك أن ما ينشره ويذيعه الملاحدة بين الشعوب المسلمة بشتّى وسائل النشر ، المقصود منه بالذات أولا وقبل كل اعتبار إنما هو التعطيل لنشر الإسلام بين الناس ، بل وانتزاعه من منابته ، والمسلمون غافلون عن المقصود من ذلك ، بل ان منهم من يرى أن ذلك في خيرهم وصلاحهم ، وما هو في الحقيقة إلا الشر والإلحاد ينشر ويذاع بينهم ، وعلى حساب دينهم ، وسيعلمون نبأه بعد حين .

نعود بعد هذه البسطة إلى عنوان هذا الفصل وهو "تحديد النسل" أو منعه وإبطاله ، وتحديد النسل إذا تدبرنا مدلوله نجده خدعة أو لعبة أريد بها ومن ورائها إنقاص عدد المسلمين وإضعافهم ليسهل دوسهم أو ابتلاعهم في يوم — مّا — فهو مكيدة مُبيّتةٌ ، ودسيسة مدبرة من طرف خصوم الإسلام ، زينوها للجاهلين وحسّنوها للغافلين ، ذلك أن الدارس للشريعة الإسلامية وأحكامها المحكمة وأهدافها الواضحة البينة يدرك ما قلناه سابقا من أن المطلوب من المسلم مطلوب شريف ، مطلوب منه أن يكون عنصر صلاح وفلاح بين أبناء البشرية التائهة ، فقد ضلت عن الطريق السوي الرشيدة الذي يجب عليها أن تسلكه لتنجو من المهالك والاخطار .

المطلوب من المسلم أن يعمل — ما استطاع — لإرجاع إخوانه في الإنسانية إلى الجادّة المثلى ، إلى الصراط المستقيم ، صراط الله الذي رسمه في شرعه ليسلكه عباده المؤمنون المهتدون بهديه .

من أجل هذا ، ومن أجل أن الخالق تكفل بأرزاقنا وأقواتنا — إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ — إذا سعينا لها بالوسائل المطلوبة ، فالمسلمون — مهما كثر عددهم — فهم قلة قليلة إلى جنب من كفروا بربهم ، وجحدوا الوهية خالقهم ، وتمسكوا بخيوط واهية لا تمسكهم إلا كما تمساك خيوط العنكبوت أثقل الاشياء وزنا ، وتركوا حبل الله المتين الذي لا نجاة للعباد من الهلاك والخسارة إلا في التمسك به والاعتصام بقوته ومتانته .

فتحديد النسل — الذرية — معناه أن نجعل لتزايد الاولاد حدا محدودا لا نتعداه ، أو منعه وإبطاله مرة واحدة ، فهو بهذا الاعتبار مخالف لما جاءت به الشريعة الإسلامية — مثل جميع الشرائع السماوية — فالمسلمون إذا عملوا على التقليل من نسلهم أو منعه فهم ضد شريعتهم ، كما يتبين ذلك من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالرسول المبلغ عن الله رغّب أمته في تكثير نسلها وعددها لتكون به قوية .

من ذلك ما أخرجه أبو داود في سننه في باب : (ٱلنَّهْيُ عَنْ تَزْوِيجِ مَنْ لَمْ يَلِدْ مِنَ ٱلنِّسَاءِ) عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ وَأَنَّهَا لاَ تَلِدُ ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا ؟ قال : لاَ ، ثُم أتاهُ الثّانيةَ ، فنهاهُ ، ثُم أتاهُ الثّالثةَ فقال : **تَزَوَّجُوا ٱلْوَدُودَ ٱلْوَلُودَ فَإِنِي مُكَاثِرٌ بِكُمُ ٱلْأُمَمَ)** كما أخرجه النسائي أيضا بألفاظ متشابهة عن معقل بن يسار ، وفي بعضها اختلاف يسير وعنون له بقوله : (كَرَاهيةُ تزْويج العقيم) ، وأخرج الامام أحمد في مسنده والطبراني في الاوسط عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَأمُرُ بالباءة،وَينهى عن التَّبَتّلِ(1) نهياً شديداً ، ويقول : **(تَزَوَّجُوا ٱلْوَدُودَ ٱلْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ ٱلْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ)** ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وأقره وقال : واسناده حسن .

هذه هي سنة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام التي كان يأمر بها أصحابه والتي لا ينبغي تركها والعدول عنها إلى ما دعت إليه الشياطين ، فسيكاثر بأمته الانبياء والامم يوم القيامة ، يوم يجمع الله فيه الخلائق ، هذه

---

(1) الباءة القدرة على التزوج،والتبتل ترك الاشتغال بالدنيا والانقطاع للعبـــادة .

الكثرة إنما تكون بالعدد الصالح المؤمن القوي ، هذه الكثرة في العدد سيتباهى بها الرسول عليه الصلاة والسلام ، فهو يفاخر الانبياء والامم ويفتخر عليهم بالكثرة المؤمنة الموحدة ، لا بهذه القلة الزائغة الملحدة الضالة المضللة التي تشبه البهائم في البحث عن الاكل واللهو والملاذ والشهوات لا غير ، هذه هي سنته ، ومن رغب عنها ولم يعمل بها فليس من أتباعه كما قال : **(فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)** .

فبناء على هذا الترغيب النبوي يجب على المسلمين ألا يخالفوا رسولهم فيما رغبهم فيه وحثهم عليه ، بل وأمرهم به ، كما يجب أن يكونوا دعاة له ، لا دعاة لمخالفته ، قال الله تعالى : **«فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»**(1) .

اللهم إن عبادك المسلمين فعلوا ما حذرتهم منه ، وخالفوا أمر رسولك اليهم ، وَشَتَّتَتْهُمُ الاهواء والفتن ، وأضعفتهم الشهوات ، ونزل بهم العذاب الاليم ، فقد صدق فيهم وعيدك وهم غافلون .

فتحديد النسل أو منعه قضية دينية قبل أن تكون اقتصادية ، فالعمل بها مخالف للشريعة الإسلامية ، ورد لرغبة محمد صلى الله عليه وسلم .

إن الاروبيين الذين حاولوا كم من مرة أن يوهنوا الإسلام أو يقضوا عليه بقوة السلاح وخابوا – كالحروب الصليبية – قد رجعوا إلى الاوطان الإسلامية بعنوان – التعمير أو الحماية – في غفلة وضعف من الشعوب الإسلامية ، وبعد أن هبت نسمة الحرية أو التحرير كان العالم الإسلامي في طليعة المحاربين ، والمتتبع لسير الاحداث العالمية يدرك أن الشعوب غير الإسلامية أخذت حريتها واستقلالها بدون حرب تذكر وقتال شديد ، وهذه القارة الافريقية السوداء مثال لما قلت ودليل عليه ، أما الشعوب الإسلامية فإنها ما بلغت إلى حريتها واستقلالها إلا بعد أن دفعت الثمن فيه باهظا جدا جدا من خيرة أبنائها .

فأروبا هالها وأفزعها كثرة تزايد عدد المسلمين ، يضاف إلى ذلك استقلال الشعوب الإسلامية ، وما يتبع ذلك من قوة وغيرها ، فأخذت تفكر في

---

(1) الآيــة 63 مــن سورة النــور .

مستقبلها وماذا سيكون فيه بعد أن استعاد المسلمون أوطانهم وقوتهم التي فقدوها بسبب استيلاء المستعمرين عليها ، ففكروا كثيرا وقدروا تقديرا فهداهم تفكيرهم وتقديرهم إلى أن الشعوب الإسلامية سيأتيها يوم تسيطر فيه على العالم نظرا لكثرة عددها وقوتها المتزايدة وما تملكه في أوطانها من مواد خام وغير ذلك ، وبذلك سينتزعون السيادة والقيادة منهم ، لهذا أخذوا ينشرون تقارير خبرائهم الاقتصاديين ، ويعلنون : أن العالم مقبل على مجاعة عظيمة بالنظر إلى عدد السكان وكثرتهم ، وقلّة الاقوات ، وأذاعوا بياناتهم ناصحين ، بأن الواجب يحتّم على الشعوب — وخاصة النامية — والحكومات ان تستعد لمواجهة خطر هذه المجاعة المنتظرة بتنقيص عدد السكان — **من غير أن ينقصوا هم من وسائل القتل والتدمير والإحراق والخراب ، وهي وسائل تحصد البشرية حصدا — فكان أول الملبين لندائهم بعض الشعوب الإسلامية — اسما لا عملا —** فتأثروا بتلك البيانات ، فخطب نوابهم في المجالس ، وخطباؤهم على المنابر ، وسخروا لهذه الحملة ما عندهم من وسائل الإعلام والاخبار ، من صحافة وإذاعة وغيرهما ، وحتّى من يسمون أنفسهم بـ — علماء الدين — باحثين ومنقبين عن المرخّصات لتحديد النسل أو منعه ، حتى لا يموت المسلمون — المساكين !!! — جوعا ، وقد وجدوا في كلمة الإمام الغزالي سندا يستندون عليه ، فصدرت بذلك الفتاوى من أصحاب الفضيلة حماة الدين ، في الصحافة وغيرها مرغبة في اتخاذ الوسائل للتنقيص من الاولاد أو منعهم بتاتا ، كأن الارزاق بأيديهم لا بيد الله خالق العباد سبحانه لا إله غيره ، ولا رازق سواه ، حتى أن الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة قد أعد جائزة مالية لمن ينظم نسله .

وهنا نكون قد رجعنا من حيث نشعر أو لا نشعر إلى حالة العرب الجاهليين التي نعاها عليهم القرآن مبينا لهم خطأهم في تقويم الارزاق كما جاء ذلك في الآيات السابقة .

إن منع الحمل لا يجوز — شرعا — إلا في ظروف خاصة لا صلة لها بكثرة تزايد عدد سكان المعمورة ، فإذا كان المنع من أجل الخوف من الجوع فهو من أعمال الجاهليين التي خطّأهم فيها القرآن فيكون المسلمون قد رجعوا إلى عقيدة الجاهلية وعهدها ، فمجوزه وفاعله لا إيمان لهما بربهما ولا بوعده ، مهما تستر العامل به أو المجوز له بغير ما أظهره،

فإن الله لا تخفى عليه خافية . والعمل هنا تعينه النية، كما جاء في الحديث الصحيح : (إِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مَا نَوَى) .

فالذي يفكر ويعمل لتحديد النسل – خوفا من الجوع – فلماذا لا يعمل للإكثار من الصناعات ونشرها ، وإيجاد وسائل العمل الشريف ، وتوزيع الثروات توزيعا عادلا مفيدا على الامة ، ينال منه كل واحد على ما عنده من تجارب ومعرفة بطرق الإنتاج والتنمية ، حتى تكتفي الامة بما عندها من طاقات ، وتستغني بذلك عن غيرها .

ألم ينظر هؤلاء – الفُطْنُ الحذاق – الذين خافوا على أبناء الامة أن يموتوا جوعا – إلى الامة الصينية الحالية ، وكثرة السكان فيها وتزايدهم بصفة مهولة ، حتى أن دولة أمريكا وطاقاتها البشرية وغيرها صارت تقرأ لها ألف حساب ، وحساب... ؟؟

إن الامة الصينية بصناعاتها التي غزت بها العالم لم تخفْ من الموت جوعا ، لانها تعلم أن قوتها في كثرة أفرادها ، وما يقال في الامة الصينية يقال في الامة اليابانية الحديثة وصناعاتها العجيبة في إتقانها ورواجها في جميع أطراف العالم ، وسُكانها مع ضيق أرضها ، والفارق الوحيد بيننا وبينهم هو العمل والكسل ، والتقليد البليد ، فاعتبروا بهذا يا أولي الابصار .

إن الشعوب الإسلامية أصيبت بمرض الكسل والتكاسل – وكثرة الكلام الفارغ والثرثرة الحقيرة – ولو كانت حازمة وعاملة كالشعوب الاروبية أو بعض الشعوب الاسيوية – مثلا – لغيرت وجه أرضها بالصناعات ، ولكانت أغنى بكثير من الشعوب الاروبية بالنظر لما عندها من خيرات وإمكانيات قل أن توجد في غيرها من البلدان الاخرى .

فالأبناء الشرعيون – أولاد الحلال – يجب التقليل منهم ، حتى لا يموتوا جوعا ، واما الأولاد غير الشرعيين – أولاد الحرام – فلا خوف عليهم ومنهم إذا كثروا – ما دامت لدى بعض الحكومات الإسلامية مراكز تؤويهم – وقد كثروا في هذا العهد الاخير كثرة فاحشة ، بكثرة الاسباب والطرق التي تجيء بهم إلى هذه الحياة ، والتي هي نتيجة حتمية لاختلاط الرجال بالنساء في كثير من الميادين – ولا ينشأ من الاختلاط إلا الشرور

والآثام – ولخروج المرأة المسلمة إلى الشوارع متبرجة كاشفة لما أمرها الله بستره ، مع ضعف الإيمان أو انعدامه وموت الوازع الديني والاخلاق الإسلامية ، والذين هم – أيضا – نتيجة جناية الاشرار والفساق على المجتمع الإسلامي الذي أفسدته الاخلاق الاجنبية الوافدة عليه من الخارج والتي تحارب الاخلاق الإسلامية . فهم – الاولاد غير الشرعيين – في ازدياد مطرد ، ولم نسمع أن من المسؤولين من أخذته الشفقة والغيرة على الاخلاق والفضيلة فتكلم على منعهم ، أو حتى التقليل منهم بإزالة الوسائل التي جاءت بهم إلى هذه الحياة السيئة ، وهذا من نتائج **المزدكية القديمة كما مر الكلام عليها سابقا ، وأختها الاشتراكية الحديثة .**

فالعامل على تقليل النسل – الاولاد – والآمر به والمجوز له كل هؤلاء مكذبون بوعد الله برزق عباده ، والذي أفتى بجوازه من غير ضرورة شرعية – تبعا لهوى غيره – يجب عليه أن يراجع موقفه ، وإلا فيا ويله يوم يقف بين يدي من لا تخفى عليه خافية... فالمجوز له باع ضميره ، واستجاب لرغبات العباد ، وأعرض عما يوجبه عليه إيمانه ، ودينه ، وورعه – إن كان عنده ورع – وخوفه من خالقه .

والملاحظ هنا – بهذه المناسبة – انني أعرف كثيرا من الرجال كانوا فقراء قبل أن تكون لهم زوجات وذرية ، وكانوا في ضيق من العيش ، وما أن تزوجوا ورزقوا أبناء حتى كثر رزقهم ، واتسعت معيشتهم ، وظلوا وباتوا في رغد من العيش ، وهم هم كما كانوا قبل ازدياد أولادهم ، لم تزد لهم أعضاء أخرى في أجسادهم ، فلم يصر للواحد منهم رأسان – مثلا – وأربع أيد وأربع أرجل حتى يزداد سعيهم ودخلهم ، وما ذلك إلا لان المولود جاء برزقه معه لان الرزاق حي لم يمت ، وصدق الله في قوله : **«إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ»(1)**

هذا في شريعتنا الإسلامية الخالدة ، فقد علمنا ما دلت عليه آيات قرآنية لا تجيز – بدعة العصر – التي جاءت من قوم لا يؤمنون بخالقهم ولا يصدقون بشرعه .

---

(1) الآية 58 من سورة والذاريات .

والذي أعرفه – في خارج شريعتنا الإسلامية – أن رجال الدين من اليهود والمسيحيين عارضوا معارضة قوية في تطبيق هذه البدعة – الإلحادية – من لدن أتباعهم من اليهود والنصارى . فقد أنكروا تحديد الاولاد عندما طلب اليهم أن يقولوا كلمتهم في ذلك . فقالوها ، وَلم يُجَوِّزُوا استعمال الطرق التي تستعمل لمنع الحمل ، وطلبت منهم حكوماتهم ذلك أيضا . فكان موقفهم واحدا . فكيف أجازه خلفاء محمد صلى الله عليه وسلم ؟؟ – إن كانوا خلفاء له حقا – وخالفوه فيما رغّب فيه ودعا أمته اليه ؟

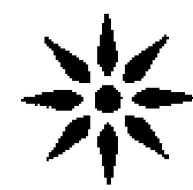
وأذكر أنني سجلت في مذكرتي الخبر التالي : (استمعت إلى إذاعة نشرة الاخبار من محطة "لندرة" يوم الاثنين 29 جويلية – تموز – 1968 في نشرة أخبار الساعة الرابعة بعد الظهر هذا الخبر : (قداسة البابا يؤكد مرة أخرى تحريم موانع الحمل الصناعية ، كما يحرم الإجهاض) فالرئيس الديني المسيحي يعلن لاتباع دينه ما يوجبه مقامه الديني وكرسيه الجالس عليه ، من غير أن يخشى المعارضين له وهم كثيرون ، ومن غير أن يخاف أن يتهم بالرجعية .

والملاحظ أن أظهر ما ظهرت فيه الدعوة إلى منع الحمل أو تحديد النسل إنما هي الاوطان التي اتخذت المذهب الاشتراكي الشيوعي – المزدكي – دستورا لها ، وأبطلت الدساتير الاخرى – وخاصة القرآن – وفي الاوطان الإسلامية بالخصوص التي ابتعدت كثيرا عن منهاج الشريعة الإسلامية ، وابتدعت قوانين أخرى أقل ما يقال فيها إنها حرب مكشوفة سافرة أعلنت على شريعة الله – الإسلام – الطاهرة من كل الاقذار .

قلت ان أظهر ما ظهرت فيه الدعوة إلى منع الحمل أو تحديد النسل إنما هي في الأوطان الاشتراكية ، ذلك لانها لا تعترف بالدين ، ولا تتبع ما تدعو اليه الاديان ، فكل من عمل على تحديد النسل أو منعه فعلى نهجها سار وبمذهبها اقتدى ، بعد أن علمنا أن رجال الدين من الديانتين "اليهودية والنصرانية" لم يجيزوه بل منعوه .

اذا ساغ للحكومات الملحدة ان تدعو الى تحديد النسل او منعه – نظرا لمذهبها الاقتصادى والمادى واللاديني – فانه لايجوز – باى حال – ان تجيز

ذلك حكومات الشعوب الاسلامية ، التي تدعي ان الاسلام دين الدولة ، فما لهذه الحكومات ابتعدت كثيرا عن شعور غالبية شعوبها ، التي لم ترض ان تلبي هذه الرغبة ؟ فلملم تأخذ بعين الاعتبار رغبات شعوبها ؟ ومالت الى رغبات طائفة من الملاحدة **معينة**، اولئك الذين لارغبة لهم في الدين والتدين ...



الباب العاشر

الفصل الأول :

مسؤولية حكومات الشعوب الإسلامية .

ان حكومات الشعوب الاسلامية مسؤولة أمام الله ، وأمام التاريخ ، وأمام شعوبها عن كل تحريف او انحراف – عن سبيل الله – يقع لشعوبها فان المسؤولية عظيمة ، والتبعات كبيرة ، وتقلبات الايام غير مأمونة **«فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»(1).**

والملاحظ – ايضا – ان البعض من اولئك المسؤولين غير مهتمين بانحراف بعض افراد شعوبهم عن طريق دينهم – بقدر اهتمامهم بكراسيهم الجالسين عليها – ذلك ان البعض منهم لم يطبع بطابع الاسلام الصحيح غير المزيف ، فلوانهم ربوا تربية اسلامية كاملة غير ناقصة لكانوا هم في طليعة من يحمي الاسلام – بما في ايديهم من السلطة – ويدافع عنه عدوان المعتدين ، وضلال الضالين ، غير ان البعض منهم هو المعتدي الاول .

فقد لمسنا في بعض المسؤولين الكبار في بعض الشعوب الاسلامية مالمسناه وعرفناه – قديما في الحاكم المطلق المتصرف بأمره ، غير مبال بشعور الشعب ولا بالامانة الملقاة على عاتقه ، فحسب نفسه انه اصبح ملكا من الملوك – غير الدستوريين – له وحده الامر والنهي ، فلم يبعدوا عن الملوك الديكتاتوريين الذين قص علينا التاريخ حياتهم الخاصة والعامة ، مثل تضييع أموال الامة في سبيل شهواتهم وملاذهم ، الى مرض التظاهر بالعظمة والقوة ، الى الترفع والتكبر عن شعوبهم – كأنهم خلقوا من عنصر آخر خاص بهم – الى احتقار الشعوب في كرامتها وقد احاطوا أنفسهم بهالة من التقديس ، والالقاب الفخمة

---

(1) سورة النور الآية 63 .

– وهي لاتساوى فحمة – والهيمنة المصطنعة المكشوفة ، الى كثير من الصفات التي صيرتهم ملوكيين اكثر من الملوك .

قلت فيما سبق – قريبا – ان البعض من المسؤولين في بعض الشعوب الاسلامية لم يكونوا ممن يحمون الاسلام أو يدافعون عنه عدوان المعتدين ، فكيف نفهم ؟ وماذا نقول ؟ فيمن ادعى لنفسه أنه ادرك – بعلو تفكيره – مافات علم الخالق ، وما سطره في الشريعة الاسلامية وأمر عباده المؤمنين به ان يتبعوه ويعملوا به ، وذلك فيما يخص المرأة المسلمة وغيرها مما سنتعرض له في هذه الدراسة للمزدكية وفرعها الاشتراكية ، فتدارك ذلك بتشريعه ، وازال عن المرأة كل غبن او حيف وانحطاط جاءها من الشريعة الاسلامية ، بل ذهب بعيدا في تحديه وابطاله لاحكام الاسلام والقرآن ، وعد ذلك منه اصلاحا ، فقد ابطل ماشرعه القرآن بنصوص آياته الصريحة .

هذا ما قاله – وفعله – الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة ، فقد أكثر من من اعتداآته على الاسلام والقرآن حتى تجاوز حدود البشر ، ودخله الغرور والعجب الى ان رفع شخصه الخيالي فوق مقام الرسالة المحمدية .

واني اضع بين يدى القراء ماصرح به لمراسل صحيفة (لوموند) الفرنسية الذائعة الصيت ، وكثيرة الانتشار ، فقد نشرت هذه الصحيفة تصريح الرئيس التونسي في عددها الصادر بتاريخ (26 ماى 1969) في (لوموند الديبلوماسي) تحت عنوان

حديث مع الرئيس حبيب بورقيبة

اجراه معه الصحافي الفرنسي الشهير "جان لاكوتور"

وساعقب عليه بما اراه لازما ، فاليكم ترجمة ما به الحاجة من ذلك التصريح :

(إن الأمر الهام الآخر الذي عالجناه يتعلق بالمرأة عموما ، الساكنة منها في الريف أو في المدينة ، وعملنا هذا من أجل المرأة ، لأننا نعتقد أن المرأة كائن بشري (ومن قال له انها حيوان أو جماد) .

إنكم تعلمون كيف كانت معتبرة من قبل في عهد الانحطاط ، كما أن وضعيتها التي تجعل منها كائنا منحطا كانت تعززها الاعتبارات الدينية .

إن الدين والقرآن قد وضعا المرأة في منزلة سفلى ، وفي مستوى أدنى ، فهي أقل ذكاء ، وحقها في الإرث أقل من حق الرجل ، ووظيفتها الوحيدة هي إنجاب الأولاد .

ولقد أقدمت على هذا الإصلاح منذ بداية الاستقلال ، ويرجع تاريخ القانون الذي يغير حالة المرأة ، والزواج ، والذي يحرم تعدد الزوجات إلى يوم "13 أوت 1956" أي أربعة أشهر بعد الاستقلال ، واعتمدت في هذا على السمعة التي تم الحصول عليها أثناء الكفاح ضد السيطرة الأجنبية ، واردت أن أعمل كل هذا من بين الأعمال التي شرعنا في تحقيقها آنذاك ، وليس من السهل القيام بشيء يخالف ويتعارض مع القرآن ، وإني متيقن بأن عددا كبيرا من البلاد الإسلامية متفقة معنا ، غير أنها لا تجرؤ على الاعــلان بـذلك .

وهناك إصلاح آخر لَمْ تُقَسْ أَبْعَادَهُ كما ينبغي ، وهو إغلاق جامعة الزيتونة ، تلك الجامعة التي تُكَوِّنُ أناسا هم من القرون الوسطى ، ويوجد نفس الوضع في المغرب وفي مصر ، يجب قبل كل شيء الذهاب إلى المدرسة ، ومن شاء التخصص في علم التوحيد – الدين – فله ذلك بعد أن يحصل على شهادة البكالوريا كجميع الناس – وهذا شيء مشترك – لا بواسطة تعليم دَيْرِكِلِينِي (مكان في فرنسا) وفي عهد أَبِلاَرْدْ (عالم ديني عاش في فرنسا من (1079 إلى 1142) وهذا في القرن العشرين) . انتهى ما به الحاجة من هذا التصريح .

والذى يتأمل في هذا التصريح البورقيبي الخطير يدرك ما يرمي اليه صاحبه ، فقد أظهر بصراحة تامة لاتقبل التاويل ما هي قيمة الشريعة الاسلامية في نظره ، وما هي منزلة القرآن في قلبه .؟؟

لا اقول انه لا يفهم ما يقول في الجملة – ولعله يضحك علي انا ويقول لي انك لم تفهم مرادى ، كعادته مع كل من لم يتبعه على ضلاله – فالرجل الذى يقول : ان الدين ، والقرآن قد وضعا المرأة في منزلة سفلى وفي ادني مستوى (وهو خلاف ما في الدين و القرآن) هو متعمـد ما قـالـه ، – وحـاش الـديـن والقـرآن من ذلك – انمـا الامر مقصـود منه لاعتبارات شتى ، فهو يرى ان دراسته للحقوق – او للعقوق – رفعته الى مكان أرفع من مكان الشرائع

السماوية – خصوصا وان محمدا صلى الله عليه وسلم – المشرع بعد الله – ليس عنده " شهادة الحقوق "مثل التي عنده هو – فهو يرغب في الاتيان بشريعة احسن وأليق بالبشر من شريعة الله . فجاء بـ (المزدكية)

وتعقيبنا على هذا التصريح نوجزه فيما يلي :

1) قوله ان الدين والقرآن قد وضعا المرأة في منزلة سفلي الخ . نقول حاش لله وحاش للدين والقرآن ان يكون منهما هذا القصد السيّء الذى ابداه هو . فمن درس التاريخ القديم – لما قبل الاسلام – علم ان الاسلام والقرآن قد رفعا منزلة المرأة الى اعلى مراتب الاحترام والكرامة . هذا اذا درس التاريخ بنزاهة وبدون روح التعصب الممقوت ، وما قاله بورقيبة هو قول قديم مشهور لخصوم وأعداء الاسلام ، فما هو الاتابع لهم وسائر في ركبهم – لااكثر ولا اقل – فاذا ظلم رجل مسلم امرأة مسلمة فليس معنى هذا ان الاسلام هو الذى ظلمها ، والظالمون من هذا الصنف كثيرون ، وان لم يعترفوا بذلك ، فليتفطن لهذه الاقوال بعض الغافلين .

2) فها بورقيبة شهد على نفسه بانه خالف القرآن وكفربه – ويا ويله من ذلك – وعارضه بتشريع آخر ، في منعه من تعدد الزوجات ، وفي الارث حسبما جاء في القرآن ، حيث سوى المرأة بالرجل في الارث ...

اما تعدد الزوجات الذى اباحه القرآن وحرمه بورقيبة فهو فيه تابع للأروبيين الذين يقتصرون على زوجة واحدة في الظاهر ، اما في غير ذلك فالعدد لايعلمه الا علام الغيوب ، فالاسلام طاهر يحب الطهر للمسلمين الصادقين في اسلامهم اما الخبائث فقد حرمها الله عليهم ، وهذه الدعاية لا تروج الا على البسطاء ، ان الاسلام نهى اتباعه عن تعدد الزوجات بمجرد الخوف من عدم العدل ، وذلك في قوله تعالى (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) (1) بهذا نطق القرآن ، ان هذه الرخصة – رخصة التعدد – قَلَّ من يعمل بها شأنها شأن الرخص ، غير ان الاروبيين ومن كان على شاكلتهم من بعض المفتونين بهم يظنون ان التعدد سيئة قبيحة في هذا العصر اساء بها الاسلام الى المرأة ، وهي حسنة من حسنات الاسلام لو كانوا يفقهون معنى العفة والتطهر ، ان المطلوب من حكومات

(1) سورة النساء الآية 3 .

الشعوب الاسلامية ان تعمل على تطبيق احكامه الطاهرة المطهرة لا على الغائها . من اجل ان بعض المسلمين لم يعملوا بوصاياه . والموضوع درسه علماء الاسلام الناصحون وكفى .

وأما الإرث . أو تسوية المرأة بالرجل فيه . فالذي يدقق النظر في أحكام الشريعة الإسلامية ويبتعد عن السطحيات وسوء القصد يعترف بأن الإسلام أعطى للمرأة في الإرث ما يفوق ما يأخذه الرجل . ذلك أن الرجل مطالب بالنفقة على زوجه وأولاده وغيرهما . وهذا بخلاف المرأة ، فإن نفقتها واجبة على زوجها . فما تأخذه المرأة توفره وتدخره لنفسها ، وما يأخذه الرجل ينفقه على من ذكرنا . فَأَيُّ الْوَارِثَيْنِ أكثر نصيبا من أخيه ؟ الرجل الذي ينفق نصيبه أم المرأة التي تدخر نصيبها ؟ لكن لا يستبعد ممن تربى في أحضان فرنسا ولم يذق للإسلام طعما أن يصدر منه هذا وأكبر منه ، ومن جهل شيئا عاداه .

3) وأما قوله : انه متيقن بأن عددا كبيرا من البلاد الإسلامية متفقة معه ، غير أنها لا تجرؤ على الإعلان بذلك ، فهذا منه بعيد عن الواقع ، وقد أظهر بهذا جرأته على إلغاء أحكام القرآن . في حين يعترف بأنه فعل شيئا خطيرا ، وذلك حين قال : – وليس من السهل القيام بشيء يخالف ويتعارض مع القرآن – وهنا ومن خلال تصريحه بأنه تعمد إلغاء أحكام القرآن ظهرت نيته السيئة نحو القرآن ، وأراد أن يثبت بأنه ليس وحده في هذا غير أن الجرأة التي يفتخر بها هو تعوز غيره ، ولهذا لم يقم – واحد – من هذه البلدان بمثل ما قام به هو .والمتتبع لتصريحات بورقيبة يرى أن هذا المخلوق معجب بنفسه كثيرا إلى حد الغرور المفرط ، وقد أداه هذا إلى احتقار غيره من الملوك والرؤساء في البلاد الإسلامية ، ويرى أن سياسته وتسيير دفة الحكومة في بلده "تونس" لا يصلح لها أحد إلا هو ، وأنه هو وحده الذي حارب الاستعمار الفرنسي ، وأنه هو الذي جاء بالاستقلال لبلده ، هل يصدق الناس أن بورقيبة هو الذي جاء بالاستقلال لتونس ؟ فهو كثير المن والامتنان على الامة التونسية بهذا، فكأنه لم يدخل تونسي واحد السجن غير بورقيبة ، وَلَمْ يُنْفَ غَيْرُهُ ، وهذا منه احتقار للأمة بأسرها ، والواقع الذي سجله التاريخ العدل بخلاف هذه الدعوى الباطلة منه ، فقد حارب الشعب التونسي في جميع الميادين سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية

الخ... وقد مات من الشعب التونسي شباب لتحرر بلادهم لا ليترأس بورقيبة وينكر فضلهم ، ولا يعترف لاحد سواه بالنضال والتضحية .

والذي يعرفه المتتبعون لحركات الشعوب التحريرية أن تونس لم تنل استقلالها الكامل إلا بعد أن قامت الثورة التحريرية في الجزائر واشتد ساعدها ، أما قبل ذلك فقد رضيت تونس – بزعامة بورقيبة – بشبه الاستقلال الداخلي ، وكلنا يعرف مدى أهمية المعاهدة التي عقدت بين فرنسا وتونس في جوان – يونيو – سنة 1955 ، تلك المعاهدة التي وُقِّعَتْ من طرف الطاهر ابن عمار عن تونس ومعه المنجي سليم ، وعن فرنسا ادقار فور وبيير جولي . وكان الطاهر بن عمار يتردد على بورقيبة في السجن ويأخذ رأيه في كل شيء ولا يوافق على بند من بنودها إلا بعد أن يوافق عليه بورقيبة أولا ، فوقعت بأمر ورضى بورقيبة تلك المعاهدة التي قيدت تونس بقيود لم تكن موجودة في معاهدة الحماية التي عقدت سنة 1881 مما أثار سخط الشعب التونسي ، وخاصة الاحرار منه الذين قالوا لا نرضى إلا بالاستقلال التام ، وخاصة بعد أن قامت الجزائر تحارب إلى جنب تونس ، ولا ننسى المعارضة التي كانت ضد بورقيبة وكيف قضى على المعارضين ليخلو له الجو وحده .

والتاريخ لا يحابي ، فإنه لولا حرب التحرير الجزائرية لما نالت تونس استقلالها ، وهذا ينكره بورقيبة ، ويعترف به الرجل الحر العظيم في كرامته وهمته المرحوم المنعم ملك المغرب محمد الخامس ، فقد صرح غير ما مرة بأن استقلال المغرب لا يعد شيئا ولا يتم إلا إذا استقلت الجزائر ، لانه يعرف أن فرنسا سترجع عما أعطته للمغرب إذا قضت على حرب التحرير الجزائرية . فالجميع يعرف أن فرنسا لم تستعمر مستعمراتها في افريقيا إلا بعد أن استولت على الجزائر ووطدت أقدامها فيها ، فهي قد أخذت كل الاقطار الافريقية لما أخذت الجزائر ، وخرجت منها بسبب حرب الجزائر لان الجزائر لا تعرف ولا تعترف بسياسة المراحل ، و(صَلِّ عَلَى مَنْ عَلَّمَكَ) . وقد أطلت في سرد هذه الحقائق التاريخية لانبه على أن هذا الرجل مفتون بحب شخصه . ويريد أن يكون قدوة في سياسته ومواقفه حتى في الامور الدينية . وقد واتاه الحظ في حرب الجزائر ، فالواجب عليه ألا يغفل عن هذا .

4) وأما فخره بإغلاق الجامعة الزيتونية – الجامعة الدينية العظيمة ذات

التاريخ المشرق ، في المغرب والمشرق – الذي عده إصلاحا ، فكل العقلاء يرون فيه عملا بعيدا عن الإصلاح ، بل هو هدم وتخريب لركن عظيم من أركان الدين الإسلامي في الشمال الافريقي .

ذلك أن هذه الجامعة قد أمدت بعض بلدان الشمال الافريقي ، وخاصة تونس في الدرجة الاولى ، والجزائر في الدرجة الثانية ، وكذلك ليبيا ، أمدتها بعلماء أفذاذ جهابذة كبار نالوا شهرة عالمية لا تنكر في الدين واللغة العربية والادب ، كالإمام ابن عرفة صاحب الحدود الفقهية وغيره ممن لا يتسع المقام لسرد أسمائهم ، وكان فضلها علينا – معشر الجزائريين – عظيما ، فالكثير من علماء الجزائر في القرن العشرين تخرجوا منها مباشرة أو بواسطة من تخرج منها ، فكيف يعد إغلاقها وتعطيلها إصلاحا ؟ وكيف ساغ له – لو كان فيه بقية من حياء – أن يقارن بين بيت من بيوت الله أعد لعبادة الله وحده تقام فيه الصلوات وتدرس فيه علوم الدين الإسلامي من فقه وتوحيد وتفسير لكلام الله وغير ذلك ، يقارن بينها وبين – دَيْرَكِلِيبِي – أين يعبد الصليب ويعصى الله فيه ، فهل من يقول هذا له عقل الإنسان ؟ ثم كيف يتهم الجامعة الزيتونية بأنها تخرج وتكون أناسا من القرون الوسطى ؟ إنما بغض الإسلام ، وكراهية الدين هما كل الاسباب في هذا وفي غيره ، وعلى الفرض والتقدير أن البعض من علمائها حاد عن السبيل السوي ، فما هو جرمها هي ؟ والواقع الذي سجله التاريخ المنصف ان رجالها هم الذين علّموا الكثيرين ممن يوجهون اليها الآن معاول الهدم والتخريب والنقد السمج البارد ، وهم الذين كان تعلمهم في المدارس الاستعمارية ، فهم نسخة من المستعمر الحقود على الإسلام والقرآن بالخصوص .

فبورقيبة أبطل التعليم الديني وغيره في الجامعة الزيتونية وصيرها كالمتحف يغشاها السواح الأجانب بكثرة ، لانهم يأتون معهم بالعملة الصعبة . فهو قد باعها بالعملة الصعبة .

كل من عرف تونس في عهدها القديم – قبل الاستقلال – رأى إلى جانب كل باب من أبواب مساجدها "لافتة" كتبت باللغات الفرنسية والانجليزية وغيرهما عليها هذه العبارة : (ممنوع الدخول إلى المسجد على غير المسلمين) أما في العهد الجديد فقد نزعت منها تلك اللافتات . وصار دخول غير

المسلمين إلى بيوت الله الطاهرة مباحا للمشركين والمجنبين وغيرهم ممن لا يجوز لهم دخول المساجد لما قلناه سابقا ، وقد زرت تونس في صيف 1966 فأحزنني ما رأيته في جامع الزيتونة من فراغ وهجر وغشيان السواح الاجانب له ، فكأن الجامع صار متحفا من المتاحف بعد أن كان تلقى فيه الدروس الدينية من علماء زينوا تونس للقاصدين ، وأشاعوا لها ذكرا حسنا في الاولين ، وفي جميع البلدان ، وكان حيثما تنقل الزائر بين عرصاته إلا ووجد أمامها شيخا جليلا يحيط به تلاميذه يسمعون اليه بانتباه ما يلقيه عليهم من الدروس ، وما بقي للإسلام ذكر في الشمال الافريقي – بعد استيلاء فرنسا عليه – إلا بفضل تلكم المساجد والمعاهد الدينية .

فالرئيس بورقيبة يفتخر بأنه أغلق الجامعة الزيتونية وأبطل عملها ، ويزيد فيقول على عمله هذا – الذي عده إصلاحا – : (لَمْ تُقَسْ أَبْعَادُهُ كَمَا يَنْبَغِي) ، ولعله كان ينتظر من أمثاله الشكر على فعله هذا والتنويه بشجاعته – النادرة – على ما أقدم عليه ، أو لعله كان ينتظر من الملك الحسن الثاني ملك المغرب أن يقتدي به فيبادر إلى إغلاق جامعة القرويين بفاس وإلى جمال عبد الناصر فيصنع صنيعه ويسارع إلى إغلاق الجامعة الازهرية بمصر ، فلم يفعلا مثل فعله لانهما أعقل من أن يرتكبا جريمة حرمان المسلمين من نور مصباحين كانا يضيئان الطريق للمسلمين قرونا طويلة . فيطغى عليهما الغرور والخرق فيفعلا فعله الشنيع . لانه قصدهما بقوله : ويوجد نفس الوضع في المغرب وفي مصر . ترى ماذا كان يقول لو أقدمت دولة الحماية – فرنسا – في عهدها على إغلاقها يوم كانت تحكم تونس . هل يشكرها على صنيعها ويعتبره إصلاحا يقيس هو أبعاده كما ينبغي ؟ أنا أعتقد – جازما – أن فرنسا لو فعلت ذلك – وهي أعقل من أن تفعله – لملأ بورقيبة الدنيا صراخا وعويلا واحتجاجا على عملها ذلك . ولعده جرما لا يغتفر – والحق إلى جانبه في ذلك – من فرنسا عدوة الله والدين . ولو فعلت فرنسا ذلك لعده أيضا انتهاكا لحرمة الدين . وخرقا لتعهداتها باحترام شعائر الإسلام وشعور المسلمين والمقدسات الإسلامية . أنا لا أحب فرنسا ولا أدافع عنها ولكنه الواقع الذي لا ينكره إلا الاغبياء . وما قلت هذا إلا للمقارنة بين عهد الحماية . وبين عهد الحرية والاستقلال . إذن فما باله فعل ذلك ؟ حقا لقد صدق القائل في قولـه :

يقضى على المرء في أيّام محْنته حتّى يرَى حسناً ما ليس بالحسن

أما قوله: **(تلك الجامعة التي تكون أناسا من القرون الوسطى)** فهو اتهام لها بأنها لا تخرج إلا الجامدين أمثال رجال القرون الوسطى ، فلهذا لا يسايرون رجال العصر الحاضر الحديث ، عصر الإلحاد والكفر والزندقة والفجور الخ ، كل هذه النعوت التي تقال — اليوم — في رجال الدين هي شنشنة عرفناها من قبل ، يتّهمُ بها رَبائبُ الاستعمار الذين رضعوا لبن أمهم فرنسا ولغتها الاعجمية — رجال الدين — وتخلقوا بأخلاقها الفاجرة الإلحادية ، فهذا الاتهام قديم ، وهذه النعوت الاستعمارية متأصلة في الكثيرين من المدرَسيّين ضد الزيتونيين ، نعرف هذا من قبل ولا نجهله ، هذه النعوت كانت تثيرها وتغذيها فرنسا — لمصلحتها — حتّى لا يتحد الزيتونيون والمدرسيون ضدها .

والتاريخ شاهد عدل ، والواقع لا ينكره عاقل منصف وهو : أن الجامعة الزيتونيّة كوّنت رجالا أبطالا كانوا في الطليعة ، لهم مواقفهم المشرفة في العلم ، والدين ، والسياسة ، والزعامة أيضا ، وكل زعماء السياسة في القديم تغذوا من الزيتونة المباركة ، كما أن خريجي الجامعة الزيتونية كانوا — دائما — في طليعة الاحداث السياسية والمظاهرات التي كان يقوم بها رجال السياسة للمطالبة بالحقوق الوطنية ، كانت أكثريتها العظمى من التلامذة الزيتونيين ، نظرا للروح الوطنية التي يتحلى بها الزيتونيون ، نتيجة ما يتلقونه من التعليم ، فيكونون في الصفوف الاولى منها ، فمظاهرة المرسى — مثلا — في عام 1922 عندما تنازل المرحوم (الناصر باي) عن كرسي العرش التونسي غضبا على فرنسا التي لم تف بوعودها ، تلك المظاهرة معروفة غير خافية عن الوطنيين التونسيين الصادقين لا المحترفين ، فقد ذهب المتظاهرون وفيهم الكثيرون من أساتذة الزيتونة وطلابها من تونس إلى المرسى — مقر سكنى الباي — مشيا على الاقدام ، والمسافة بينهما في حدود العشرين ميلا ، ومن ورائهم خيول جيش الاستعمار الفرنسي تدوسهم بسنابكها والجنود فوق متونها ، ذهبو الى (الباى) ليطلبوا منه الرجوع عن تنازله .

وكذلك المظاهرات المتعددة التي نظمت بمناسبة تنصيب وإقامة تمثال الداعية المسيحي الكاردينال "لافيجري" في أول مدخل المدينة العربية وفي النهج

المؤدي إلى جامع الزيتونة بعد باب البحر مباشرة ، وهو واقف على قاعدته وبيده كتاب الإنجيل ، وقد عد الوطنيون هذا العمل عملا موجها ضد الإسلام وبالقرب من أحد معاقله الكبيرة ، فدعوا إلى المظاهرة ، وطاف دعاتها على مدارس سكنى الطلبة الكثيرة طالبين منهم المشاركة فيها ، فلبى طلبة الزيتونة الدعوة مسرعين ، وفيهم الكثيرون من دعاتها ، وقد نالهم من عصيّ البوليس الفرنسي وسجنه الشيء الكثير ، ولم يكن من بين المتظاهرين طلبة المدرسة الصادقية ، ولا العلوية ، ولا ترشيح المعلمين ، وهي المدارس ذات التعليم المزدوج اللغتين ، كل ذلك راجع إلى الروح التي يتحلى بها الطالب الزيتوني ، وكنت — وأنا جزائري — ممن شارك في بعضها ، وأنا أعجب كيف ينسى هذا ولا يعده من نفحات أو نفحات الزيتونة المباركة ؟؟

ومنها مظاهرة وقعت في إحدى الليالي — من أجل وضع الكاردينال لافيجري على قاعدته — ابتدأت سيرها من قرب جامع الزيتونة ، وبالاحرى من مدارجه وما حولها ، وفي المقدمة الطلبة الزيتونيون ، وكان من قادتها صديقي المرحوم الشيخ العربي القروي وغيره ، وذلك سنة 1926 والمسيرة تنشد :

تُونُسي وَحسبي أنّي تُونسي   حزْبُها ٱلْحُر حزْبي حزْبها ٱلوَطنيُّ

للشاعر المرحوم محمد الشاذلي خزندار فيما أظن ، بأصوات عالية ، وذهبت إلى القصبة — مقر الحكومة التونسية — مارة بمحافظة الشرطة ، ثم فرقها البوليس الفرنسي بعد أن أسمعت صوتها لمن يهمه ذلك .

والمعروف لدى الاوساط التونسية ذات الخبرة السياسية : ان حكام فرنسا في تونس قالوا : **(كنا نظن أن جامع الزيتونة يعلم كيفية الاستنجاء والوضوء والصلاة لا غير ، فإذا بالأمر على خلاف ذلك ، فالعلة كلها خرجت لنا من جامع الزيتونة)** هذا ما قاله المقيم العام وغيره .

هذه هي الجامعة الزيتونية كما عرفتها من سنة (1341هـ — 1922م) وهذه هي آثارها في الميادين كلها سواء منها العلمي ، أو الوطني ، أو السياسي ،

فإغلاقها والافتخار به وطمس معالمها والتنقيص من قيمة أعمالها ونتائجها على هذه الصورة لا يدل على بعد النظر ، سواء للماضي أو للحاضر ، إذ معظم قادة تونس وزعمائها الصادقين كانوا يمتون إلى الزيتونة بسبب أو أسباب ، والتوفيق من الله وحده وهو الواحد القهار .

5) أما دعواه – وغيره في هذه الدعوى كثيرون – التي ادعاها فيما يخص تحرير المرأة المسلمة من القيود التي فرضتها عليها الشريعة الإسلامية في قوله: **(انكم تعلمون كيف كانت معتبرة من قبل في عهد الانحطاط ، كما أن وضعيتها التي تجعل منها كائنا منحطا كانت تعززها الاعتبارات الدينية...)** أي الاعتبارات الدينية التي عززت أسباب انحطاط المرأة المسلمة ؟؟ هل منعها من غشيان الاجتماعات العامة أين لا يوجد فيها إلا الشيطان وأعوانه وأين يوجد الخمر والفجور الخ... وذلك صونا لحرمتها وكرامتها وعرضها وشرفها ؟؟؟ أم ماذا تريد ؟؟ إن ما تدعو اليه الآن دعا اليه (مزدك) المجوسي منذ خمسة عشر قرنا قبلك ، حقا إنه بعث وتجديد للفرقة المزدكية الغابرة .

ثم هذه دعوى ادعاها هذا الرجل ، والواقع لا يقره على دعواه ، ويقول له : إن الامر عكس ما ذهبت اليه ، فقد كانت المرأة المسلمة في الماضي حرة ، سيدة في بيتها ، عزيزة ، مكرمة ، مصونة في محيطها الإسلامي ، فدعوتها أنت للسفور والخروج من محيطها العزيز ، ورميت بها وسط مجتمع لا أخلاق له ، فانغمست في حمأة الرذائل – وذلك ما يرغب فيه الشيطان وأعوانه – فانقلبت أمة كالاماء اللائي كن في العهد البائد مبتذلة ابتذال الاماء المملوكات للشهوات ، فهل بهذا تفخر ؟ وهل يعد هذا عند العقلاء تحريرا أو تغريرا واستعبادا ؟؟ الجواب يعرفه من كان له عقل راجح وضمير حي ولا يسير مع الاهواء والشهوات النفسية (ما لجرح بميت إيلام) لم تمته الشهوات – وما أكثرها – في وقت الشهوات ، هذا ما نراه الآن ، فقد صارت المرأة – آلة – حرب تحارب بواسطتها الشريعة الإسلامية ، فكل من أراد أن يتهجم على الشريعة الإسلامية رفع المرأة في يده مثل آلة الحرب واقتحم الميدان صارخا : **هذا المظلوم ، انصروه ، ردوا اليه حقوقه ، فقد ظلمته الشريعة الإسلامية انظروا اليه نظرة عطف ، ارحموه ، تعالوا إلى نصرته وإلى تحريره من قيود العبودية الخ...** والواقع أن ذلك الحماس كله للمرأة له دوافع منها الخفي ومنها الظاهر ، منها أن تمسك بالداعي

الكرسي الجالس عليه – وكان قد اغتصبه – حتى لا يزلق به فيسقط على الارض ، تلك أفكار من تعلم في غير مدارس الإسلام ، وبالتأمل يظهر أن ذلك كله **دعوة أو عودة للمزدكية**. أما الدوافع الخفية فلا تخفى على ذوي الالباب وهي دوافع الشيطان الخبيثة وما جر اليها ، فهذه الدعوة لا تخلو أن تكون دعوة شيطانية ، ذلك أن الإسلام أراد للمرأة الصيانة وأراد لها الشيطان أن تكون عونا له على إفساد دين المؤمنين عليهم ، وفعلا فقد رأى الناس كيف لعبت المرأة بعقول ضعاف الإيمان أو منكريه ، فصاروا أطوع لها من الخاتم في أصبعها تدير الرجل إلى حيث تريد .

إن فتنة المرأة للرجل معروفة غير مجهولة، ولذا حذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : **(مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ)(1)**

إن دعاة حرية المرأة – بلا حدود كما هو مشاهد – إنما قاموا بذلك لا حبا في العدل – لان العدل ضائع عندهم – وإنما لإفساد المجتمع الإسلامي النقي الطاهر ، وأعانهم على ذلك ما في أيديهم من السلطة والقوة ، فدل عملهم هذا على أنهم لا يريدون الخير والصلاح للأمة ، ولو أرادوه لسلكوا سبيله الواضح البين ، ذلك أن دعاة الاختلاط ما حملهم على ما قالوا وما فعلوا إلا سوء القصد ، وإرادة الشر بالمرأة ، واللبيب تكفيه الإشارة أما غيره فيقنعه مشاهدة الواقع الذي لا ينكره إلا معاند بليد .

إن الإسلام الطاهر لا يأمر بما يجر إلى الشر والرذيلة ، فقد رأينا الشرع الإسلامي يحمي المرأة حتى في أماكن العبادة خوفا من الفتنة التي أشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم . فصفوف المصلين في المساجد مرتبة حسب هذا المقصد الشريف ، فصفوف الرجال مقدمة على صفوف النساء لا للتفضيل كما يفهم المنحرفون بل للوقاية من الفتنة مراعاة لهذا المعنى ، اما على طريقة الشيطان فصفوف النساء في المقدمة ، فقد تجلس المرأة وأكثر بدنها عار ، وهذا عارٌ . وحتى في الطواف بالبيت العتيق يأمر الإسلام بعدم الزحام والاختلاط هناك ، فقد روى ابن الحاج في المدخل في صلاة العيدين حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **(باعِدُوا بَيْنَ أَنْفَاسِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ)**

---

(1) رواه الائمة : البخارى ومسلم واحمد والترمذى وغيرهم عن اسامة.

وذكره ابن جماعة في منسكه دليلا لقولهم : لا تدنو النساء من البيت في الطواف مخافة اختلاطهن بالرجال إن كانوا ، كل هذا حفاظا على حرمة المرأة وشرفها ، وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما في الجابية فقال فيما قال عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : **(أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ)** رواه الترمذي بسند صحيح .

تلك دعوة الإسلام إلى التطهر والتعفف ، **لا دعوة المزدكية** إلى الخبث والفساد وإفساد عضو له قيمته في المجتمع الإسلامي ، فدعوة الاختلاط والتبرج ما هي إلا تغرير بالمرأة وتحقير لشأنها .

الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة يعتدي على عظمة القرآن ومقام الرسالة المحمدية .

وأخيرا – لا آخرا – فقد طلع الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" على المسلمين بما لا قبل لهم به إلا بما صدر ويصدر من أعداء الله وأعداء الاديان ، وخصوم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، فقد تطاول إلى مقدسات المسلمين ، ونال منها بالاحتقار والتنقيص من مرتبتها – جهلا وغرورا – ورماها بما لم يقع إلا من أكبر الملحدين الكافرين أعداء الإسلام – العظيم – فكيف بذلك إذا صدر من رجل يتولى رئاسة حكومة لشعب مسلم عريق في الإسلام ، فقد أطلق لسانه في القرآن الكريم المحفوظ ممن أنزله على رسولـه الامين .

فقد خطب في جمع من المدرسين والمربين التونسيين المجتمعين بمناسبة انعقاد "الملتقى الدولي حول الثقافة الذاتية والوعي القومي" في شهر مارس – آذار – 1974 ، في تونس ، وأظهر لهم هذه المرة ما يكنه في قلبه للقرآن العظيم وللرسول محمد صلى الله عليه وسلم من احتقار واستخفاف ، دل على ما في قلبه ، والمسائل التي تعرض لها في خطابه ذلك نشرتها صحيفة "الشهاب" اللبنانية المجاهدة الصادرة في 24 ربيع الاول 1394هـ الموافق لـ 15 أفريل – نيسان – 1974م تحت عدد – الواحد والعشرين ، السنة السابعة – والشهاب نقلتها عن جريدة "الصباح" التونسية اليومية الصادرة في : 20 و21 من الشهر المذكور ، والبعض سمع منه مباشرة ، وهذه هي المسائل التي تعرض لها في خطابه ذاك ، قال الرئيس التونسي بورقيبة :

1) إن في القرآن تناقضا لم يعد يقبله العقل (!!!) بين : «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا» وَ«إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَـا بِأَنْفُسِهِـمْ» .

2) الرسول محمد (هكذا) كان إنسانا بسيطا يسافر كثيرا عبر الصحراء العربية ، ويستمع إلى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت ، وقد نقل تلك الخرافات إلى القرآن ، مثال ذلك عصا موسى ، وهذا شيء لا يقبله العقل بعد اكتشاف "باستور" ، وقصة أصحاب الكهف .

3) إن المسلمين وصلوا إلى تأليه محمد ، فهم دائما يكررون (محمد صلى الله عليه وسلم) ، الله يصلي على محمد ... وهذا تأليه لمحمد !!!

4) الفطر في نهار رمضان عمدا وبدون عذر شرعي مقبول ، إذا كان في الفطر مصلحة الدولة !!!

5) الرسول محمد أقر العرب على الشرك !!!

هذه هي أهم المسائل التي أوردها في خطابه ذاك ، وسنتعرض لها بالرد عليه فيما يخص هذه المسائل التي طرق أبوابها لان كلامه فيها خطير جدا ، ونذكر في خلال ذلك بعض الاحكام التي صدرت من العلماء على من تجرّأ على النيل من منزلة القرآن ، أو النبي صلى الله عليه وسلم ، كما نذكر بعض الفتاوى التي أفتى بها علماء الإسلام – يوم كانوا أقوياء لا تأخذهم في قول الحق لومة لائم – في أمثاله من العابثين بالكتب السماوية ، والشرائع الإلهيـــــة .

إن كل من يفكر قليلا ويعرف حقيقة هذا الرجل الذي يَتلَوَّنُ كما تَتلَوَّنُ الحرْباءُ لا يستغرب ما صدر منه ، كما يدرك أنه وجد الميدان أمامه خاليا ممن يناقضه ويناقشه ، فأخذ يسيء لا إلى التونسيين فحسب بل إلى كل المسلمين عامة في مشارق الارض ومغاربها ، وإلا فما حمله على أن يقول ما قال ، ويزيد على قوله ذاك رغبته – أوامره – إلى المعلمين والمربين التونسيين أن ينقلوا آراءه تلك !!! إلى الناشئة المتعلمة ، فما حمله على هذا إلا إرادة الشر بالناشئة المسلمة ، لينشئها – المجاهد الاكبر – نشأة الحادية مذبذبة كافرة منكرة لما كان عليه آباؤها .

إن علماء الإسلام في كل قطر من الاقطار الإسلامية مُطالبُونَ بالوقوف في وجه هذا الرجل الذي اعتدى على حرمات الإسلام ، فيردون عليه الرد المقنع على هذه المفتريات التي صدرت منه ، لانه اعتدى اعتداء علنيا وصريحا على دينهم وقرآنهم ورسولهم ، ولا يسكت عنه إلا من رضي بقوله ، أولئك هم العلماء العدول الذين حمّلوا أمانة العلم والدين ، وهم المعنيون بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **«يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»** قال القرطبي في مقدمة تفسيره : أخرجه أبو عمر وغيره ، ولا يعد موقفهم منه وردهم عليه تدخلا في شؤون غيرهم – كما هي النزعة السياسية – بل ذلك واجب ديني عليهم ، وإلا يفعلوا يكونوا من الهالكين ، ذلك أنهم لم يتدخلوا في شؤونه الخاصة به أو في تسيير حكومة شعبه كما شاء وأراد ، ولا في تبذير أموال الشعب التونسي في إنشاء قصوره وقبوره وغير ذلك ، فلا يعد هذا من ذلك القبيل ، لانه خرج عن حدوده الخاصة به ومد يده – القصيرة – إلى ما في قلوب المسلمين ، لينتزع منها ما عقدته العقيدة الإسلامية من ضروب الإيمان ، فهو قد اعتدى ، والمعتدي لا حرمة له ، خصوصا واعتداؤه كان على الدين الذي هو حق للمسلمين كلهم وخاص بهم ، وما دفعه إلى ذلك إلا الحمق والخرق والجهل .

ذكر المفسرون أنه كان في مكة امرأة حمقاء خرقاء لديها صوف كثير ، ولم تكن تحسن صنعته ، فكانت تعمل الشيء ثم يستولي عليها حمقها وخُرقها فتنقضه وتحله وتعيده صوفا كما كان ، فضرب الله بها المثل في القرآن حتى لا يفعل المسلمون مثل فعلها في نقض العهود وغيرها ، قال الله جل من قائل : **«وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً»** سورة النحل الآية 92– كما ضربت العرب بخرْقها وحُمقها المثل فقالوا : (خَرْقاءُ وَجَدَتْ صُوفاً) فهذا المثل العربي ينطبق تمام الانطباق على الرئيس التونسي لما بينهما من التشابه ، كلاهما وجد شيئا لم يحسن استعماله .

إن نيته سيئة نحو الإسلام والمسلمين ، فهو يحاول أن يشككهم في دينهم وقرآنهم ورسولهم ، لانه لا يؤمن هو بذلك ، بل لا يؤمن إلا بما قاله أمثاله ، مثل باستور ولنين اللذين استشهد بآرائهما : **«قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ»** . لهذا قدم رأيهما على القرآن وأحكام القرآن ، وهذا من

علامات الزيغ كما قال الله تعالى : «**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ، وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ**» صورة الصف ، الآية 5 ، وقال : «**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ ٱللَّهُ**» آل عمران ، الآية 7 ، وقال : «**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ، كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ**» سورة الحج ، الآيتان 3 — 4 لذلك فسأبين فساد ما ذهب اليه بورقيبة من تلك الاقوال الشنيعة والمنكرة في حق القرآن والرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

1) قال أن في القرآن تناقضا ، لم يعد يقبله العقل ، بين : «**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا**» . وَ«**إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**» .

نقول له أنه لا تناقض بين ما في الآيتين لمن تدبرهما بعقل صاف من رواسب الكفر والزندقة والنفاق ، ذلك أن الآية الاولى "51 من سورة التوبة" صرحت بأن كل ما يقع في هذا العالم من خير وشر ، وموت وحياة ، وغير هذا هو بتقدير الله وإرادته ، فالجميع تحت مشيئته وإرادته ، لان هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى : «**إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ، وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ ، وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ**» فالله يظهر لرسوله موقف المنافقين من الدين والدعوة اليه ، ومن الرسول الكريم ، وبهذا فضحهم الله وكشف أمرهم ونياتهم لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بأنهم إذا ناله الخير من فتح ونصر وغيرهما اغتموا وحزنوا لذلك الخير وساءهم ما أحرز عليه الرسول والمؤمنون ، وإن ناله غير ذلك مما لا يليق فرحوا به وقالوا قد أخذنا الحيطة لانفسنا ، فلم يصبنا ما أصاب المسلمين ، وذلك باحترازنا عن متابعته والسير معه ، فأرشده ربه بأن يقول لهم : كل ما أصابنا من فتح ونصر على الاعداء ، أو غيره مما تكرهه نفوسنا فهو من الله ، مقدر علينا منه ، فهو مولانا ولا مولى لنا غيره ، ونحن متوكلون عليه ، **والقضـاء والقدر هـو مـا يسمى بالتخطيط في نظام الحكومات الآن .**

أما الآية الاخرى وهي قوله تعالى : «**إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ**

يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ» ـ الآية 11 من سورة الرعد ـ فهي كتلك صريحة في أن مصدر كل شيء يقع فهو من الله، إنما المسببات لا تأتي إلا بعد حصول الاسباب ، فهل يحصد الناس الزرع ـ مثلا ـ بدون حرث وبذر وسقي ؟ فتلك أسباب لحصاد الزرع ، والواقع لا ينكره إلا معاند ، فللانسان سعى في تغيير حاله من ضيق إلى سعة ، ومن عسرٍ إلى يسر ، وبالعكس ، والكل مراد لله تعالى ، كما قال : «وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ ٱللَّهُ»معناه ما تشاؤونه أنتم فهو ما شاءه الله وأراده ، ولو لم يشأه لم يقع أبدا ، وكم من واحد أراد شيئا وتعاطى له الاسباب القوية لإدراكه ، وسعى له سعيا حثيثا ظن أنه يوصله إلى ما شاءه وأراده ، ومع ذلك لم ينجح في مسعاه ولم ينل مراده وخاب ، لماذا يا ترى ؟ ذلك لان الله تعالى لم يشأ وجوده ، ولو شاءه لكان ، فأين التناقض ها هنا بين معاني هاتين الآيتين ؟ إنما عدم الفهم والغرور هو الذي يدفع بالمرء إلى أن يخرج عن حدود المعقول،فهو كما قال المتنبي :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم

وكما قال المعري :

والنجم تستصغر الابصار صورته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

إن الاستخفاف والاستهزاء بالقرآن العظيم إلى هذا الحد لا يصدر ممن له ذوق سليم وعقل صحيح .

ذكر المفسر الكبير القرطبي في مقدمة تفسيره عند الكلام على تعظيم القرآن واحترامه ـ حديثا في ذلك قال : روى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ٱلْقُرْآنُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَمَنْ وَقَّرَ ٱلْقُرْآنَ فَقَدْ وَقَّرَ ٱللَّهَ وَمَنْ ٱسْتَخَفَّ بِالْقُرْآنِ فَقَدِ ٱسْتَخَفَّ بِحَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَى الخ...) اه منها ص 26 .

وأذكر هنا أحد أحكام أو فتاوى العلماء الموفقين ـ الكثيرة ـ على من لم يوقر الله واستخف بحرمته وحقه على عباده ، فقد حكموا على هذا المستخف بالردة والقتل ، والقصة التي أذكرها هنا تبين ذلك ، ذكرها الخشني صاحب

كتاب "قضاة قرطبة وعلماء افريقية"، كما ذكرها القاضي عياض في كتابه "المدارك" — وأذكرها هنا للموعظة والاعتبار — وقد وقعت هذه الواقعة في أيام حكم الامير (عبد الرحمن بن الحكم) الاموي في قرطبة، وفي ولاية القاضي (محمد بن زياد اللخمي) وملخصها: أنه كان ابن أخي "عَجَبٍ" حَظِيَّةِ الامير — الحكم — والد عبد الرحمن — المذكور — نطق بكلمة متعبثا بها في يوم غيث خفيف، فقال: (بَدَأَ الخَرَّازُ يَرُشُّ جُلُودَهُ) فبلغ هذا القول إلى الامير (عبد الرحمن) فأمر بحبسه، فطلبت عمة هذا العابث "عجب" من الامير إطلاقه من سجنه، لانها كانت "حظية" أبيه الحكم، وبهذا كانت مدلّة عليه، لمكانها من أبيه، فقال لها: (نكشف أهل العلم عما يجب في لفظه، ثم يكون الفصل في أمره) فأمر — الاميرُ — مُحمّدَ بن السليم الحاجب أن يُحضرَ القاضي (محمد بن زياد اللخمي) وفقهاء البلد، فجمعهم في مجلس النشمة، وحضر من الفقهاء عبد الملك ابن حبيب، وأصبغ بن خليل، وعبد الاعلى بن وهب، وأبو زيد بن إبراهيم، وابان بن عيسى بن دينار، فشاورهم الحاجب في أمره، وأخبرهم بما كان من لفظه، فتوقف عن الإشارة بسفك دمه: القاضي محمد بن زياد، وأبو زيد، وعبد الاعلى، وأبان، وأشار بقتله: عبد الملك بن حبيب، وأصبغ بن خليل، فأمرهم الحاجب محمد بن السليم أن يَنُصُّوا فتياهم على وجهها في صك ليرفعها إلى الامير، ففعلوا، فلما تصفح الامير قولهم استحسن قول عبد الملك بن حبيب، وأصبغ بن خليل ورأى ما رأيا من قتله، وأمرَ حسّانَ الفتى فخرج إليهم، فقال لمحمد بن السليم: قد فهم الامير ما أفتى به القوم في أمر هذا الفاسق، وهو يقول للقاضي: اذهب فقد عزلناك، ثم بين الاميرُ عيوبَ الفقهاء الآخرين، ثم قال حسان الفتى — فتى الامير — لصاحب المدينة: الامير يأمرك أن تخرج الساعة مع هذين الشيخين: عبد الملك بن حبيب، وأصبغ بن خليل، فتأمر لهما بأربعين غلاما — من الغلمان — ينفذون لهما في هذا الفاسق ما رأياه. فخرج عبد الملك وهو يقول: (سُبَّ رَبٌّ عَبَدْنَاهُ إنْ لَمْ نَنتَصِرْ لَهُ إِنَّا لَعِبيدُ سُوء) ثم أخرج المحبوس فوقفا حتى رفع في خشبته، وهو يقول لعبد الملك: (أبا مروان اتق الله في دمي فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) وعبد الملك يقول له: (الآنَ وَقدْ عَصَيتَ قَبْلُ) حتى صلب وانصرفا اه من كتاب "قضاة قرطبة" ص 90—91، و"تاريخ قضاة الاندلس"

ص 55–56 ، و"المدارك" للقاضي عياض ج 3 ص 39–40 بألفاظ متقاربة .
هذا هو حكم العلماء الصادقين في حق من استخف بالله ، وكذلك من استخف بكلامه ، وعبد الملك بن حبيب من كبار علماء المالكية ، تفقه بالاندلس وسمع بها ، ثم رحل فلقي أصحاب مالك ، وقيل إنه أدرك مالكا في آخر حياته ، روى عن عبد الملك بن الماجشون ، ومطرف ، وأصبغ بن الفرج وغيرهم ، أما أصبغ بن خليل فهو من علماء قرطبة سمع من يحيى ابن يحيى ، وأصبغ بن الفرج ، وسحنون بن سعيد وغيرهم . وقد رأينا كيف كان الامير إلى جانب العلماء في الحفاظ على حق الله ، فكيف الحال إذا كان الامير هو المعتدي ، (من يعلق الجرس على القط) :

إذا كان رب الدار للطبل ضاربا   فلا تلم الصبيان في حالة الرقص

2) أما قول فخامة الرئيس : (الرسول محمد كان إنسانا بسيطا الخ) ، فاسمعوا وعوا – يا مسلمون – ما قاله هذا الرجل في رسولكم محمد صلى الله عليه وسلم ، ذي العقل الراجح الذي لو وزنت عقول جميع الناس لكان عقله أرجحها ، فقد اختاره الله لحمل الرسالة الخالدة ، والله يقول : **«ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ»** الآية 124 من سورة الانعام،وقال : **«إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا»** الآية 57 من سورة الاحزاب .

فهو هنا قد احتقر الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم ، ووسمه بالبساطة ، فهو لم يقصد البساطة في المعيشة ، أو في اللباس ، أو غير ذلك من المظاهر الخارجية للرسول ، إنما أراد بساطة عقله الكبير ، ليعلو هو عليه ، لانه اتهمه بنقل الخرافات العربية إلى القرآن، تلك الخرافات التي كان تلقاها من العرب البسطاء أمثاله ، والتي كانت سائدة في ذلك الوقت ، مثل عصا موسى وأصحاب الكهف .

فهو يرمي الرسول – من غير حياء – محمدا – الصادق المصدوق – بالتزوير والكذب عن الناس – نعوذ بالله من ذلك – حيث أدخل في القرآن ما ليس منه ، ومتى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسافر كثيرا عبر الصحراء ، كما قال ؟ فهو لا يسافر إلا من أجل نشر العقيدة الإسلامية ،

فالرجل جاهل بالسيرة النبوية ، وتلك الكلمات التي قالها تلقفها من بعض الافواه المتزلفة عنده ، أما سفر الرسول قبل الرسالة فقليل .

إن القرآن كلام الله — لا كلام محمد ولا كلام غيره — الله أنزله عليه ، والله تولى حفظه وصونه من التحريف والتزييف والزيادة والنقصان ، وهذا قول الله فيه: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» الآية 9 من سورة الحجر ، وقوله أيضا : «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42) مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ، إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (43)» من سورة فصلت، فهذه الآيات الثلاث جاءت بعد قوله : «إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا» الآيـــة 40 .

إن الكتب السماوية السابقة النزول على القرآن ، قد أوكل الله حفظها إلى علماء الامة في ذلك الزمان ، كالتوراة والإنجيل ، فلم يحفظوها من التحريف والزيادة والنقصان ، ولهذا عاتبهم ربهم بقوله : «بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ» الآية 44 من سورة المائدة ، فالله جعل التوراة والإنجيل عندهم وديعة وطلب منهم حفظهما والعمل بهما ، فضيعوهما وحرفوهما ، أما القرآن فقد تولى الله جل جلاله حفظه من التحريف والتزييف ، ومن كل تغيير .

وكم حاول أعداء القرآن وخصوم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبدلوا منه حرفا واحدا فلم يفلحوا ، وباءت جميع محاولاتهم بالفشل والخيبة ، مثل ذلك اليهودي الذي عرض عليه الخليفة العباسي المامون بن هارون الرشيد الإسلام لما رأى فيه من الاستعداد للإيمان فتمسك بدينه وأبى وامتنع أولا ، ثم أسلم بعد الامتحان .

روى البيهقي بسنده إلى يحيى بن أكثم قال : دخل يهودي على المأمون — في يوم يجتمع فيه للنظر — والمأمون إذ ذاك أمير — فتكلم فأحسن الكلام والعبارة ، فدعاه المأمون إلى الإسلام فأبى ، ثم بعد سنة جاء مسلما فتكلم في الفقه فأحسن الكلام، فسأله المامون ما سبب إسلامه ؟ فقال: انصرفت من عندك فامتحنت هذه الاديان ، فعمدت إلى التوراة ، فكتبت ثلاث نسخ ، فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها "البيعة" — معبد اليهود والنصارى —

فاشتُريتْ مني ، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ ، فزدت ونقصت ، وأدخلتها البيعة فاشتريت مني ، وعمدت إلى القرآن فكتبت ثلاث نسخ ، فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها إلى الوراقين فتصفحوها فوجدوا فيها الزيادة والنقصان فرموا بها فلم يشتروها ، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ ، فكان هذا سبب إسلامي) والقصة معروفة ومذكورة في عدة كتب منها تفسير القرطبي عند تفسيره لهذه الآية : «**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**» .

وفي كتاب "تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه" للسيد محمد طاهر الكردي ، قال يحيى بن أكثم : فحججت تلك السنة ، فلقيت سفيان ابن عيينة ، فذكرت له الخبر ، فقال مصداق هذا في كتاب الله عز وجل ، قال قلت : في أي موضع ؟ قال : في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل : «**بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ ٱللَّهِ**» فجعل حفظه اليهم فضاع ، وقال عز وجل : «**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**» . فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضع اه من تفسير القرطبي ج 10 ص 6 . ومثل ذلك ـ أيضا ـ قوله تعالى: «**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ**» قال قتادة : يعلمون أنه كلام الرحمن ، فالقرآن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الباقية والخالدة ، أيده الله بها ، فهي كسائر معجزات الرسل ، وتزيد عليها بالبقاء والخلود حتى قيام الساعة .

أبعد هذا الحفظ من الله للقرآن ، والامتحان من الناس له يدعي دعي بما لم يكن ، ولن يكون أبدا ؟؟؟؟

إن من مزايا القرآن على غيره من الكتب السماوية انه محفوظ في صدور المسلمين ، ولم تكن التوراة ولا الانجيل محفوظة في صدور اليهود والنصارى إلى اليوم ، ولا يقرأونها إلا نظرا ، قال الله تعالى مصداقا لذلك : «وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ(48) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ، وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا ٱلظَّالِمُونَ (49)» من سورة العنكبوت .

أما عصا موسى التي لم يقبل عقله "النيّر" وجودها وحسبها ـ خرافة ـ فهي معجزة أيد الله بها رسوله موسى عليه السلام كباقي المعجزات التي أيد الله بها رسله الكرام ، وكانت من نوع ما كان متعارفا في ذلك الزمن

من السحر والشعوذة ، فجاء موسى بالعصا فأبطلت سحرهم وشعوذتهم حتى قيل في ذلك :

إذا جاء مُوسى وَألقى العصـــا   فقـــدْ بطلَ آلسّحرُ وَآلساحرُ

ومن السذاجة في التفكير بل والبلاهة أن تقاس معجزات الرسل — أو تنكر وتكفر — بآراء البشر واكتشافاتهم — كيفما كانوا — كما ادعى هذا المدعي ، إذ قدم رأي "باستور" العالم الفرنسي على قول الله خالق باستور الذي ركب فيه العقل والإدراك،ورحم الله محي الدين بنعربي في قوله الحكيم :

وَمنْ لم يكُنْ يستنشقُ الريحَ لم يكُن   يرَى الفضْل للمسك الفتيق على الزبل

فباستور لم يرد معارضة الخالق في خلقه ، لهذا فلا يجوز الاستهزاء والسخرية بالرسل ولا بالمعجزات التي خصهم الله بها تصديقا لهم ، وهي الامور الخارقة للعادة ، ومنكرها كافر بالله ، ومن أجل هذه العقيدة في المسلمين أنكر الخليفة العباسي هارون الرشيد على أبي نواس الشاعر المعروف قــولــه :

فإن يكُ باقي سحر فرْعوْنَ فيكم   فإن عصًا موسى بكف خصيب

وقال له : يا ابن اللخناء أنت المستخف بعصا موسى نبي الله حين تقول : فإن يك الخ وأمر بإخراجه من معسكره من ليلته .

أما قصة أصحاب الكهف التي أنكرها فخامة الرئيس الجليل فإن فيها العبرة البالغة لذوي العقول النيرة ، فإن من فر وهرب بدينه وعقيدته إلى الله حماه الله ، خصوصا وقوم زمانهم أنكروا البعث والحياة بعد الموت ، فأراهم الله — وهو القادر على كل شيء — قدرته الباهرة فيهم . في إحيائهم وإماتتهم ، فالاعتراض على هذا قدح في قدرة الله تعالى على كل شيء ، وبالاحرى في ذلك نسبة العجز إلى الله تعالى ، وهذا وحده كاف في الحكم على قائله بالردة والكفر وما يتبع ذلك من أحكام .

3) قال المجاهد الاكبر : إن المسلمين وصلوا إلى تأليه الرسول محمد ، فهم دائما يكررون : «محمد صلى الله عليه وسلم» الخ... وهذا تأليه لمحمد...

ويعلم الله أني حين قرأت هذه الجملة قلت في نفسي : إن المجاهد

الاكبر – أصابه الخرَفُ – فلم يعد يصلح لاي شيء وما بقي إلا أن يحجر عليه ، فلم تبق فيه صلاحية للتصرف في شؤونه الخاصة ، فضلا عن شؤون شعب كامل مسلم ، إن بقي في مكانه فهو سائر به إلى الكفر والنفاق ، كما سار به إلى الإفلاس الخلقي وما في كلمة الإفلاس من معان ، إذ هو قابض على الشعب التونسي بيد من حديد بواسطة من باعوا ضمائرهم وعقولهم لرجل ، هذه آثار تصرفاته ، فلا يترك الواحد منهم يناقشه في أبسط الامور ، فضلا عن عظائمها ، فدل بهذا على جهله بسيرة أفضل الخلق أخلاقا ، وفيه نزل القرآن تزكية لأخلاقه الحميدة في قوله : «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» وهنا يظهر الفرق بين من يزكيه الخالق العالم بالسرائر وبين من يزكيه الشيطان .

فهو قدفهم من إكثار المسلمين من الصلاة عليه امتثالا لامر مولاهم أنهم ألهوه وجعلوه إلها يعبدونه – والإله هو المعبود – فمن أين جاءه هذا الفهم الجديد ؟ وما الصلاة عليه إلا من باب التعظيم والاحترام والادب لرسول أحبه الله واختاره للرسالة العامة الدائمة إلى قيام الساعة ، وأيضا فإن الخالق قد صلى عليه تعظيما لقدره العالي عنده ، وأمر ملائكته بالصلاة عليه ، كما أمر أمته المسلمة بالصلاة عليه ، وذلك هو قوله تعالى في سورة الاحزاب : «إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيءِ ، يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً» الآية 56 منها . فصلاة الله تعالى ثناء عليه عند الملائكة ليعظموه ، وصلاة الملائكة دعاء له ، وقيل غير هذا . وهل صلاة الله وملائكته على عباده المؤمنين عبادة لهم ؟ وذلك في قوله تعالى . « «هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ ، وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً» الآية 43 من سورة الاحزاب هذا لا يقوله عاقل ، فصلاة الله على عباده المؤمنين ذكره لهم ، فالواجب عليهم أن يذكروه ولاينسوه ، كما في قوله تعالى . «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ» فذكر العبد لله عبادة ، ودليل على أن العبد قلبه معلق بربه ، وذكر الله لعباده تكريم لهم وتذكير حتى لا ينسوه ، كما قال : «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا ٱللَّهَ ، فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ، أُولَئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ» الآية 19 من سورة الحشر . فهل قال محمد صلى الله عليه وسلم لامته اعبدوني ؟ بل قال لاتباعه : (لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ ٱلنَّصَارَى ٱبْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ ٱللَّهِ وَرَسُولُهُ) أخرجه البخاري عن عمر ،

هذا قوله لأتباعه ، لا كما قلت أنت للتونسيين : عظموني ـ كما في الامسيات الشّعريّة ـ ومن لم يفعل صار مغضوبا عليه ، مثل : المجاهد الاكبر ، ـ ولا جهاد ولا مجاهد ـ وسيد الاسياد ؟ وغير هذا من الالقاب الفارغة الخالية من المعاني والتي مل الناس سماعها ، ومن لم يقل ويفعل ناله من التوبيخ ما ينال المجرمين ، فالرجل مصاب بداء (الغيرة) التي تكون في النساء ـ عادة ـ فقد تتبعنا حياته ومواقفه من الاحرار والزعماء الصادقين فوجدناه سار في هذا الطريق ـ الغيرة ـ إلى أبعد غاية ، فهو يعمل ـ دائما ـ على إبعادهم من كل ميدان ، حتى لا يزاحموه ، ولم ننس مواقفه ... مع الزعيم الإسلامي الخالد المرحوم الشيخ عبد العزيز الثعالبي ـ رحمه الله ـ حين رجوعه من منفاه في صيف 1937 وكيف عمل على إبعاده من الميدان السياسي بأساليب المراوغة والتزوير ، والشيخ الثعالبي ذلكم الرجل العظيم هو الذي أنشأ حزب الدستور التونسي سنة 1922 ، ثم نفته فرنسا فطاف جميع بلدان الشرق الإسلامي ، ولم يرفع عنه حجر العودة إلى مسقط رأسه إلا في سنة 1937م ، فلما عاد وجد بورقيبة عمل على تقسيم الحزب إلى قسمين ، القديم والجديد ، فاستقل بالجديد وتزعم حركته واستعملها لنفسه ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وهل نسينا كذلك الزعيم المحبوب في أمته (صالح بن يوسف) وكيف تم القضاء عليه للاستراحة منه .

فإذا كان هذا هو مرضه ـ وهو الواقع ـ علمنا سبب غيرته من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، لان المسلمين لا يذكرونه إلا بالتعظيم والاحترام ، وعنوان ذلك الصلاة والسلام عليه ، وإذا لم تكن الغيرة هي الدافعة له على ما قال فما له ولمقام الرسالة المحمدية الذي لا مطمع فيه لبشر كائنا من كان ، فهو هبة من الله لا من العباد ؟

نعوذ بالله من هذا التعدي والجهل بحقيقة الرسالة والرسل .

ومن افتتانه بحب شَخصه أن فرض على الامة التونسية أن تحتفل بذكرى ميلاده كل سنة يوم 3 أوت ، وتعطل فيه الاعمال الإدارية والتعليم وغير ذلك ، (ذكرى ميلاد فخامة الرئيس) كما هو مطبوع في اليوميات ، يوم واحد كذكرى مولد صاحب الرسالة العامة صلى الله عليه وسلم ، كما رأيناه فرض على أمته أن لا تنسى (الاجحارَ) التي أدخل اليها أيام النضال

التونسي السياسي ، فقد صيّر تلك (الجُحرّانَ) مزارات تزار في الاعياد الوطنية والمناسبات كما تزار مقامات وأضرحة الاولياء ومقامات العظماء ، وحجزها لتبقى – كديار الآثار – دليلا على أن الزعيم الجليل قد أدخله المستعمر الغاشم إلى هذه (الزنزانة) أو إلى هذا البرج ، أو إلى هذا السجن أو إلى هذا المعتقل الخ... هذا له فقط لا يشاركه فيه أحد ، كأن أفراد الشعب التونسي لم يسجن أي واحد منهم ، أو لم ينف غيره ، فهو وحده المناضل والمحرر للأمة التونسية من ربقة الاستعمار الفرنسي ، وهل سمعتم أن فردا واحدا حرر أمة من عدوها ؟ وهل سمعتم بأن أحد القادة أو الزعماء هيّأ في حياته تمثاله الذي سينصب له على قاعدته إذا مات ؟ وذهب إلى إيطاليا ووقف على صنعه بنفسه ؟ وهل سمعتم بمن أوجد قصرا ليكون له قبرا إذا مات وأنفق عليه من المال ما لا يعلمه إلا علام الغيوب ؟ وكان محلى بكل أنواع الزينة والتحلية ، ولعله يموت في البحر فيبتلعه الحوت ، أو لعل التونسيين إذا مات أحرقوه بالنار ليتخلصوا من هيكاله ، والمعروف عند جميع الامم أن مثل هذا يترك للأمة ، فهي التي تكرم قادتها بعد موتهم بما تراه لائقا بأعمالهم التي قدموها لها في حياتهم النضالية .

هذا قليل من كثير مما يقوم به فخامة المجاهد الاكبر أطال الله حياته الغالية .

ولا زلنا نذكر موقفه من خطباء الجمعة ، فقد مر عليه وقت يخطب فيه كل يوم خميس خطبة سياسية ويفرض على خطباء المساجد أن يأخذوا موضوع خطبهم من خطبته ، أي عاقل يفعل هذا ويضيّق على الخطباء ميدانهم الفسيح ؟ ويحجر على عقولهم هذا التحجير ؟

4) وتكلم عن فطر الرسول صلى الله عليه وسلم وفطر أصحابه في نهار رمضان لما قربوا من مكة في غزوة الفتح، فإنه صلى الله عليه وسلم كان في عبادة عظيمة وشاقة وهي – الجهاد – في سبيل الله ، ولهذا أمر أصحابه بالفطر ليتقووا به على الصمود أمام الاعداء المشركين ، فالرئيس الجليل قد اكتشف شيئا كان المشائخ لا يذكرونه في أحاديثهم وهو موجود في السيرة ، فهو أراد من هذا أن يبرر انتهاكه لحرمة شهر رمضان ، حيث أفطر أمام جمع من الصحافيين الاجانب عن الإسلام، وأوجب على التونسيين أن يفطروا – مثله – وأمر المقاهي أن تفتح أبوابها وإلا عوقب أصحابها ؛ كل ذلك ليتقووا بالفطر على كثرة الإنتاج ! ! ! كي يلتحق ركبه – المتخلف –

بركب الاغنياء كأمريكا – مثلا – فإذا صنع الحذاء حذاء أو بلغة ، أو بنى البناء بيتا أو غيرهما فإن ميزانية الدولة ترتفع ودخلها يزداد إلى أن يصل إلى مراتب الدول العظمى ، التي تعد ميزانيتها آلاف الآلاف من الدولارات ، على حساب الإسلام والصيام .

وهنا قال الزعيم في الرسول : (وبذلك قدم مصلحة الدولة على العبادات..) وكما قلنا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في عبادة الجهاد الشاقة ، فهو لم يخرج من عبادة الصيام إلا للدخول في عبادة الجهاد لا إلى الزيادة في صندوق الدولة – هكذا – كما فهم هذا المجتهد العصري الحاذق .

وقال : إنه لما كان قاصدا مكة لفتحها أدركهم شهر رمضان الخ والواقع أنه خرج من المدينة في شهر رمضان لا أنه أدركه شهر رمضان في الطريق ، إذ كان خروجه منها لعشر مضين منه ، فكيف يقول إنه أدركهم رمضان في الطـــريـــق .

إن تكلم المرء بشيء لا يعرفه قد يجعله يفضح نفسه بنفسه ، فقد تكلم المجاهد الاكبر بكلام أراد أن يعير به الرسول صلى الله عليه وسلم وينسبه إلى الجهل بالحياة ووسائل الانتصار على العدو ، وكأنه يرمي بهذا إلى أن يفضل فخامته على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانه لا يصلح إلا للدين ونشره ، فقد ذكر نزوله بالجيش في مكان غير لائق بالنزول فيه في غزوة بدر ، ولما أشار عليه أصحابه بالارتحال عنه – كما هو معلوم – قال لهم الرسول حسب قول بورقيبة – : (أنتُمْ أدرَى بأمُور دنياكُمْ) والصواب غير ما ذكر ، فهو لم يقل لهم هذه الكلمة ، إنما أخذ برأي من أشار عليه في موضع النزول ، وانتقل منه إلى مكان آخر لائق بالنصر والغلبة والحرب ، فبورقيبة يريد أن يظهر الرسول بمظهر الجاهل بأساليب الحرب والنصر ، والواقع أن الرسول صلى الله عليه وسلم دل بهذا على أنه على جانب عظيم من لين الجانب والاخلاق العالية والنزول عند رأي أصحابه إذا بانت له فيه المصلحة ، فهو كما قال الله فيه : «وَلَوْ كُنتَ فظّاً غليظَ ٱلقلب لانفضّوا منْ حوْلكَ» وهل يقبل بورقيبة من أي كان أن يرد عليه أمرا رآه لائقا ؟ فالمعروف عنه أنه لا يقبل من أي كان أن يعارضه ولو فيما فيـــه مصلحـــة الامـــة .

إن المشير عليه بعدم صلاحية مكان النزول بذلك الموضع إنما هو (الحباب ابن المنذر فقط) ولما علم الرسول صدقه استحسن رأيه وقال له : **(لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ)** ولم يتمسك برأيه صلى الله عليه وسلم . أما قول بورقيبة : ان الرسول قال لهم : (أنتُمْ أدرَى بأمُور دنياكُمْ) **فهذه العبارة** لم تخرج من فم الرسول ، إنما الجهل بالسيرة النبوية يرمي بصاحبه من شاهق ، فالرسول صلى الله عليه وسلم إنما قال : **(أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)** كما جاء في حديث عائشة عند مسلم ، لكن في مناسبة أخرى غير غزوة بدر كما قال الزعيم ، فهي في تأبير النخل — تلقيحه — فإنه حين قدم إلى المدينة — مهاجرا — وجد أهلها يلقحون النخل ، فقال لهم : لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا ، وفي رواية لصلح ، فتركوا التلقيح فلم يصلح التمر وخرج — شيصا — فلما رآه غير صالح سألهم عن سببه ، فقالوا له : كنا نلقحه وقلت لنا ما قلت فتركنا التلقيح فخرج كما ترى ، عند ذلك أقرهم على عملهم الاول وقال لهم : **(أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)** ، هذا هو الصواب يا بورقيبة .

إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

قال لهم ذلك ليبرهن لهم على بشريته ، كما قال لاصحابه مرة أخرى : **(إنّما أنا بشرٌ ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ)** أخرجه مسلم عن رافع بن خديج لنفس الغرض .

5) ثم اتهم بورقيبة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم بأنه أقر أصحابه على الشرك — عياذا بالله — فقال : (وحتى يوحد الرسول كلمة العرب ولا ينفرهم من دعوته اضطر إلى قبول كثير من طقوسهم التي لا تختلف في الحقيقة كثيرا عن عبادة الاصنام ، مثل التمسح بالحجر الاسود ورجم الشيطان) .

هل يقول مثل هذا القول رجل له مسكة من عقل يتدبر بها فيما يقول ، فيتهم الرسول الذي جاء بالتوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى يتهمه بأنه أقر أصحابه على الشرك ، — كما يفعل رجال السياسة في سبيل مصلحتهم — من أجل تقبيل الحجر الاسود — لا التمسح به — أو رجم الشيطان — كما قال — ان الرسول ربى أصحابه على التوحيد لا الشرك ، ألم يبلغك قول عمر بن

الخطاب رضي الله عنه عندما جاء لتقبيل الحجر الاسود : (إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ) أخرجه البخاري ومسلم ، وهذا من بورقيبة احتقار واستخفاف – كعادته – بالحجر الاسود ، فظنه حجرا كسائر الاحجار التي كانت تعظم وتعبد في الجاهلية من دون الله .

إن الحجر الاسود وردت في فضله أحاديث متعددة الطرق والاسانيد يقوي بعضها بعضا وتثبت أنه من أحجار الجنة – لمن يؤمن بها – منها الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، وابن عدي ، والبيهقي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو : (ٱلْحَجَرُ ٱلْأَسْوَدُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ ، وَكَانَ أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ ٱلثَّلْجِ ، حَتَّى سَوَّدَتْهُ خَطَايَا أَهْلِ ٱلشِّرْكِ) ، والحكمة في رؤيته أو تقبيله أو لمسه أنه يذكر بالجنة ويشوق اليها وإلى نعيمها وما فيها ، لا أن ذلك عبادة له ، كما هو أيضا من بقايا البيت الذي بناه إبراهيم إمام الموحدين ، إذ لم يبق منه غيره ، وأنبه إلى شيء فطري في الإنسان لا يستطيع نكرانه أحد ، ذلك أنه لو فرضنا أن شخصا تغيب عن بلده مدة طويلة فاشتاق إلى رؤية أهله وأبناء عشيرته ، فإنه إذا رآى – والحال هذه – إنسانا قدم من بلده فإن نفسه تحن إلى رؤية هذا الوافد من بلده كي يسأله عن أبناء العشيرة والاقارب ، هذا مثل فقط . ذلك أن الحجر الاسود ورؤيته تذكر بالجنة وما فيها ، فهو حقيقة يبعث في الإنسان حب الجنة ، وهي لا تنال إلا بالاعمال الصالحة ، فيكون ما ذكر سببا في الاكثار من الطاعات لله – لا للشيطان – وهو المطلوب من المسلم ، والله يفضل بعض الاشياء على بعض ، كتفضيل المساجد على غيرها من بقاع الارض .

أما رجم الشيطان الذي ذكره الرئيس الجليل بورقيبة وحسبه من الشرك الذي أقر الرسول عليه أمته ، ففهمه هذا دليل على خلو قلبه من الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو شرع الله ، – فلا شيطان الآن هناك حتى يرجم – والشيطان معنا في كل وقت ليفتننا ، إن الرجم بحصيات الواحدة منها مثل الفولة – وهو المعروف برمي الجمار – يذكر المسلم بأن لا ينسى الشيطان ووساوسه ونزغاته ، فإنه عدوه الذي حذره منه خالقه ، فعليه أن يحتاط لنفسه منه ، وأن يأخذ حذره منه ما استطاع .

هذه المعاني – وغيرها كثير – هي التي تمر بخاطر الحاج في تلك الامكنة

المطهرة من الشرك والخرافات ، فكيف فهم بورقيبة أنها تدخل الشرك ؟ ولله في خلقه شؤون .

هذا أهم ما جاء في خطاب الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة ، ذلك الخطاب الذي لم يتورع فيه عن جرح شعور المسلمين نحو الله والرسول والقرآن ، وأظهر لهم ما تكنه نفسه للدين الإسلامي وللقرآن وللرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أساء للمسلمين إساءة كبرى لا تصدر إلا من خصوم الإسلام والقرآن والرسول ، والمرء إنما يؤاخذ على أقواله وأفعاله فهي المعتبرة ، لذلك فإن الإسلام الذي أساء إلى أتباعه إنما يحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر ، وإني أرى – بناء على ما صدر منه – أن أقواله تلك التي صدرت منه باختياره وإرادته : أنه خارج من الإسلام – إن كان مسلما – مرتد عن الشريعة الإسلامية ، فيحكم عليه بالردة والكفر بالله ، وبالقرآن ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبالإسلام ، لا شك في هذا بناء على ما صرح به وما أفتى به العلماء في حق من تجرأ على مقام الربوبية أو الرسالة أو الدين أو القرآن ، كما علمنا من فتوى علماء قرطبة وغيرهم ، وقد ذكر العلماء في فتاويهم : أن من شتم محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل ، من ذلك ما ذكره الشيخ عيسى بن مسعود الزواوي في ترجمته للإمام مالك ابن أنس رضي الله عنه المطبوعة مع ترجمة السيوطي للإمام مالك أيضا في أول المدونة ص 36 ما نصه : (قال – يريد مالكا – رضي الله عنه : من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قُتلَ ، ومن شتم أصحابه أدبَ) هذا حكم الإمام مالك رضي الله عنه ، فبورقيبة لم يشتم الرسول فقط ، بل رماه بالكذب والتزوير والزيادة في القرآن مما يسمع من العرب من الخرافات ، فهل يشك الآن شاك في كفره ونفاقه ومروقه من الإسلام ؟؟

وجاء في فتاوى الشيخ عليش – المالكي – المصري قوله في سؤال وجه إليه : ما قولكم في من سب عزرائيل عليه السلام ، ولم يعلم وجوب حرمته ، فهل يعذر بجهله أم لا ؟ فأجاب بقوله : (لا يعذر بجهله ، ويقتل ولو تاب ، قال في المجموع : وإن عاب ملكا أو نبيا ولو في بدنه قتل ولو جاء تائبا) ج 2 ص 357 .

إن العلماء هم حراس هذا الدين ، فمنذ تركوا حراسته وتخلوا عن مراكزهم في الحراسة – إلا من قل منهم – تسرب إلى حماه الطاهر كل

دعي زنديق ، فمد لسانه ويده إلى جوهر حياة المسلم ، وهو الإسلام ونال منه ، ذلك أن العلماء مسؤولون – أمام الله – عن ضياع ما بقي من الإسلام ، وعندما تركوا الذب عنه تطاولت إلى حماه الثعالب وأكثرت – من الضّباح – وهم ساكتون – وخصوم الإسلام غير ساكتين – لاهون بغيره ، وقد شرفهم الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال في العاملين المخلصين منهم ، وهم العدول المدافعون عن الدين الحق في قوله : **(يَحْمِلُ هَذَا ٱلْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ الخ...)** .إن الامة الإسلامية تنتظر أقوال علمائها المخلصين في هذا الرجل الذي تجرأ هذه الجرأة الغريبة وتطاول إلى ما يعظمه المسلمون ، فقال فيه ما قال . فأقواله وأفعاله وحدها كافية في الحكم عليه بالمروق من الإسلام ، فإذا مات فإنه لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين – إذ له قبره الخاص به – لانه نافق والنبي صلى الله عليه وسلم نهاه الله عن الصلاة على المنافقين في قوله : **«وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ»** سورة التوبة الآية 84 . على العلماء أن يقولوا له : (إن بني عمك فيهم رماح) .

والملاحظ هنا أن رؤساء الدول الإسلامية في هذا الوقت أَوْلَوْا عناية خاصة بأشخاصهم فسنّوا لها ولحمايتها القوانين الزاجرة والاحكام القاسية ، أعدوها لكل من يتكلم في شخص رئيس الدولة أو الحكومة ، من غير أن يذكروا في قوانينهم ما ينال رئيس الدولة أو الحكومة إذا خرج هو عن الطريق المستقيم ، كل ذلك ليرفعوا مكانتهم عن أن تنالهم الاحكام أو العقوبات التي تنال غيرهم ، فقدسوا أنفسهم تقديسا كبيرا لم يعطوا منه شيئا للرسل والخالق والاديان ، إن حكم الله – لا حكم البشر – ينال كل من اعتدى وخرج عن طريق الحق والصواب ، وحق الله على العلماء مقدم على حق رؤسائهم عليهم .

فهو واحد من رجلين ، اما أن يكون أصابه "الخرَفُ" وهو فساد العقل من كبر السن ، فأصيب في عقله ، والعقل أفضل ما في الإنسان ، وهنا لم يعد صالحا لإدارة دفة الحكومة ، فالواجب على شعبه إبعاده عنها ، واما أن يكون سليم العقل كامل الإدراك ، وهنا يتحمل ما قال فتلقى عليه تبعات أقواله ، فالحكم هنا للدين الذي يمثله العلماء . اما أن يبقى هكذا

يعبث بالمقدسات الإسلامية فلا ، وإذا بقي يتصرف كما كان ، فإن الواجب على الحكومات الإسلامية التي تغار على الدين والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم – الواجب – عليها – دينا – أن تقطع كل صلة لها مع حكومة يرأسها هذا الرجل ، لتريه غضبها على ما ارتكبه من جرائم ضد الدين والمقدسات الإسلامية ، وان أية دولة لم تفعل هذا تعد راضية بأقواله وأفعاله مقرة له عليها ، والتوفيق من الله العلي الكبير .

وإني أختم هذه الكلمة بحديث نبوي شريف أخرجه الترمذي ، والحاكم ، والبيهقي ، عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(بِئْسَ ٱلْعَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَٱخْتَالَ وَنَسِيَ ٱلْكَبِيرَ ٱلْمُتَعَالِ ، بِئْسَ ٱلْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَٱعْتَدَى وَنَسِيَ ٱلْجَبَّارَ ٱلْأَعْلَى ، بِئْسَ ٱلْعَبْدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا وَنَسِيَ ٱلْمَقَابِرَ وَٱلْبِلَى ، بِئْسَ ٱلْعَبْدُ عَبْدٌ عَتَا وَطَغَا وَنَسِيَ ٱلْمُبْتَدَا وَٱلْمُنْتَهَى ، بِئْسَ ٱلْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ ٱلدُّنْيَا بِالدِّينِ ، بئس ٱلعبدُ عبدٌ يَخْتِلُ ٱلدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ، بئس ٱلعبدُ عبدٌ طَمَعٌ يَقُودُهُ ، بئس ٱلعبدُ عبدٌ هَوًى يُضِلُّهُ ، بئس ٱلعبدُ عبدٌ رَغَبٌ يُذِلُّهُ)** .

الفصل الثاني : منزلة الحاكم في الشريعة الإسلامية

إن التربية الإسلامية تجعل الملك ، أو الرئيس ، أو الامير ، أو الوزير كأحد أفراد الامة بجميع طبقاتها ، فلا يغلق بابه دون ذوي الحاجات ، فكل من قصد خليفة من الخلفاء إلا وأذن له في الدخول عليه – إلا في حالات خاصة – وكل من طلب حاجة قضيت له في حدود الإمكان ، ما لم تكن باطلا – والباطل قد يجاب صاحبه – وما أحوج حكام المسلمين – في وقتنا هذا – إلى التحلي بصفات حكام المسلمين السابقين ، مع الاختلاف في الزمـــن والبيئـــة .

ونذكر هنا – على سبيل المثال – قصة واحد من عامة المسلمين ، أو قصة رجل – شعبي – مع أول أمير مسلم مطلق التصرف من أمراء المسلمين ، وفيها عبرة بالغة لمن يريد أن يعتبر :

ذكرت كتب السير والتراجم أنَّ (أَبَا مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ) دخل في يوم من الايام على أمير المؤمنين (معاوية بن أبي سفيانٌ) رضي الله عنهما ، ومعاوية

في مجلسه وبين أفراد حاشيته ودولته ، فحياه بتحية الإسلام ، قائلا له : (السلام عليك أيها الاجير)... فرد عايه أفراد الحاشية وقالوا له قل : الامير ، فعاد أبو مسلم الخولاني إلى التحية الاولى وقال : السلام عليك أيها الاجير ، فرد عليه القوم ثانية كالاولى ، وأبو مسلم يعيد نفس القول الاول ، ويحيّي الامير — معاوية — بعنوان الاجير ، ومعاوية يسمع ما يدور بين الزائر والحاشية — ومعاوية هو معاوية في دهائه ونظره البعيد — ثم تكلم معاوية إلى حاشيته وأفراد دولته — من غير أن يغضب — وحسم الخلاف بين أبي مسلم والحاشية ، فقال لهم : (دَعُوا أَبَا مُسْلِمٍ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ) .

هذه هي تربية الإسلام للمسلمين الذي سوى بينهم ، فلا ميزة بين الامير والمأمور ، ولا بين الحاكم والمحكوم ، ولا بين الغني والفقير ، وكان إلى جانبهم دولتا الفرس والروم ، ومع هذا لم يتأثروا بما كان يجري في تلك القصور من حفلات ومجالس ، ولربما بلغ بهم الخضوع إلى أن يرفعوا مقام (كسرى ، أو قيصر) إلى مقام التقديس ، وقد أراد بعض الصحابة أن يحترم الرسول صلى الله عليه وسلم فحياه بانحنائه — كالاعاجم — وقال له : إن الروم يحيون قياصرتهم هكذا — لانه رآهم في الشام — فنهاه الرسول صلى الله عليه وسلم عن العودة إلى مثلها ، وقال له : إن ذلك لا يكون إلا لله رب العالمين ، بل وطلب منه بعض الصحابة أن يأذن له في السجود له فنهاه ، لان ذلك لله .

قلنا إن ذلك من تربية الإسلام للراعي والرعية ، وهي تربية استقلال — لا تربية استغلال — وحرية وكرامة نفسية ، ذلكم هو الإسلام العظيم الذي كون أمة عظيمة ، والذي صار — الآن — ينعت من طرف الاغبياء الجهلة المأجورين العملاء للأجنب — بالرجعي — أين نجد هذه المساواة الآن . ؟؟؟

ترى ماذا يحدث لو دخل رجل من عامة الناس في زمننا هذا — بعد أن يؤذن له بالدخول من الابواب الحديدية المحروسة بالجنود — على وزير ، أو رئيس ، أو ملك وقال له : السلام عليك أيها الاجير ؟ ماذا يكون موقف ذلك الوزير أو الرئيس أو الملك من هذا الرجل الشعبي ..؟؟ من غير جدال إن كل واحد من أولئك يغضب من هذه التحية غير اللائقة — في العرف الدولي — بالمقام الرفيع العالي ، أو بصاحب الفخامة ، أو الجلالة ، الخ ، ونحن في

القرن العشرين . قرن النور والعلم والحرية والديموقراطية ، بل كثيرا ما شاهدنا - بواسطة التلفزة - زوار بعض الملوك والرؤساء إذا دخلوا عليهم انحنوا لهم انحناء الراكعين الخاشعين العابدين لله رب العالمين ، والركوع - شرعا - لا يكون إلا لله الخالق الواحد القهار ، فمتى يكون حكام المسلمين سالمين من تحيات الاعاجم التي تحمل معها عصر الجبروت والقهر وعبادة المخلوق للمخلوق ، ومتى يكونون متواضعين ، وبتربية الإسلام عاملين ؟؟ متى يكونون في مستوى أمتهم أمة الحرية النفسية والكرامة الذاتية ؟ تاركين عناوين وألقاب الجبابرة والفراعنة الطغاة التي ذهبت مع زمانها وزمانهم إلى غير عودة ، ولا ننسى كذلك قول - بلال - الحبشي رضي الله عنه لعمر بن الخطاب لما قال للناس : من رآى منكم في اعوجاجا فليقومني ، فقام له بلال - وهو غير عربي - وأجابه قائلا - بعد أن سل سيفه - والله يا عمر لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا... فلم يغضب أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه من جرأة هذا الحبشي - الذي رباه الإسلام على الحرية - على مقام أمير المؤمنين العربي ويهدده بالسيف إذا رآى انحرافه عن الطريق السوي واعوجاجه عن سبيل الرشاد ، فما كان من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلا أن حمد الله على وجود من يقوِّم اعوجاج عمر بسيفه في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لان الامة إذا كانت تخاف أن تقول للملك أو للرئيس : إنك أخطأت الصواب أو فعلت كذا وكذا وهذا ليس من خصائصك الخ إذا كانت تهاب أن تقول كلمة الحق فقد مات فيها الإيمان بالله والخوف منه وحده والشعور بالكرامة الإنسانية ، وهذا ما نشاهده في مسلمي هذه الاعصر الاخيرة مع حكامهم الذين تجبروا معهم تجبر الفراعنة في زمانهم ، وأذلوهم إذلالا قاهرا شنيعا ، فعلى الجميع بالرجوع - من غير أن نتهم بالرجعية - إلى أصل ديننا الحنيف ، ففيه التربية الكاملة والكافية للجميع .

الفصل الثالث : من هو أبو مسلم الخولاني ؟

ولا بد من كلمة نقولها هنا عن هذا الرجل الصالح والمسلم الكامل أبي مسلم الخولاني ، فإن حياته عجيبة وإيمانه قوي ، ودينه متين يصلح للقدوة ، وقد لحقه ما لحقه من الفتن والبلايا فصبر لها حتى مرت ، فدل ذلك على قوة إيمانه ، وعزة نفسه الكبيرة ، وصبره العديم المثال في أمثاله .

أبو مسلم الخولاني اسمه عبد الله بن (ثُوب) بضم الثاء وفتح الواو المخففة. وقيل غير هذا، وهو من قبيلة "خولان" المشهورة في بلاد اليمن.

هو الرجل الناسك العابد، وهو معدود في كبار التابعين، أسلم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل وفاته، ولما جاء مهاجرا إلى المدينة وجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد مات، فهو لم يره ولم يجتمع به، كما هو الشرط في الصحبة، لهذا فهو غير صاحب، جاء إلى المدينة المنورة في خلافة (أبي بكر) الصديق رضي الله عنه، فهو يمني من اليمن، ووقع له مع النبي الكذاب (الاسود العنسي) الذي ادعى النبوة في اليمن ما دل على قوة إيمانه وصدقه في ذلك الايمان.

ذلك أن "الاسود العنسي" المذكور لما تنبّأ في زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بعث إلى أبي مسلم ليحضر اليه، فلما جاءه قال له: أتشهد أني رسول الله؟ فقال له أبو مسلم: ما أسمع، فقال له الاسود العنسي: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، فأعاد عليه الاسود العنسي قوله الاول، وأعاد عليه أبومسلم قوله الاول كذلك، ووقع هذا بينهما مرات، فكل منهما تمسك بقوله، ولما لم يؤمن أبو مسلم الخولاني بالنبي الكذاب الاسود العنسي وآمن بالرسول الصادق محمد صلى الله عليه وسلم اغتاظ لذلك الاسود العنسي وأمر بنار عظيمة فأججت ثم ألقي فيها أبو مسلم الخولاني، فلم تضره النار بشيء، وخرج منها بعد خمودها فلم تحرق حتى ثيابه، عند هذا قيل للأسود العنسي: انفه عنك وأخرجه من بلدك وإلا أفسد عليك من اتبعك، فأمره بالرحيل والخروج من بلده، فخرج أبو مسلم الخولاني من اليمن قاصدا الهجرة إلى المدينة المنورة، فأتاها، ولما وصل اليها وجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد قبض، واستخلف أبو بكر رضي الله عنه، فأناخ راحلته عند باب المسجد النبوي الشريف، ثم أتى المسجد وقام يصلي إلى سارية، فبصُرَ به عمر بن الخطاب رضي الله عنه — وكان حاضرا في المسجد — فقام إليه عمر وهو لا يعرفه، غير أنه سمع بما وقع له من المحن مع النبي الكذاب الاسود العنسي، فقال له عمر: ممن الرجل؟ فقال أبو مسلم: من أهل اليمن، قال عمر: ما فعل الرجل الذي أحرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذلك عبد الله بن ثوب، قال عمر: أنشدك الله أأنت هو؟ قال: اللهم نعم، فارتمى عليه عمر وقبله

بين عينيه وبكى ، ثم ذهب به إلى أبي بكر وكان جالسا في إحدى نواحي المسجد وأجلسه بينهما وعرفه به ثم قال : - عمر - الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به ما فعل بإبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم(1) .

هذه هي تربية الإسلام القويمة ، وقد رأيناها كيف أعطت للإنسان كرامته وأحلته المحل الذي يستحقه في هذه الحياة ، لا ألوهية - عبادة - ولا ربوبية - خلق وتكوين - إلا لله الواحد القهار ، والبشر كلهم سواء ، حاكمهم واحد منهم ، بيد أنه أعظمهم مسؤولية ، وأثقلهم حملا بل احمالا ، وكم نتمنى لحكام المسلمين أن يتأسوا بأسلافهم العظماء ، وأن يترفعوا عن الغرور وتقليد الاعاجم ، فيتأسون بهم في أخلاقهم الإسلامية العالية ، وفي شعورهم بمسؤولياتهم الثقيلة ، حتى لا يغلقوا أبوابهم الحديدية دون ذوي الحاجات والضعفاء منهم ، وعند ذلك يأمنون غوائل - الاغتيال - التي يأباها الإسلام وينهى عنها ، ولا يقبلها كيفما كانت الدوافع إلى ذلك ، لانها تؤدي بالمسلمين إلى التفكك والضعف والعداوة وغير ذلك مثلما حدث في المـــاضي .

هذا وقد أخذ الشاعر الكبير : أبو العلاء المعري من تحية أبي مسلم الخولاني لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، ذلك المغزى الدقيق في التحية التي لقبه فيها بـ - الاجير - أجير الامة المحمدية - فنظمها في قطعة شعرية ، ولا ينكر هذا المعنى إلا المغرور بنفسه ، لان الواقع أن كل من يعمل عملا في هيئة - ما - أو دولة كذلك ، ولو كان هو الملك نفسه أو الرئيس ذاته - مثلا - فهو أجير ، لانه يأخذ أجرة عمله - رئاسة ، أو ملك - من خزينة الدولة التي هي للأمة في الحقيقة ، فلماذا يأنف إذا لقب بالاجير ؟ لعله قد وُجدَ من بين بعض السادة الملوك أو الرؤساء من يتوهم أن الموظفين في أجهزة الدولة التي يتولى رئاستها هم أجراء عنده ، وفعلا فقد وُجدَ هذا

---

(1) القصة مبسوطة فى كتب السير والتراجم مثل - الاستيعاب لابن عبد البر ، والاصابة لابن حجر ، واسد الغابة لابن الاثير ، والحلية لابـــى نعيـــم وغيرهـــا .

النوع في عصرنا الحاضر ، فقد بلغني أن أحد الرؤساء تكلم فقال : ألم تروا إلى – فلان – الذي كان يعمل ضدي ؟ فها هو الآن يعمل عندي ! ! والحقيقة التي لا تخفى على أحد تنادي بأن كل من يتولى عملا كيفما كان نوعه في أجهزة الدولة هو أجير عند الامة ، يأخذ أجرة عمله من خزينة الدولة وهي – الخزينة – ملك للأمة ، من الملك إلى الشرطي وإلى أبسط عامل ، كلهم أجراء يأخذون أجرة عملهم من خزينة الدولة وهي ملك للأمة كما قلنا ، فلا ينبغي أن يمن أحد على أحد ، ذلك أن الاجير هو الخدام أو العامل الذي يعمل بأجرة ، قلت فيما سبق : ان أبا العلاء المعري أخذ من تحية أبي مسلم لمعاوية مغزاها ومعناها فنظمها في قطعة شعرية ذكرها في لزومياته ، فصاغها في قطعة شعرية رائعة من شعره المطبوع ، تحت عنوان (جور الحكام) فقال فيما قال :

مُل ٱلمُقامُ فكمْ أعاشرُ أمّةً ... أمرَتْ بغير صَلاحها أمرَاؤُها
ظلموا ٱلرعيّة وٱستجازُوا كيدها ... فعدوْا مصَالحها وهم أجراؤُها (1)

وفي هذه القصيدة ذمه للدنيا ، وللفقهاء والعلماء الذين يصطادون الدنيا بالتظاهر بالعلم والدين ، كي ينالوا مرغوبهم منها بالتزلف والتملق والتقرب إلى الملوك والرؤساء ، وشبهها تشبيها لا يليق إلا بها وبهم فقال :

وَوَجدتُ دنيانا تُشابهُ طامثا ... لاَ تستقيمُ لناكح أقرَاؤُها (2)
هويت ولم تسعف وراح غنيّها ... تعبا وفاز براحة فقراؤها
وتجادلتْ فقهاؤها من حبها ... وَتقرَّأتْ لتنالها قراؤُها (3)
وإذا زجرت النفس عن شغف بها ... فكأن زجر غويّها إغراؤها (4)

---

(1) عدوا مصالحها – تجاوزوها ، اجراؤها جمع اجير وهو العامل الخدام
(2) الطامث هى المرأة الحائض ، والاقراء واحدها قرء وهو الطهر وقيل الحيض .
(3) تقرأت اراد تظاهرت بالنسك والعبادة ، والتقرؤ التنسك .
(4) المجلد الاول من اللزوميات ص 54 – 55 طبع دار صادر ودار بيروت

إذا قلنا ان الإسلام دين ونظام حياة فهو كذلك ، ذلك أن ما في الإسلام من تشريع وأحكام يتناول حياة المسلم في جميع أطوارها، فقد أتاح للمسلم الفرصة لينظم حياته تنظيما صالحا يعود عليه وعلى من يساكنه بالسعادة والراحة فقد رسم له الإسلام ما يجب له وما يجب عليه في حياته الاولى هذه ، إذ أمره بأن يكون موحدا لخالقه بحق، لتتحقق بذلك عبوديته – مطيعا لربه الذي لا رب – بحق – غيره ، فتكون عقيدته مبنية أساسا على التوحيد ، وكذلك عبادته وطاعته فهي لله وحده ، كما نظم له حياته مع من يعاشره فوق هذه الارض ، بأحكام تجعل منه المواطن الحر الصالح للحياة مع غيره بسلام وطمأنينة ووئام ، وتلك هي عين السعادة والراحة .

والدين ضروري للبشر – خلافا للجهلة وأشباههم من الملاحدة – لانه لازم للإنسان ، إذ هو فطرة الله التي فطره عليها ، فلزمه ذلك ، فالذين يحاولون أن يستغنوا عن الدين هم قوم أرادوا أن يخرجوا عن الفطرة ، ويتركوا الحق والواقع ، ويتبعوا الباطل والهوى ، كما جاء في الحديث النبوي الشريف : **(كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى ٱلْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)** . (1)

فالدين الحق السماوي من الله ، والإنسان مخلوق لله ، وهو أعلم بعبده منه هو بنفسه .

فالاديان السماوية إنما جاءت لتربية الإنسان وتأديبه وتهذيبه – والانسان لا يستغني عن التأديب والتهذيب كيفما كان – فيها المأمور به المشتمل على ما يزكي النفس البشرية ، ويرتفع بها من حيوانيتها البهيمية إلى الانسانية العاقلة ، وفيها المنهي عنه الذي لا يتفق مع إنسانيته المكرمة بالعقل والإدراك .

فالذين أنكروا الدين ، ورأوه غير لازم لحياة الإنسان هم قوم من الجهل والغباوة بمكان... ولو كانوا من أعلم الناس ببعض طرق الحياة ، بل ولو كانوا من مخترعي ما يحتار فيه العقل البشري ، فهم أجهل الناس بحقيقة أنفسهم ؛ فجهل الإنسان بحقيقة نفسه جعله ينكر وجود خالقه ، وما يتبع

(1) اخرجه الطبراني وغيره .

ذلك الاعتراف بالموجود من طاعة وتعظيم وغيرهما ، لهذا جاءت الاديان السماوية لتعرف الإنسان المغرور المخدوع بالمظاهر ، تعرفه من هو ؟ وكيف جاء إلى هذه الحياة ؟ وما هي المهمة التي جاء من أجلها ؟ فمن تدبر الآيات الكونية ، أو تدبر الآيات القرآنية اهتدي إلى حقيقة نفسه وسر وجوده مثل قول الله : «**وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**» (1)وقوله : «**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** الخ...»(2)

فالذي أنكر الدين أنكر الديان — وهو الله تعالى — والمنكر للدين منكر لوجود الخالق الصانع لهذا العالم ، ذلك أنه لا يمكن وجود مصنوع بدون صانع ، وهل يتصور الإنسان العاقل المميز وجود شيء مصنوع من غير صانع أوجده ؟ فهل يصدق الإنسان العاقل بوجود دار — مثلا — عالية متقنة البناء ، ذات طبقات متعددة رافعة رأسها ، من الإتقان على جانب كبير ، هذه الدار وهي على ما وصفنا وجدت بدون مهندس وضع تصميمها ، وبغير بنائين مهرة بنوها ، وصنعة ماهرين صاغوها ذلك الصوغ العجيب ، في شكل جذاب خلاب ، كما وجدت أبوابها وشبابيكها بلا نجار أو نجارين عارفين مهرة صنعوا أبوابها حسب التصميم والذوق السليم ، هل يوجد هذا كله من تلقاء ذاته ؟ هذا أمر مستحيل لا يصدقه عقل مدرك... ؟؟؟؟

إن العاقل المدرك إذا وجهت إليه هذه الاسئلة فإنه يبادر بالجواب الصحيح بالبداهة بأن ذلك لا يكون ، — وهو وجود الشيء من غير موجد له — أبدا ، لانه مشاهد محسوس ، يدرك بالبداهة ، فكيف ينكر ذلك قوم أعماهم الجهل عن رؤية وتأمل صنعة الصانع الحكيم ، الخالق العليم وهو رب العالمين ؟

من المنكرين لوجود الخالق من قال : إن الطبيعة هي التي أوجدت هذا العالم ، بمعنى أنه إذا نزل المطر نبت الزرع — مثلا — وجميع الخضر وغيرهما من تلقاء ذاته... فيقال لهم : (والمطر من أنزله ؟ والطبيعة من أوجدها ؟) أهي أوجدت ذاتها ؟ وهذا أمر مستحيل عقلا ، لا يصدقه إلا الابله الغبي ، ولماذا لا تعطينا هذه الطبيعة القمح — مثلا — بدون حرث الارض ، وبذر الحب ، والسقي والرعاية ؟ فلو اعتمد الفلاح على الطبيعة من غير عمل وعلاج

(1) الآيــة 85 مــن سورة الاسراء .
(2) الآيــة 56 مــن سورة والذاريــات .

لخسر لا محالة ، فلا تنبت له أرضه سوى الحشيش والشوك على أصل خلقتها .

اليس ما في هذا العالم من موجودات بكاف لمن تدبر في الدلالة على وجود الله ؟ وأكبر آية في الدلالة على وجود الخالق الحكيم هي الانسان نفسه . ومعه هذا الكون الكبير ، قال الله الخالق العليم لتعليمنا وإرشادنا حتى لا نضل ولا نزيغ : «**وَفِي ٱلْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ** (20) **وَفِي أَنْفُسِكُمْ ، أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟** (21) (1) «**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ**» (2) فإذا أقررنا بوجود الله الخالق الحكيم . وجبت علينا طاعته وعبادته ، كما أمرنا ونهانا بما في شرعه القويم

فالإسلام — وهو دين البشرية كلها ولا دين لها سواه — وضع للعباد منهاجا وطريقا لعبادة الله ، كالصلاة والصوم والحج وغير ذلك ، وأمر العباد بعبادة الله وطاعته فيما أمر به ونهى عنه ، ووعدهم بالثواب والجزاء على طاعته ، وأوعدهم بالعقاب على معصيته ، سواء أصدق الناس بهذا الوعد والوعيد أم كذبوا ؟ ولكنها الحقيقة التي يجب أن تعلم وتذاع ، والله سبحانه قال لرسوله : «**وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ، إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**»(3) .

فدين الإسلام يزكي النفس ويطهرها من الارجاس والخبائث ، كما قال الله تعالى : «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**» (4) وقال : «**إِنَّمَا تُنْذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ ، وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ، وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ**»(5) والله الرحيم بعباده لم يكلفهم بما فيه العنت والمشقة التي لا تتحملها النفوس البشرية ولا تطيقها ، فكل تكاليف الشريعة الإسلامية — من مأمورات ومنهيات — هي في طوق البشر واستطاعتهم ، وفي هذا يقول الله تعالى : «**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ، هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ**»(6)

---

(1) سورة والذاريات .
(2) الآية 46 من سورة الحج .
(3) الآية 29 من سورة الكهف .
(4) الآيتان 9 — 10 من سورة والشمس .
(5) الآية 18 من سورة فاطر .
(6) الآية 78 من سورة الحج .

فإذا قيس التشريع الإسلامي بما جاء في غيره من الشرائع يلفى أن ما جاء به الإسلام ميسور وسهل على البشر ، وفي حدود الاستطاعة والقدرة ، وقد حط عنا ربنا الكثير من التكاليف الشديدة والثقيلة التي كانت فرضت على من سبقنا من الامم في دياناتها ، كاليهود والنصارى ، وفي هذا يقول رب العباد للعباد: «**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)**»(1) ولكنه الضلال البشري الذي يعمي الابصار عن رؤية الحق ، والبصائر عن الانتفاع بما في هذا العالم من آيات كونية مفصحة ودالة على وجود الصانع القدير .

أما أن الإسلام دين فيه نظام الحياة فهو بين وظاهر في تشريع الاحكام ، ذلك أن الإسلام نظم للمسلم حياته تنظيما دقيقا ومحكما ، وأمره بالعمل بما في هذا النظام الذي وضعه رب العباد ، فقد أحاط الإسلام المسلم بما شرعه له بسياج من الفضائل والمحامد بالنظر إلى المهمة التي أنيطت به ، والمسؤولية التي ألقيت عليه ، فتحملها كأمانة يجب عليه أن يرعاها ويحافظ عليها ، فقد رسم له منهاجا بينا واضحا وأمره باتباعه والسير فيه ، فأمره بما فيه خيره وسعادته ، ونهاه عما فيه شره وشقاوه ، فإذا لم يمتثل لما طلب منه فقد خان العهد ، ونقض الوعد ، وإذا ساء حاله في حياته ، فذلك يعود بالذات إلى سوء سلوكه وبعده عن منهج الإسلام الواجب اتباعه عليه ، فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم أمته على اتباع ما رسمه الله لعباده — وبلغه هو لهم — فقال : (**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**)(2) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه في موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه ، تلك الموعظة البليغة التي أثرت فيهم حتى ذرفت منها عيونهم ووجلت منها قلوبهم بعد أن

---

(1) سورة الاعراف .
(2) اخرجه احمد وابن ماجه والحاكم عن العرباض .

طلبوا منه أن يعهد اليهم بشيء فقال لهم : قد تركتم الخ... وقال أيضا عليه الصلاة والسلام : **(تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا : كِتَابَ ٱللَّهِ، وَسُنَّتِي ، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ ٱلْحَوْضَ)**(1) .

فإذا لم يؤد المسلم فروضه الدينية كلها من صلاة وصيام وغيرهما ، وإذا لم يهجر ما حرمه عليه ربه في شرعه ، ففيم يظهر إسلامه ؟ وإذا لم تطبق حكومات الشعوب الإسلامية قوانين الإسلام فيما يحدث بين المسلمين من خصام ومخالفات ونزاع فكيف ساغ لها أن تجعل مادة في دساتيرها تنص على أن الإسلام دين الدولة ؟ في حين أن الإسلام بعيد – ومُبعَد – تطبيقه في المجتمع الإسلامي ، في الاسر والعائلات ، وفي الاسواق والمنتديات وفي المحافل ومحاكم القضاة ، وما وضعت تلك المادة في الدستور إلا للتلهية أو السخرية بالإسلام ، لان الإسلام كل لا يقبل التجزئة والتقسيم ، فإما أن يؤخذ كله أو يترك كله ، وما نسمعه أو نقرأه عن وجود مادة في دستور أية دولة من دول الشعوب الإسلامية تنص على أن الإسلام هو دين الدولة من غير عمل بالقوانين الإسلامية ، أو بعبارة أوضح من غير تطبيق لما جاء في الشريعة الإسلامية – فكله تضليل وتغطية للحقيقة عن أعين الشعوب الإسلامية ، التي لن ترضى – أبدا – أن تنسلخ أو تسلخ عن دينها الإسلام الذي رضيه لها ربها دينا قيما .

فإذا سكتت الشعوب المسلمة عما تراه يخرج بها شيئا فشيئا عن دينها ولم تطالب حكوماتها بتطبيق أحكام الإسلام ، وسكتت – أيضا – عما ترى من مخالفات صريحة لنصوص الشريعة الإسلامية – عملا وتطبيقا – فكأنها رضيت بذلك السكوت عما يجري في مجتمعها ، فإنها تتحمل – هي الاخرى – قسطها من تبعات ضياع الإسلام في أرضها ، وسيأتيها يوم لا تستطيع فيه الكلام ، فتكون بسكوتها شريكة لحكوماتها في إهمال أحكام الإسلام ، ويكون الجميع مسؤولين عن ضياع الإسلام – لا قدر الله – في أوطانه ، وهي ساكتة كأن الامر لا يعنيها ولا يهمها ، إذ من المعروف أن الشعوب الحية – اليقظة – مراقبة دائما وباستمرار لحكوماتها وحارسة لها خوفا من الانحراف والانجراف إلى مهاوي الهلاك والخسران ، وإذا جاء ذلك فعلى الجميع .

---

(1) رواه الحاكم عن ابى هريرة .

إن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات المؤكدة على كل مسلم وشعب فيه قابلية لذلك . ولولاهما لما بقي من الدين شيء ، فليس في قلب كل مسلم حب واحترام ومكانة للإسلام ، وتقدير لشعور غيره . ولو كان هذا لما رأينا الخمور – المنهي عنها شرعا – تباع وتشترى وتصنع وتشرب – علنا وأمام أعين المؤمنين – كما يشرب الماء أو الحليب ، ونرى المسلم يحملها إلى بيته كما يحمل الحليب أو الزيت أو غيرهما من المباحات شرعا ، الجائزة استعمالا .

إن الإسلام لما بين لنا نظام حياتنا . وحدد لنا الحدود ، وأوضح لنا المناهج لكل ذلك ، في كل ما له صلة وارتباط بحياتنا – كأفراد وجماعات – لم يهمل أي شيء في هذه الحياة ، أما ما عساه أن يحدث بحسب الظروف والاحوال فهو موكول إلى أولي الرأي والشأن في جماعة المسلمين ، ومن الخطإ – المتعمد – أن يقول الملاحدة : إن الإسلام لم تكن فيه الاحكام الكافية لكل حادثة ونازلة . والذي جرى به العمل في كل أنحاء العالم أن كل القوانين المدنية معرضة للتبديل والتغيير والنسخ والإبطال .

أما الإسلام فأحكامه وقوانينه لا تبدل ولا تغير ، فإذا لم يكن نص صريح في نازلة من النوازل فالاجتهاد من العلماء الراسخين في العلم يوجد لها حكما مماثلا لها من الشبيه والمثيل في النصوص الواضحة ، وهذا ما جرى للمتقدمين من سلفنا الصالح ، فقد قاسوا الفروع على الاصول والاشباه على النظائر من غير أن يحتاجوا إلى جلب أحكام ليست في شريعتهم يتعاملون بمقتضاها .

إننا نجد في السنة النبوية – مثلا – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الصحابي العالم بالحلال والحرام معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن أميرا وحاكما ، وكان على جانب كبير من معرفة الشريعة وأحكامها ، ويكفي شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم فيه ، فقد ورد في حديث أنس – المرفوع – رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وجاء فيه : وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ)** (1) . ولما

---

(1) رواه الامام احمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم عن جابر وانس .

عزم معاذ بن جبل على السفر إلى مقر عمله في اليمن دعاه الرسول صلى الله عليه وسلم وسأله – كالممتحن له – قائلا : بم تقضي إن عرض لك قضاء ؟ قال : قلت ، بما في كتاب الله ، فقال له الرسول : فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال : قلت ، أقضي بما قضى به رسول الله ، قال : فإن لم يكن فيما قضى به رسول الله ؟ قال : قلت ، أجتهد رأيي ولا آلو ، قال : فضرب صدري بيده وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضي رسول الله)(1) .

مما ذكرنا من بيانات – وغيرها كثير – نرى أن الإسلام فيه الحل الكافي لجميع مشاكل الحياة المتجددة ، وما تتطلبه حياتنا في حدود العفاف والكرامة البشرية والفضيلة الإنسانية ، وهو الحق الذي به يرتفع الإنسان عن درجة بقيـة الحيوانـات .

فالإسلام إذن دين ونظام حياة صالح لكل زمان ومكان إذا طبقه المسلمون كما هو ، فقد نظم لهم حياتهم ، وأبان لهم ما يفعلون وما يذرون مما لا ينكره العقل السليم والطبع الإنساني الصافي من الامراض والوساوس الشيطانية مع ما فيه من أنواع الطاعات والقربات للخالق العليم ، كي يعيش المسلم عيشة السعادة الكاملة في الدنيا والآخرة .

وهنا نتساءل : هل في مقدور المسلمين – في العصر الحاضر – أَنْ يُحَكِّمُوا شريعة الإسلام في نظام حياتهم ، فلا يخرجون عنها إلى غيرها من النظم الـتي تخـالفهـا.. ؟؟

الجواب عن هذا السؤال يكون بنعم... إذا كانوا مسلمين حقا ، ويحملون في قلوبهم عقيدة الإسلام ، فإنهم يستطيعون أن يطبقوها – روحا ومعنى – بسهولة ، أما بدون ذلك فإنهم لا يستطيعون مهما قالوا إنهم مسلمون .

الفصل الخامس : من هم المُتهوكونَ... ؟

(...فَلاَ تَتَهَوَّكُوا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمُ الْمُتَهَوِّكُونَ) من حديث نبوي شريف.

ما أكثر التهوك والمتهوكين في وقتنا هذا !!!

---

(1) طبقـات ابـن سعـد والاصابـة .

التهوك هو التحير . كما جاء في كتب اللغة . جاء في "لسان العرب" للتهوك هذه المعاني : (التهوك : السقوط في هوة الردى . وَالأَهْوَكُ والاهوج واحد . والاهوك الاحمق وفيه بقية . وقال الجوهري : التهوك مثل التهور . وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة وغير روية . والتهوك التحير الخ) والتهوك . أو التهور ، أو التحير ، معناه عدم الاستقرار على أمر ، وهو دليل على قلة الإيمان والجزم بالامر . والحقيقة أن البعض من المسلمين — إن لم نقل الكثير منهم — قد أصابهم هذا المرض الخطير وهو التهوك والتحير في أمر دينهم ، مع أن دينهم — الإسلام — الذي اختاره لهم رب العالمين قد جاءهم بما فيه الكفاية من الايمان واطمئنان النفوس وراحة البال والضمير ، فالمسلم الصادق في إسلامه لا يشك ولا يتحيّر فيما جاءه من عند الله بواسطة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو شريعة الإسلام الجامعة لما فيه صلاح الإنسان وسعادته في دنياه وفي أخراه ، فقد أغناه الله بها عن كل شرع أو تشريع سواها . فلا حيرة ولا تحيّر . ولا اضطراب ولا تهوك في حياة المسلم الموقن بربه وبدينه وبنبيه .

فقد تهوك اليهود والنصارى في أمر دينهم ، فأدخلوا فيه وأخرجوا منه ما لم يأذن الله به ، فحرفوا وبدلوا وغيروا ، ومن هنا جاءهم التهوك والتحيّر ، ودعما لهذا المعنى نورد — كتحذير لإخواننا المسلمين — ما حدث لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه — عن حسن نية ورغبة في ازدياد الخير — كما جاءت بذلك الاخبار والآثار :

فقد جاء في الاخبار والآثار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان له صديق كتابي — يهودي — يزوره بين الحين والآخر ، فذهب إليه ذات يوم فوجده يقرأ كتاب التوراة ، فأعجبه ما سمعه منه ، فطلب إليه استنساخه ففعل وجاء عمر بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا مسرورا بهذه الغنيمة ، ولما عرض ما جاء به — قرأ شيئا منه — على الرسول صلى الله عليه وسلم ، تغيّر وجهه الشريف ، وقال لصاحبه عمر ما قال ، وأغلظ له في القول ، فانزعج عمر لما رآى من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطلب منه الصفح والعفو ، والروايات في هذه الواقعة متنوعة متعددة الطرق ، وإن كانت ترجع إلى شيء واحد وهو إنكار الرسول صلى

الله عليه وسلم على عمر ثقته في اليهود الكذبة وتوراتهم المحرفة ، وأرشده إلى أن ما في القرآن وشريعة القرآن يغنيه عن كل ما سواهما .

فقد روى الإمام أحمد – رحمه الله – بسنده عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فغضب وقال : **(أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً ، لاَ تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُونَهُ ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُونَهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيّاً مَا وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي)** معناه – كما قال أبو عبيدة – أمُتحيرُون في الإسلام حتى تأخذوه من اليهود ؟

وقال الإمام أحمد بسند آخر : جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عبد الله بن ثابت : فقلت له – لعمر – : ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا ، قال : فسرى عنه الغضب وقال : **(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِنَ الأُمَمِ ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ)** .

وورد الخبر هذا من طريق آخر فيه شيء من التفصيل ، قال عمر : انطلقت أنا فاستنسخت كتابا من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(مَا هَذَا فِي يَدِكَ يَا عُمَرُ ؟)** قلت : يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علما إلى علمنا ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه ، ثم نودي : (الصلاة جامعة) ، فقالت الانصار : أغضب نبيكم صلى الله عليه وسلم ، السلاح السلاح... فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام فيهم خطيبا فقال : **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِيمَهُ ، وَاخْتُصِرَ لِيَ اخْتِصَاراً ، وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً ، فَلاَ تَتَهَوَّكُوا ...**

وَلاَ يَغُرَّنَّكُمُ ٱلْمُتَهَوِّكُونَ) (1) قال عمر : فقلت رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبك رسولا ، ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء في رواية أخرى ذكرها ابن الاثير في كتابه "النهاية في غريب الحديث" قوله صلى الله عليه وسلم : (أَمُتَهَوِّكُونَ أَنتُمْ كَمَا تَهَوَّكَتْ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَارَىٰ ؟)

والمتأمل في هذه القصة التي تعددت طرق نقلها يدرك ما يرمي إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من وراء هذا الغضب الذي غضبه على صاحبه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه – وهو ذلكم المؤمن القوي في إيمانه الغيور على دينه – فالرسول صلى الله عليه وسلم يعرف أن اليهود والنصارى بدلوا وغيروا كتابيهما ودينيهما ، فهو يخشى أن يتأثر المسلمون من بعده – بما فعله أهل الكتاب قبلهم ، فيغيرون هم كتابهم القرآن – وبذلك تكون قد سرت إليهم عدوى أهل الكتاب – اليهود والنصارى – كما يرمي إلى أن القرآن كتاب الله حق لا شك فيه ، فلا يليق بالمسلم أن يستبدل به كتابا آخر ، فهو كتاب جامع مانع ، فيه ما يغني المسلمين ويكفيهم عن غيره ، سواء في العقائد ، أو في العبادات ، أو في التشريع والاحكام ، كما أن الشريعة الإسلامية صافية نقية من عقائد الزيغ والضلال ، بينة الاحكام ، طاهرة من كل الادناس والارجاس ، شريعة العقل الصافي السليم ، لانها تسير معه ولا تصادمه ، فالمسلمون في غنى عن أخذ أي شيء من غيرها ، بعدما بان لهم التحريف والتزوير في اليهودية والنصرانية ، ثم حلف الرسول صلى الله عليه وسلم على أن موسى – الذي أتى بالتوراة – لو كان حيا لا يسعه ولا يكفيه أي شرع ودين إلا الإسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، فكيف يليق بالمسلم بعد هذا أن يأخذ شيئا من شريعة محرفة ومزورة ؟

وهذا المحذور الذي حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم صاحبه عمر – الحريص على كسب الخير – قد وقع فيه المسلمون بعد أعصر الإسلام الاولى الطاهرة النقية ، فقد أهملوا القرآن – تشريعا ، واتباعا ، واعتبارا – وأبدلوا به غيره من تشريع البشر ، فسلبوا ما كانوا فيه من عز وسيادة وهيبة ،

---

(1) البيان والتعريف فى اسباب ورود الحديث الشريف لابن حمزة ، قال اخرجه ابو يعلى وابن المنذر وابن ابى حاتم .

فلو درسوا القرآن كما درسوا غيره من القوانين الوضعية والاعراف الدَّوْلِيَّةِ لما تنكبوا عن صراط الله السوي .

ومما يناسب المقام أن نذكر هنا بعض ما جاء في بيان فضل القرآن ومكانته ، من التنويه بشأنه ولفت النظر إليه ، من ذلك قول الله جل جلاله : «الرَ تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا ٱلْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ» .

ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآيات الثلاث من سورة يوسف عليه السلام قال : ملَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملّة فقالوا : يا رسول الله حدثنا ، فأنزل الله عز وجل : **«ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَاباً الخ»(1)** ثم ملّوا ملّة أخرى فقالوا : يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن ، يعنون القصص ، فأنزل الله : **«الرَ تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ(1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا ٱلْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ(3)»** ، قال : فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص ، وزاد من طريق آخر ، فأنزل الله : **«أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ»(2)** .

فلنتأمل هذا التوجيه الرباني الذي وجّه إليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين عامّة ، إذ قال لهم : ان لكم في القرآن ــ كلام الله ــ ما تزيلون به مللكم وسآمتكم ، قصص واقعة لا خيال فيها ، فيها العبرة بما حدث في القرون الخوالي ، فمنها تأخذون الدروس الكافية لكم في حياتكم ــ والحياة كلها دروس ــ عما حدث للأمم السابقة التي أعرضت عن شرائع الله ونبذت أحكام دينه ، وكذبت رسله ــ وتهوكت ــ وتحيّرت في أمرها ، كيف كانت عاقبة أمرها ؟؟ حقا لقد كانت عاقبة أمرها خسرا ، ذلك أن في القصص الصادقة عبرا جليلة عظيمة ، ولهذا قال الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: **«وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ**

---

(1) الآية 23 من سورة الزمر .
(2) الآية 16 من سورة الحديد .

بِهِ فُؤَادَكَ ، وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ»(1) وقال تعالى: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (2) هذا هو القرآن الذي «لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»(3) وهذا هو أثره وتأثيره في النفوس المؤمنة المطمئنة لا تهوك فيها ولا اضطراب «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» .

وقال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره لهذه الآية : ذلك لان لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس ، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات ، على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة ، وكان ذلك في أشرف بقاع الارض ، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان ، فكمل من كل الوجوه . اه فهل يليق بالمسلم الصادق أن يترك القرآن ويلغي أحكامه ؟ وهو الذي أحاط به الشرف من كل جانب ، وهو حبل الله المتين ، ويتشبث بخيوط هي أوهى وأضعف من خيط العنكبوت ، كما هي معرضة في كل وقت وحين للتغيير والتبديل .

إن المتتبع لما جرى ويجري في بعض الاوطان العربية الإسلامية من صدود وإعراض عن كتاب الله القرآن وإهمال لما فيه من أحكام هي عين الحق والعدل ، وترك لشريعة الله وتعويضها بقوانين البشر الكفرة – ليدرك مدى السقوط والضلال ، والهوة السحيقة التي وقع فيها بعض "المتهوكين" ممن يسمون أنفسهم مسلمين – وما هم في الحقيقة بالمسلمين – لان الإسلام لا يكتفي – من المسلم – بالانتساب إليه فقط قولا بلا عمل ، فالإسلام رفع شأن العرب الاوائل بالعمل به إلى أن جعلهم قدوة حسنة لمن هم في زمانهم من الشعوب . ولمن جاء بعدهم من الامم .

فجاء من بعدهم قوم من ذريتهم أضاعوه ونسوه ، فلم يقيموا له وزنا

---

(1) الآية 120 من سورة هود .
(2) الآية 111 من سورة يوسف .
(3) الآية 42 من سورة فصلت .

ولم يرعوا له حرمة . كما قال رب العالمين : **«فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَاةَ وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا»** (1) وذلك لخلو قلوبهم من نوره ، وغفلتهم من أسرار تشريعه ، وصاروا يأنفون من الانتساب إليه بأفعالهم وأقوالهم ، **وراحوا يبحثون في – قمامات – الشعوب غير المسلمة – التي ليس لها تاريخ مثل تاريخهم – يلتقطون من فضلا ت فتات موائدهم القذرة** ما يتوهمون أنه خير لهم وأفضل مما جاءهم به الإسلام العظيم في تشريعه وإصلاحه للأوضاع البشرية ، فزاد شقاؤهم ، واتسع بلاؤهم ، وعمت الفوضى جموعهم كبارهم وصغارهم ، عامتهم وخاصتهم رؤساءهم ومرؤوسيهم – إلا من رحم ربك وقليل ما هم – فتهوكوا وتحيّروا في أمرهم ، وهذا ما حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم صاحبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فصاروا : لاهم بالمسلمين الصادقين ، ولا هم بالكافرين الجاحدين.... ؟؟؟؟

هذا الخلف لا شك أنهم قوم من أبناء جلدتنا ، تعلموا في غير معاهد المسلمين ، فسولت لهم نفوسهم أنهم بلغوا درجة الكمال العقلي ، فهم في غنى عن الدين وأحكامه ، فأول شيء بدأوا به هو الانسلاخ من دينهم وتاريخهم ، ولم يكتفوا بهذا بل ضموا إليه احتقار كل ماهو من سمات الإسلام والمسلمين ، من تكاليف شرعية ، وأخلاق دينية ، وألفاظ عربية ، وعادات وطنية ، فانكشف أمرهم عن تهوك وحيرة واضطراب .

وأولئك قوم آخرون – منهم – نقلوا إلى أمتهم المسلمة شعارات ومبادئ هدامة ، هدمت ما بناه سلفهم الصالح ، من فضائل ومكرمات ، وهدمت العقائد الإسلامية والاخلاق المرضية ، وتلك المبادئ هي من صنع اليهود المجرمين ، فاشتركوا معهم في الجريمة والفساد من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، فهم متهوكون متحيرون متهورون وقعوا فيما ذهبوا – بأمتهم – إليه بقلة مبالاة

وإلى جانب آخر رأينا بعض البلدان العربية الإسلامية قد منحها الله خالق الكون ومدبره ، نعمة عظيمة جليلة ، لها وزنها وقيمتها في هذه الحياة ،

---

(1) الآية 59 من سورة مريم .

كما لها وزنها في الغنى والاستغناء بها عن الغير ، تلك هي نعمة "كنوز الغاز والبيترول المدخرة في طبقات الارض" فلم يرعوا نعمة الله حق رعايتها ، واستعانوا بها على معاصي الله ، من خمر ، وفجور ، وفسق ، وغير ذلك كظلم العباد والكبر على عباد الله ، وصدق الله في قوله «**إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَى ، أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَى**»(1) هذا والعدو اليهودي فوق أنوفهم — مواقع عزهم — ماسك بخناقهم ، جالس فوق أكتافهم ، ركبهم كما يركب صاحب الحمار حماره ، يهمزه بالمهماز ، ويسوقه بالعصا إلى حيث يشاء ويريد ، فضيّق عليهم موارد رزقهم ، وأخرجهم من ديارهم وأموالهم ، وهم إلى جانب هذا الذل المحدق بهم لم يستيقظوا من نومهم وغطيطهم ، وإذا استيقظوا هرعوا إلى مجالس (الامم المتحدة).. — وكأنها اتحدت ضدهم — وهي من أسباب محنتهم وشقائهم — أسرعوا إليها يبكون ويشتكون — شأن الاطفال الصغار — وهم منهم يسخرون ومن تهوكهم يضحكون، هذا شأنهم كلما مسهم ضر اليهود — أو طاف بهم طائف من ربك وهم نائمون — فلو رجعوا إلى العمل بدينهم الذي رفع من شأن أسلافهم وأنابوا إلى ربهم — وتركوا هذه المزدكية العصرية — لاعانهم على كشف ما مسهم من الضر فيقوى إيمانهم بربهم وبأنفسهم ، ومنه يأخذون عدتهم وقوتهم .

فالعرب اليوم قد اشتغلوا ببعضهم — أو قل بكراسيّهم — وتركوا عدوهم يمرح ويلعب في ديارهم بأرواحهم ، وفوق تراب أرضهم ، وإذا رفع منهم نذير صوته منذرا بالخطر الداهم المدلهم نفوه أو سجنوه — أو شنقوه — ليستريحوا من صوته ، بدعوى أنه أحدث شغبا أو أراد أن يحدث انقلابا ليستولي على السلطة أو على كرسي الحكم . فهم كما قال الفرزدق :

يستيقظُونَ إلى نُهاق حميرهم وَتنامُ أعينُهُمْ عن الاوْتار

حقا ، لقد نامت أعين العرب عن الاخذ بثأرهم من عدوهم ، فلم تكن بهم قوة لذلك ، ولم تبق في قلوب أعدائهم هيبة منهم ، ولا رعاية لحقهم ، ومع هذا البلاء العظيم فهم لا زالوا — العرب — يمرحون ويلعبون ، ويسودون بياض ورق الصحف بالتصريح تلو التصريح ، وقد نسوا ما كان يقوله المظلوم من أجدادهم العرب الاحرار ، فقد كان يقول الواحد منهم

(1) الآيتان 6 — 7 من سورة العلق .

إذا ظلم ، أو قتل له قتيل ، أو سيقت إبله بغيا وعدوانا ـ كما هي عادتهم في القديم ـ كان يقول : الطيب أو الغسل علي حرام حتي أثأر لنفسي ممن ظلمني ، أما أحفادهم فقد مسهم الذل والمسكنة من كل جانب ، فسكتوا ولم يثأروا لانفسهم ، بل ما لَإِن توقفت مدافع اليهود وطائراتهم عن دك ونسف دورهم وحصونهم والاستيلاء على أراضيهم حتى هرعوا ـ مسرعين ـ إلى دور السينما والرقص والتمثيل ، كأنهم كانوا في جولة للتفسح والنزهة ونسوا كل ما نزل بهم في ساعات قليلة .

قالوا : إن أمريكا ـ القوية ـ في عون اليهود ، ونحن ضعفاء لا حول لنا ولا طاقة بحرب أمريكا ، فنقول لهم : إن رب أمريكا أقوى منها ـ إن كنتم مؤمنين به ـ فلو أطعتموه وعملتم بدينه لصرف عنكم أمريكا وإعانتها لليهود ـ رحمة بأوليائه وأنصار دينه ـ ولكنكم عصيتموه ونبذتم دينه فسلط عليكم من قهركم واستباح حماكم ـ والكفر كله ملة واحدة ـ فـ(لاَ تَتَهَوَّكُوا ، وَلاَ يَغرَّنَّكُمُ اَلْمُتَهَوِّكُونَ) .

وأذكر بهذه المناسبة ما قاله الرجل العالم العامل الشجاع المرحوم الشيخ عبد الحميد ابن باديس ـ رحمه الله ـ رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لرئيس وزراء فرنسا : دلاديي ، عندما ذهب مع الوفد النيابي الجزائري إلى باريس ليطالب بحقوق الشعب الجزائري ، فلما كان الوفد في مكتب الرئيس دلاديي وقدموا له مطالب الشعب الجزائري ، رد عليهم مطالبهم ردا غير لائق ، وفي الرد شيء من التهديد والوعيد ، فقال مخوفا لهم : (إن فرنسا عندها مدفع طويل يصل إلى كل مكان...) فسكت عنه النواب المثقفون ثقافة فرنسية ، وكان فيهم المحامي والطبيب وغيرهما ، فلم يستطع أي واحد منهم أن يرد عليه قوله بمثله غير الشيخ عبد الحميد ابن باديس العالم الديني الشجاع ـ والعلماء الآن ينعتون بالرجعيين من طرف... ـ إذ رد عليه تهديده بقوله الدال على قوة إيمانه بربه ، فقال له : (إن مدفع ربي أطول من مدفع فرنسا...) فتأثر رئيس وزراء فرنسا وسكت ، مما قاله الشيخ وهكذا كان الامر ، وصدق ما قاله الشيخ المؤمن بربه وحده ، فلم تمر سوى مدة يسيرة من الزمن حتى قامت الحرب العالمية الثانية (1939ـ1945) فكانت فرنسا أول دولة هزمت وانهزمت فيها ، ولم ينفعها مدفعها الطويل ، كما قال رئيس وزرائها ، غير أنه لم يدرك هزيمة فرنسا القوية بمدفعها

الطويل ، فقد مات الشيخ رحمة الله عليه بعد زوال يوم الثلاثاء 8 ربيع الاول 1359هـ ، الموافق لـ 16 أفريل – نيسان – سنة 1940 ، وفرنسا ألقت السلاح في جوان – حزيران – 1940 ، أي بعد شهرين فقط من وفاته .

ألقت – فرنسا – السلاح في حرب لم تمكث سوى خمسة أيام فقط ، وسقطت من علوها وجبروتها ، وانهزمت شر هزيمة في التاريخ ، ثم جاء مدفع الجزائر – القصير – في ثورة التحرير ، فحرر الجزائر من الاستعمار الفرنسي صاحب المدفع – الطويل – وأخرجه منها إلى غير عودة إن شاء الله .

سقت هذه الواقعة للذكرى – لا غير – والذكرى تنفع المؤمنين .

إن طريق خلاص العرب مما وقعوا فيه لازال واضح المعالم غير موصد ولا مسدود ، وهو يكمن في العودة إلى النبع الصافي من كل الاكدار ، إلى الشريعة الاسلامية الطاهرة المطهرة ، **وذلك بنبذ ما جلبوه – بعد ما جربوه** – من أوطان لا تدين بدينهم "كالاشتراكية المزدكية الملحدة" ، أما وهم مازالوا في شك من أمرهم وتهوك – تهور – في شأنهم فهيهات منهم النصر على عدوهم هيهات...

وهذه كلمة صريحة – أو نصيحة – في هذا المعنى لامير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مرشدة إلى ذلك ، فالواجب على كل مسلم أن يدرسها بعناية بالغة ويضعها نصب عينيه – وخاصة قادة العرب وزعماءهم – إن أرادوا النصر على عدوهم والتغلب على خصومهم – والمسلم لا يخلو من أعداء وخصوم – وهي تتلخص في تقوى الله والعمل بشرعه ، والخوف من الذنوب والمعاصي أكثر من الخوف من العدو ، كما جاء في رسالته إلى قائد جنده سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، فقد قال عمر لسعد في تلك الرسالة :

(أما بعد : فإني آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لان عددنا ليس كعددهم ،

ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، والا نُنصرْ عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا .

واعلموا أن عليكم في مسيركم حفظة من الله ، يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا – وإنْ أسأنا – فرب قوم سُلِّطَ عليهم شر منهم ، كما سلط على بني إسرائيل – لما عملوا بمساخط الله – كفار المجوس، «**فَجَاسُوا خِلَالَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً**» واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه العون على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم)(1) إلى آخر ما في هذه الرسالة من حسن التوجيه والنصح والإرشاد ، وذلك ما يجب أن يطلع عليه – ويحفظه – كل من اضطلع بأمر من أمور المسلمين ، من القادة وغيرهم .

فالعرب – المسلمون – ما داموا منحرفين عن منهج شريعتهم البين الواضح لا يطمعون في النصر على اليهود أو الامريكان أو غيرهم ، بل ما ينتظرهم إلا الهزائم تلوَ الهزائم ، فلو أطاعوا ربهم وعملوا بدينهم لصرف عنهم اليهود والامريكان الذين أمدوهم بكل قوة ممكنة ، أما والعرب يذهبون إلى الميدان بغير عقيدة ، وكثيرا ما كانوا مزودين بغير ما يرضاه الإسلام ولا رب العالمين ، فمن أين يأتيهم النصر وهم في حالة عصيان وشر وفساد... ؟؟؟

فعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الذي نهاه الرسول صلى الله عليه وسلم عن أخذ شيء من اليهود – كما سلف – كالتوراة المحرفة – قد استفاد من هذا الدرس القاسي الذي تلقاه من الرسول ، وقد اعتمده في حياته كلها ، وفي زمن خلافته بالخصوص ، لم يرض للمسلمين أن يعتمدوا على ما عند أهل الكتاب ، ولا ننسى قضية الكاتب – الكتابي – الذي اتخذه أبو موسى الاشعري رضي الله عنه لضبط ديوانه ، ذلك الذي لم يأذن له عمر بالدخول إلى المسجد ليقرأ عليه ما كتبه وضبطه ، وكتب إليه في رسالة لما بلغه عنه ذلك : (مات الكتابي) ولم يزده على هذا ، فالمعنى الذي يعطيه هذا اللفظ : هو الاستعداد لتكوين من يقوم بأمورنا من غير

---

(1) العقد الفريد لابن عبد ربه ج 1 ص 130 طبع اللجنة .

أن نعتمد على غيرنا ، فكأنه قال له : انفرض أن الكتابي مات فكيف تفعل ؟ كل ذلك منه ليجعل المسلمين يعتمدون على أنفسهم ، ولا يعتمدون على غيرهم ، رضي الله عنه ما أشد حرصه على استقلال المسلمين بأنفسهم ، وتحريه للطوارئ قبل وقوعها ، كما لم يرض لهم بأخذ شيء من غير القـــرآن .

فقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره لاول سورة يوسف عليه السلام : أن عمر بن الخطاب ضرب بعض الناس لانه استنسخ بعض ما في كتاب اليهود ، فاستحضره عمر وأمره بمحو ما كتبه ، وقال له : انطلق فامحه بالحميم والصوف الابيض ، ثم لا تقرأه ولا تقرئه أحدا من الناس ، ولئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحدا من الناس لانهكنك عقوبة ، ثم قال له : اجلس ، فجلس بين يديه ، وقص عليه ما جرى له هو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن الامة الإسلامية قد أصابها ما أصاب غيرها من الامم السابقة ، فاتبعت سبيلها شبرا بشبر وذراعا بذراع ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ، صلى الله عليه وسلم ، وما أخبر به إلا لتجتنب أمته ما وقع لتلك الامم السابقة ، حتى لا تقع في مثل ما وقعت فيه تلك الامم .

فهل في دروس الماضي ما يجعلنا نتعظ ونعتبر ، فنعود إلى شريعة الله - الإسلام - وإذا عدنا إليها عاد إلينا عزنا وما سلب منا ؟ أو اننا مازلنا غافلين عن ذلك : «**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ، وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**»(1).

نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يحفظنا من الزلل ، وأن يزيل عنا ما نزل بنا ، وأن يهدينا إلى العودة إلى صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

الفصل السادس :

اعتراف جاسوس فرنسي ، قال : «ان الاسلام دين المحامد والفضائل» .

ذكرت فيما سبق (في الفصل الخامس من الباب السّادس : من مكائد

---

(1) الآيـــة 11 مـــن سورة الرعـــد .

اليهود واغترار المسلمين بالمظاهر) ، إن المسلمين اغتروا كثيرا بمن تظاهر لهم بالدخول في الإسلام ليفسد عليهم أمر دينهم ، ومنهم اليهودي المسمى (عبد الله بن سبا) والملقب بـ"ابن السوداء" ، ووعدت بأني سآتي بكلمة مما كتبه الجاسوس الفرنسي المسمى (ليون روش) عن الإسلام وما فيه من الفضائل والحلول للمشاكل التي تواجه الإنسان في حياته ، وما لمسه في المسلمين من إهمال لهذه القوة الباهرة .

ووفاء بالوعد أذكر هذه الجمل التي كتبها الجاسوس المذكور ، وفي ذلك ما فيه من العبر لمن أراد أن يعتبر منقولة عن كُتيّب (الحديقة)[1] الذي جمعه الداعي الإسلامي الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله قال : (ندبت الحكومة الفرنسية في القرن الماضي "ليون روش" ليكون جاسوسا على الامير عبد القادر الجزائري ، وأوعزت إليه أن يتظاهر عنده بالإسلام ، وأن يتوصل إلى أن يكون موضع ثقته ومحل أمانته ، ففعل ذلك ونجح ، وأقام في ديار المسلمين ثلاثين عاما ، تعلم في أثنائها اللغة العربية وفنونها ، والإسلام وعلومه ، واختبر الاوطان الإسلامية المهمة : الجزائر ، وتونس ، ومصر ، والحجاز ، والقسطنطينية ، ثم ألف كتابا أسماه (ثلاثون عاما في الإسلام) ، قال فيه معترفا بما عمله ، وبما فهمه من الإسلام ، ومتحدثا عن نفسه : (اعتنقت الإسلام زمنا طويلا لادخل عند الامير عبد القادر دسيسة من قبل فرنسا ، وقد نجحت في الحيلة ، فوثق بي الامير وثوقا تاما ، **واتخذني سكرتيرا له – فوجدت هذا الدين – الذي يعيبه الكثيرون منا – أفضل دين عرفته ، فهو دين إنساني ، طبيعي ، اقتصادي ، أدبي ، ولم أذكر شيئا من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مشروعا فيه ، بل انني عدت** إلى الشريعة التي يسميها "جول سيمون" الشريعة الطبيعية فوجدتها كأنها أخذت من الشريعة الإسلامية أخذا ، ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة ، وشهامة ، ووداعة ، وجمالا ، وكرما ، بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف ، في عالم لا يعرف الشر والكذب ، **فالمسلم بسيط لا يظن بأحد سوءا ، ثم هو لا يستحل محرما في طلب الرزق ،ولذلك كان أقل مالا من الإسرائيليين ومن بعض المسيحيين .**

(ولقد وجدت في الإسلام حل المسألتين اللتين تشغلان العالم طرا ، الاولى

في قول القرآن: «إنّما ٱلمؤْمنونُ إخوَةٌ» فهذا أجمل مبادئ الاشتراكية ، والثانية في فرض الزكاة على كل ذي مال ، وتخويل الفقراء – بواسطة ولي الامر المسلم – حق أخذها غصبا إن امتنع عن دفعها طوعا ، وهذا دواء الفوضوية .

إن الإسلام دين المحامد والفضائل ، لو أنه وجد رجالا يعلمونه الناس حق التعليم ، ويفسرونه تمام التفسير ، لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين وأسبقهم في كل الميادين ، ولكن وجد بينهم شيوخ يحرفون كلامه ، ويمسخون جماله ، ويدخلون عليه ما ليس منه ، وإني تمكنت من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ في القيروان ، والاسكندرية ، ومكة ، فكتبوا إلى المسلمين في الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين ، وبأن لا ينزعوا إلى الثورة ، وبأن فرنسا خير دولة أخرجت للناس ، وكل ذلك لم يكلفني سوى بعض الآنية الذهبية(1) انتهى كلام ليون روش .

والمتأمل في هذا الاعتراف التلقائي المقرون بالثناء على ما جاءت به الشريعة الإسلامية للمسلمين من قوانين عادلة قادرة على حل مشاكلهم ، يدرك أمرين اثنين :

أولهما : انخداع المسلمين بالمظاهر الخارجية – وهذا راجع إلى طهارة قلوبهم من سوء الظن – كما قلت هذا سابقا وكما شهد بهذا هذا الجاسوس الفرنسي ، من غير بحث عميق وترو في العلاقات الفردية والجماعية والدولية والظروف المحيطة بهم ، وكم جر مثل هذا عليهم من ويلات ومصاعب ومتاعب تجرعوا مرارتها أحقابا وأحقابا ، وقد أمر الله المسلمين بأخذ الحيطة والحذر من عدوهم حتى لا يخدعوا ، قال الله تعالى : «**وَخُذُوا حِذْرَكُمْ**»(2) ، فمن الحزم واليقظة ألا يركن المسلم إلى من لا يعرفه بسهولة ، ولكن كثيرا ما يقع مثل هذا للمسلمين ، فينخدعون من جهة الإيمان ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم شاهد على ذلك ، فقد قال : (**ٱلمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ ، وَٱلفَاجِرُ – وفي رواية وَٱلمُنَافِقُ – خَبٌّ لَئِيمٌ**)(3) وليس معنى

---

(1) الحديقة ج 7 ص 192 .
(2) النساء آية 102 .
(3) رواه ابو داوود والترمذى والحاكم عن ابى هريرة .

هذا أن المسلم أبله مغفل ، بل هو من الإيمان ، فالمؤمن يظن بغيره خيرا – يزن غيره بميزان نفسه المؤمنة الطاهرة من الكذب والنفاق – وذلك بحسب إيمانه ، والفاجر أو المنافق يتوقع دائما الشر بالقياس على نفسه الشريرة ، وأنشد نفطويه في هذا المعنى :

إن الكريمَ إذا تشاءُ خدعتَــهُ　　وترى اللئيمَ مُجرِّباً لا يُخدعُ

ونقل عن عمر بن الخطاب المشهور بالحزم والحذر قوله : (لَسْتُ بِخَبٍّ ، وَٱلْخَبُّ لاَ يَخْدَعُنِي)(1) .

وثانيهما فهم بعض الاجانب – عن الإسلام – لمحاسن الإسلام وفضائله ، فأثنوا عليه – بعدما درسوه – ووجهوا النقد واللوم للمسلمين الذين لم يعملوا به ليتخلصوا بواسطته من الشرور والموبقات والتأخر ، لم يفعلوا هذا وطلبوا علاج ما هم فيه من تأخر وانحطاط في غيره ، فلم يزدادوا إلا بعدا عن حل مشاكلهم ،وتوغلا في الفوضى والاضطراب ،والمسؤولية الكبرى والعظمى يتحملها علماؤهم ،وأمراؤهم ، ورؤساؤهم ، وزعماؤهم ، فهم الذين استبدلوا لهم الطيب بالخبيث ، والصحة بالمرض ، والحق بالباطل ، والنصح بالغش ، والصدق بالكذب ، فهم كما قال موسي لبني إسرائيل : «**أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ ؟**»(2) ذلك أن الله تعالى أكرمهم – في أرض التيه – بالمن والسلوى – خير الطعام وأفضله – فسألوه – بواسطة موسي – أن يرفعه عنهم ويعوضه لهم بالثوم والبصل والعدس الخ . فنرى المسلمين لذلك قد طال بلاؤهم ، وكثر شقاؤهم – ولازال يطول ويكثر – وطمع فيهم أضعف أعدائهم ، ورؤساؤهم في خصام ، وزعماؤهم في نـزاع وتطاحن من أجل المناصب والكراسي الوثيرة ، يتنازعون عن كراسي السلطة والحكم – وهم مرضى بحب الزعامة ، والرئاسة ، والسيطرة – فمن محاولة انقلاب فاشلة على حكومة قائمة ، إلى انقلاب ناجح – إلى حد مّا – ومن محاولة اغتيال أو قتل سياسي – للتوصل إلى السلطة – خائبة إلى أخرى صالحة وناجزة ، فاليوم فلان جالس على كرسي الوزارة – مثلا – والشرطة تحرسه ، والجنود يحيونه ، والباب يقرع عليه بلين ورفق ،

---

(1) الخب بفتح الخاء وكسرها الخداع ، والغر الذى لا ينتبه للشر .
(2) سورة البقرة الآية 61 .

والرغبات تقدم إليه وتطرح للبحث ، والتحايا والهدايا تصل من القريب ومن البعيد ، فلا يمضي عليه من الوقت إلا قليل على ذلك ، إلا والحال معكوسة ، فلان الرئيس أو الوزير مكبل في السلاسل ، ومودع في سجن مظلم ، أو مبعد محروس بشرطة كانت بالامس القريب تؤدي له التحية بإجلال واحترام ، وتتقرب إليه ليرضى عنها ، أو مطرود إلى خارج الوطن ، أو فر هاربا إلى إحدى الدول ، فصار لاجئا – سياسيا – ربما كانت تلك الدولة عدوة له بالامس القريب ، واليوم يلتجئ إليها تاركا وطنه ، وإذا بالنقائص والعيوب – عيوب كانت بالامس محاسن – تنشر وتذاع ، والعرض ممزق ملوث بعدما كان مصونا محفوظة كرامته ، هو وحده عنده مفتاح الخلاص ، وهو الفارس المجلي في هذه الحلبة ، وهكذا دواليك ، فكأنه جاء إلى هذا المنصب أو ذاك أو جيء به ليقضي فترة من الزمن (تدريبية) كما يفعل بصغار الموظفين ، أو كأن حكام المسلمين اليوم مثل الحفظة من الملائكة ، لا في الطهر والطاعة لله ، بل في التداول والتعاقب على المناصب ، كما قال عليه الصلاة والسلام في الحفظة الكرام الكاتبين : **(يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ)**(1)فلا استقرار على كرسي ولا اطمئنان على مستقبل ، ولا بقاء على حال ، فهم كما قيل – مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَّعَ – نعم هذا شأن الدنيا من قديم الزمان ، غير أن ما يحدث في وقتنا هذا فاق – بكثير – ما كان يحدث في سالف الزمان ، وذلك راجع لما قلناه من النزاع والخصام وحب السيطرة الموجودة في رؤساء المسلمين وحكامهم ، من غير نظر لمصالح الشعوب ، فليكن في هذا العبرة البالغة لذوي الابصار «**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**» والدوام لله وحده ، والملك لله الواحد القهار .

كل هذا الاضطراب دليل على أن البناء غير راس على قواعد سليمة ومتينة بل على أسس مزيفة وملفقة غير منظور فيها إلى الكفاءات – مع مراعاة الماضي النزيه – بل قد يكون الاختيار للوظائف مراعى فيه الصداقة والصحبة من زمن الصغر – مثلا – واللعب ، وقد تكون مبنية على مبادلة المنافع ، انفعني أنفعك ، كن في عوني أكن في عونك ، لهذا ساء الحال – ولعل – والمآل أيضا .

---

(1) اخرجه البخارى ومسلم والنسائى عن ابى هريرة .

فإذا أراد حكام المسلمين الخير والراحة لهم ولشعوبهم وأممهم ، فما عليهم إلا أن يقلعوا عما أوصلهم إلى هذا الاضطراب ، وأن يعودوا إلى ما كان عليه سلفهم — الصالح — من التمسك بحبل الله الإسلام الذي اختاره لهم ربهم وارتضاه لهم دينا قيما ، وأن يعملوا على تطبيقه في أحكامه وتشريعه المبني على العدل والحق والنزاهة والطهر ، فإذا عادوا إليه — عملا وتطبيقا وحماية ودفاعا — عاد إليهم مجدهم الضائع ، ومدنيتهم الحقة — لا المزيفة — وقوتهم ، وهيبة عدوهم منهم ، وكان الله معهم في كل وقت وحين ، فإذا رجعوا إلى الدين ونبذوا الاشتراكية المزدكية ، فقد سلكوا طريق الخلاص مما نزل بهم ، والتوفيق من الله .

الفصل السابع : مأساة اليمن

في سبيل من هذه الخلافات بل الحروب المشؤومة التي يعاني منها ومن ويلاتها إخوتنا — في الايمان — في بلد ما — كاليمن مثلا — ؟؟؟ إنها في سبيل الاستيلاء على الحكم كما قلت هذا سابقا من قريب ، لا أكثر ولا أقل ، — ولعلها أيضا في سبيل الاشتراكية — فزعيم يطرد زعيما ، وقائد يزيل قائدا ليحل مكانه ، والشعب اليمني المسكين يعاني ما يعاني من تخريب وتهريب ، وتشتيت لقواه ، والاجانب عن الإسلام يضحكون ويسخرون — وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ — ويبيعون للإخوة أبناء الوطن الواحد ،والدين الواحد، واللغة الواحدة آلات الدمار والفتك والتخريب ، والشعب اليمني في حاجة إلى المدارس لتعليم أبنائه ، والمصانع لسد حاجاته ، والمستشفيات وتعبيد الطرق وغير ذلك مما يعود نفعه وفائدته إلى أبناء الشعب اليمني ، فإذا تسلح فللأعداء لا إلى الاشقاء ، فما كادت أقدام المستعمرين الانكليز تزايل تراب الوطن حتى بدرت بوادر الخلافات السياسية تلوح من بعيد تنذر بالشر ، وظهرت آثارها مكشوفة بعد أن كانت مستورة إلى حين بستار السياسة الملعونة ، كل ذلك من أجل الكرسي .

فلو حكم المتنازعون الإسلام وقوانينه العادلة ، وردوا أمرهم إلى الله ورسوله كما يأمرهم بذلك القرآن لنجوا مما هم فيه : «**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**

ذلكَ خيرٌ»(1) ، لو فعلوا ذلك لاستراحوا من كل هذا العناء والتعب ، ألم يقل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**كُلُّ ٱلْمُسْلِمِ عَلَى ٱلْمُسْلِمِ حَرَامٌ ؛ مَالُهُ ، وَعِرْضُهُ ، وَدَمُهُ ، حَسْبُ ٱمْرِئٍ مِنَ ٱلشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ ٱلْمُسْلِمَ**)(2) فهذه هي الوحدة الحقيقية التي يجب أن تكون في قلب كل مسلم لا غيرها ، وحدة تجعل المسلم يحترم حقوق أخيه المسلم ، فلا يؤذيه ولا يعاديه ، ولا يعين عدوه عليه ، وأحرى فلا يقتله أو يعين على قتله ، أو يظهر الشماتة بما يصيبه من مكروه ، ألم يقل للمسلمين رسولهم محمد عليه الصلاة والسلام (**إِذَا ٱلْتَقَى ٱلْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ فَٱلْقَاتِلُ وَٱلْمَقْتُولُ فِي ٱلنَّارِ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ ٱللَّهِ هَذَا ٱلْقَاتِلُ ، فَمَابَالُ ٱلْمَقْتُولِ ؟ قال : إِنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**)(3) .

وبمناسبة الكلام على اليمن وما دار ويدور فيه بين الإخوة الاشقاء في العهد الاخير ، تذكرت ما كان وقع بين الملكين العربيين المرحومين : الملك عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ، والإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن ، عندما وقع بينهما نزاع على الحدود بعد استيلاء السعوديين على (الاحساء) أدى بهما ذلك النزاع إلى الحرب والقتال ، وفعلا اشتعلت بين الإخوة الاشقاء نار حرب عمياء سنة (1352هـ 1934م) ابتدأها الإمام يحيى ، فهجم على (نجران) واحتلها ، كل ذلك من أجل قطعة رملية ، ولم تخفَ على المهتمين بالشؤون السياسية العربية اليدُ الاجنبية التي حركت الإمام يحيى إلى الهجوم على الارض السعودية ، وأصبح فيها المسلم — ولاأقول العربي — حاملا السلاح على أخيه المسلم ، والارواح تزهق ، وأنّات الجرحى تتصاعد من المستشفيات ، شاكية إلى خالقها ظلم الملوك ، وحب الاستيلاء والمطامع ، فضج المسلمون وتألموا مما هو واقع بين الاخوين من أجل شيء تافه لا خير فيه ، والتاريخ سجل أن الملك عبد العزيز آل سعود — رحمه الله — وقف موقف المسلم الشاعر بالمسؤولية ، فتأنى ولم يعجل في الرد بالمثل ، ولما يئس

---

(1) النســـاء آيـــة 59 .

(2) اخرجه ابو داوود وابن ماجه ، فى سننيهما عن ابى هريرة رضى الله عنـــه .

(3) اخرجه الشيخان وابو داوود والامام احمد وغيرهم عن ابى بكرة.

من كف خصمه عن القتال قام بالعمل المماثل ودحر خصمه وأرجعه إلى حدوده ، ولما رآى زعماء المسلمين ما سيؤول إليه أمر النزاع من تشعب وخسارة في ذلك الوقت الحرج الدقيق ، تقدم أولئك الزعماء — باسم الإسلام والقرآن — رافعين — صوتيهما — داعين الملكين إلى التوقف — حينا — على القتال ، تقدم إليهما الإسلام والقرآن راجيين منهما أن يقبلا تحكيمهما ، ويرضيا بحكمهما حسب النص القرآني في قوله تعالى : «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»(1) وقوله : «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (2) بهاتين الآيتين من القرآن تقدم زعماء المسلمين وعلماؤهم إلى الملكين العربيين المسلمين طالبين منهما العمل بهما وإلا كانت الخسارة على من أبى ، لانه هو الباغي .

تقدم — باسم الإسلام والقرآن إلى المتحاربين — إخوة مسلمون مؤمنون ، أمرهم القرآن بالتقدم والوساطة بين المتحاربين ، هؤلاء الإخوة المؤمنون كلهم ماتوا — رحمهم الله ونعّمهم — إلا واحدا لازال على قيد الحياة(3) فيما أذكر — أولئك هم المؤمنون الصادقون السادة : الامير شكيب أرسلان اللبناني ، ومحمد علي علوبة باشا المصري ، وهاشم الاتاسي السوري ، والحاج أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس المؤتمر الإسلامي العام ، وهو رئيس هذا الوفد الميمون — والمؤتمر الإسلامي العام في القدس هو الذي أمر بالسعي وكون الوفد — فأبرقوا إلى الملكين العربيين — بعد تأليف الوفد — طالبين منهما التوقف — حينا — عن القتال . وسيتولون الحكم بينهما بما حكم به الإسلام في مثل هذه الحال ، ومن عصى هذا الامر ولم يقبل تحكيم الإسلام وتمادى في الحرب حكم عليه الإسلام بالعدوان وعصيان القرآن ، ويكون كل المسلمين عليه .

---

(1) سورة الحجرات الآية 9 .

(2) النساء آية 59 .

(3) عنيت المفتى الشيخ امين الحسينى الذى توفى هو الآخر فى 14 / 6 / 1394 موافق 4 — 7 — 1974 .

فبأي شيء رد الملكان ؟ أجابا جواب المؤمن بربه وبدينه وبقرآنه ، أجابا بالرضى بحكم القرآن ، كما كان الرد مشعرا بالتوقف عن الحرب وانتظار لجنة التحكيم ، فبادرت لجنة التحكيم والوساطة بالسفر إلى مكة فصنعاء ، واستمعت إلى كل واحد منهما يدلي بحجته ، وألف كل واحد منهما وفدا للتفاوض ، فاجتمعت الوفود الثلاثة وهي : وفد لجنة الوساطة ، وعلى رأسه المفتي الحاج أمين الحسيني ، والوفد السعودي وعلى رأسه فؤاد حمزة ، والوفد اليمني وعلى رأسه عبد الله الوزير ، وبعد الاجتماع والاستماع وفهم الموضوع ، أصدرت اللجنة حكمها الفاصل في القضية ، فرضي به الطرفان المتنازعان ، واطمأن به المسلمون في مشارق الارض ومغاربها ، وارتاحت له ضمائر المؤمنين في العالم الإسلامي كله ، وهللت له واستبشرت به روح محمد صلى الله عليه وسلم في عليائها – لبقاء هذه الروح الإسلامية في أمته – وهذا كما قال الله العلي القدير : **«وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ»**(1) .

هذا هو الإسلام الذي يعالج الامراض النفسانية والمشاكل العويصة الحل إذا وجد المؤمنين به حقا ، فهو يسوي الخلافات بين أتباعه بالعدل ، وحتى الحروب يوقفها وينهيها ويحل مشاكلها حلا عادلا يرضى به المتشاكسون المتخاصمون : **«فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي ٱلْأَبْصَارِ»** .

فها هو اليمن – اليوم – ينقسم على نفسه – بعد استقلاله – إلى شطرين اثنين ،شمالي وجنوبي ،وتدخل اليد الاجنبية – دائما – بينهما ويشتد النزاع بين الإخوة أبناء الوطن الواحد ، فشطره الشمالي تمسك بعروبته وإسلامه ، وشطره الجنوبي انتحل الاشتراكية اليسارية دينا له ومذهبا يسير على مبادئه ، وكان يحاول أن يضم إليه الشطر الشمالي ، كما هي خطة هذه النحلة ، مما أدى إلى الحرب بينهما .

والذي يعرفه الجميع أن النزاع الحالي بين قسمي اليمن : الشمالي والجنوبي قد لعبت فيه وفي توسيعه وتشعبه أغراض سياسية توسعية مذهبية ، حتى أن بعض الدول العربية تدخلت فيه تدخلا سافرا مكشوفا ، لا للصلح بين الاخوة الاشقاء بل لتوسيع شقة الخلاف ولتغليب قسم على قسم ، ونصرة

---

(1) الآية 25 من سورة الاحزاب .

طائفة على طائفة للمبدإ السياسي المعروف ، غير أنها أخذت صفعة قوية على وجهها أيقظتها من غفلتها عما يجب عليها وأرجعتها إلى رشدها خاسرة خاسئة مما هو معلوم .

لم تتدخل بينهما بالصلح مثلما فعلت لجنة المؤتمر الإسلامي العام – ونجحت – بل أرادت أن تحمل إلى القسم الشمالي منه مرض أو طاعون (الاشتراكية المزدكية) فخابت ، ولازال هذا الطاعون يضعف القسم الجنوبي منه ،**وهنا رأينا كيف طغت عقيدة الاشتراكية المزدكية على العقيدة الإسلامية، كما رأينا تأثير العقيدة الإسلامية على آلنفوس المؤمنة والمشاعر الحسنة ، وهذا هو سبب نجاح المسعى الأول ، وخيبة المسعى الثاني .**

وإذا تأملنا ودققنا النظر في تلك الحادثة التي وقعت بين الملكين العربيين ، والتي لم يمض عليها طويل وقت – أربعون سنة فقط – توصلنا إلى عمل الإسلام في قلوب أتباعه ، وعرفنا حقيقة زعماء المسلمين في الماضي والحاضر .

ومن جهة أخرى نقول : أين عمل تلك اللجنة الخيرية الصلحية ، التي حملت في يدها المصحف ونادت بتحكيمه ، فرضي به الخصمان حاكما بينهما ، من عمل (جمعية الامم المتحدة) الحية والميتة... ؟؟؟ وما فيها من مجالس ، كمجلس الامن وغيره ، فإنها لم تستطع حل مشكلة واحدة من المشاكل التي يعاني منها العالم ما يعاني من آلام ومتاعب ، كما أنها لم تستطع أن توقف أية حرب ، بالرغم من الالقاب الضخمة التي يحملها أعضاؤها ، ورغم الاموال التي تبذل – بسخاء – **لها ، ولهم ، ولهن .**

إن للإسلام قوة وسيطرة على القلوب المؤمنة به لا توجد في غيره ، فقوته روحية خالصة لا تضاهيها قوة الحديد والنار ، فهي قوة كامنة في نفوس المؤمنين ، بها تغلبوا على خصومهم – ويعمل الآن خصوم الإسلام على إضعاف هذه القوة في المسلمين وهم لا يشعرون – وإن كانوا أكثر منهم قوة ، فالمسلمون كما قال – ليون روش – الجاسوس الفرنسي الذي تقدم ما قاله في الإسلام والمسلمين حيث قال : (ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين ، فوجدته قد ملأها شجاعة ، وشهامة ، ووداعة ، وجمالا ، وكرما) .

قد علمنا فشل جمعية الامم المتحدة أمام المشاكل العالمية الحالية – التي وجدت بين أعضائها – بالرغم من وجود قوى العالم كلها وكله في إطاراتها ، فقد خاب فيها الرجاء ، وانقطع منها الامل ، فإذا قررت قرارات فإنها لا تنفذ ، وتقضي جل أوقات السنة في البحث والجلسات ، وأعضاؤها في شغل آخر عن مشاكل الامم ، والجلسات تتعاقب من غير نتيجة – تسمع جعجعة ولا ترى طحنا – كما جاء في المثل العربي – والواقع أكبر دليل على ذلك ، وإلا فأين قرارها رقم 242 في شأن خروج اليهود الإسرائيليين من الاراضي العربية التي احتلوها في حرب جوان – حزيران – 1967 ، أين هو ذلك القرار المقرر في نفمبر من تلك السنة ، واليهود ظالمون معتدون ، ما لهم لم يخرجوا من أرض العرب النائمين الغافلين ، من هنا ظهر عجز العصبة عن إنصاف المظلوم من ظالمه ، فظهر أن وجودها لم ينفع أعضاءها فضـــلا عن غيرهـــم... ؟؟؟

فليتأمل في هذا مرضى النفوس المخدوعـون المغـرورون بالمظـاهـر ، المتنكرون لدينهم ، الجاهلون لتاريخهم ، الغافلون عن حضارتهم الزاهرة وآثارها الباقية ، فليكن عملهم – إن كانوا يريدون أن يعملوا – على إعادتها ، واحياء الروح الدينية فيهم تلك الروح التي قضى عليها سيرهم في طريق الملاحدة ، فإنهم سيشرفون بذلك ، كما شرف به آباؤهم الاولون .

لو فكر – قليلا – عقلاء أو زعماء العرب في جمعية الامم المتحدة وفي أعمالها تجاههم ، وتجاهلها لهم ، وسخريتها منهم ، لخرجوا منها وتركوها لمن له فيها مصلحة ، أمّا هم فلا مصلحة لهم فيها إلا خسارة الوقت والمال ، ولكن أنى لهم هذا ؟ وهم يعرفون أنها آلة مسخرة في يد أمريكا ، فما يرضي أمريكا كان وما لا يرضيها فلا محاولة...

وهذه كلمة أخرى أو شهادة عالم غير مسلم عما في الإسلام من قوى الخير والصلاح الكامنة فيه – وكلمات غير المسلمين في الإسلام كثيرة – قالها أحد الاجانب عنه اعترافا بفضائله ، وتنبيها للغافلين أو الجاهلين ممن ينتسبـون إليـه .

وهذه الشهادة للعالم الدكتور – انستابو – الإيطالي ، جاءت في كتابه "الإسلام وسياسة الحلفاء" الذي نشره سنة 1919 قال : (إن الكرم العلمي

والصدقة الفكرية ، صفتان من صفات الإسلام ، شأنهما أن تجعلا الامة العاملة بهذا الدين أهلا لان تبلغ من الحضارة ذروتها)(1) .

والواقع الحالي يقول لهذا العالم : إن مسلمي هذا العصر أبعدوا الإسلام عنهم – إلا من قل – وأحلوا محله **الاشتراكية المزدكية الملحدة ، فخسروا بذلك دينهم وعزهم وحضارتهم .**

---

(1) الجزء الخامس من الحديقة ص 162 .

الباب الحادى عشر

الفصل الأول :

مفهوم المدنية والتمدن عند جيل هذا العصر

إن الكثير من شبابنا في هذا الجيل ــ وقد لحق بهم شباب الامس وكهول اليوم وشيوخه ــ لم يفهم التمدن والمدنية كما يجب أن يفهمهما بحسب مدلولهما الحقيقي ومفهومهما الواقعي ، ومن أجل هذا زلت بهم الاقدام ، فغيّر الشباب اتجاهه من طريق سليم مأمون العواقب ، إلى سبيل لا أمن فيها ولا نجاة من أخطارها .

فهم هذا الشباب ومن عطف عليه ، أن التمدن أو التقدم لا يسمى تمدنا أو تقدما إلا بالانسلاخ عن تقاليد الزمن الماضي كلها لا فرق بين صالحها وطالحها ، صحيحها وسقيمها ، بل وبالبراءة ــ أيضا ــ من الاخلاق الطيبة التي ما تخلى عنها آباؤهم حتى خرجوا من دنياهم ، تاركين وراءهم ذرية ظنوهم سائرين على نهجهم ، محافظين على تراثهم... وبتلك الاخلاق وسموها حفظ لهم التاريخ أطيب الذكر وعاطره .

إن الباحث المدقق ، الذي يستخرج النتائج من المقدمات الصحيحة ، يرى أن ما ظهر على المسلمين أخيرا من الانحراف عن نهج أسلافهم مرده إلى سوء التربية في الدرجة الاولى ، وعدم العناية بالذرية وحياتهم المقبلة ، والكثير من هؤلاء المنحرفين كانت تربيتهم في أحضان المستعمر عدو الدين والوطن ، ولهذا لمسنا في بعض مسؤولي حكومات الشعوب الإسلامية الزهد وعدم الاكتراث بكل ما يرجع إلى اللغة العربية والدين والاخلاق الإسلامية ، وهذه الثلاثة هي مقومات الشعوب وعنوان شخصيتها ، فإذا ما طرحت أمامهم إحدى المشاكل التي يتألم منها المسلمون والتي تعود إلى إحدى تلك المقومات للشخصية الوطنية ، وطلب منهم العمل على حلها وتصفيتها تثاقلوا

في ذلك حتى يمر الوقت الطويل وتبقى المشكلة بلا حل وبلا علاج ، وبذلك تبقى المعضلة معضلة ، بل وتزداد خطورتها أحيانا ، كل هذا راجع إلى تراخي وتهاون المسؤولين في المهمة الملقاة على كواهلهم ، ويشاركهم في ذلك أولياؤهم الذين ألقوا بحبل ذريتهم على غاربهم وتركوهم مهملين عندما كانوا في طور التربية .

إن الشعوب المسلمة تتألم مما تراه وتلمسه من انحراف الشباب ، ذلك الانحراف الذي ستكون عواقبه سيئة كثيرا وسيتحمل المسؤولون – من حكام وآباء – عاقبة ذلك ، بما لهم من السلطة والكلمة المسموعة .

إن الامثال لا تعوز الباحث المدقق ، فشبابنا فقد القائد الحكيم الذي يقوده إلى ساحل النجاة والسلامة ، كي يخرجه من بحر خضم متلاطم الامواج العاتية ، فغرق فيه إذ لم يقو على السباحة وسط هذا البحر العظيم ، بحر الإلحاد والزندقة ، بحر انتشار الشرور والمفاسد ، فهو يراها ماثلة أمام عينيه أينما سار وتوجه ، فإذا حاول العلماء المصلحون العمل على إصلاح الحال لم يجدوا من أولئك المسؤولين العون على ذلك ، لان وسائل الإعلام – وهي وسائل اتصال العلماء بجماهير الامة – لم تكن بأيديهم ، وَلَمْ يُمَكَّنُوا منها حتى يؤدوا ما هو واجب عليهم ، وإذا ألحوا في الطلب والعمل مُنِعُوا ، ومنهم من يزج به في السجن – مع المجرمين – ليكون عبرة لامثاله ، وحتى لا يعود هؤلاء إلى ما رغبوا فيه ، كل هذا كما قلنا مرده إلى أن الكثير من المسؤولين في الشعوب الإسلامية تربوا في مدرسة المستعمر الحقود على الإسلام ، وغذوا بلبن ثقافته وأخلاقه حتى الإلحادية منها ، مع الاستهتار بالقيم الإسلامية والاخلاق العربية – فَأَنَّى يَسْتَقِيمُ ٱلظِّلُّ وَٱلْعُودُ أَعْوَجُ – ؟

بل إن التلاميذ قد زادوا على ما تلقّوه من أساتذتهم – من البغض للإسلام – في حقل تربيتهم ، فالتقدم الذي تنشده وتطلبه الشعوب الإسلامية يجب أن يكون في حدود تقاليدها ودينها وأخلاقها – لتحافظ على ذاتيتها – تقدم تكون فيه العزة والقوة والمهابة في جميع ميادين التقدم ، من علوم واختراعات وصناعات إلى كل ما يتطلبه كياننا ووجودنا ، ومن الغلط والخطأ أن يظن شبابنا أن التقدم لا يسمى تقدما إلا إذا كان بترك الدين والعمل به ، فهذا لا يسمى تقدما وإنما يسمى تقليدا ، والتقليد اتباع الاجانب عن الإسلام عن

غير بصيرة وروية ، وبلا تفريق وتمييز بين المفيد وغير المفيد ، بل وحتى بين الحسن والقبح ، فما هو إلا محاكاة للغير لا أكثر ولا أقل .

لنأخذ مثلا على ذلك ، هذا الخلق الذي فقدناه من أوساط الكثيرين منا ، هذا الخلق الإسلامي العظيم ، هو خلق (الحياء) ، فإن لخلق الحياء سلطانا على النفوس المؤمنة ، وله تأثير ظاهر في حياة المسلم ، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال : **(لِكُلِّ دِينٍ خُلُقٌ وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الْحَيَاءُ)**(1).

والحياء في الإنسان – وخاصة المسلم – ينهاه عن فعل كل مرذول قبيح يلام ويذم فاعله ، من ترك واجب أو فعل مخالفة ، فإذا انعدم هذا الخلق من المسلم فقد ضاع عنه كل خير وصلاح ، فيصير لا يبالي بما يفعل من موبقات ، أو ما يترك من واجبات ، فلا تحدثه نفسه – ولا يوبخه ضميره – بأنه فعل أمرا شنيعا قبيحا ، بل ربما زينته له ورغبته فيه وحببته إليه ، فلو كان خلق الحياء متمكنا من النفوس لما رأينا المنكرات تفعل علنا ، وبدون وازع ولا رادع ولا رقابة ضمير ، وانعدام (الحياء) دليل على انعدام الإيمان ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : **(الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ)**(2) وفي قوله أيضا : **(الْحَيَاءُ وَالإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعاً ، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ)**(3) .

فقد انعدم هذا الخلق العظيم من الكثيرين منا ، فلو قدر العالم موقفه بين يدي مولاه للحساب على علمه ماذا فعل فيه – كما ورد في الحديث – لما توانى فيما يجب عليه ، ولما داهن مع المداهنين ، وتملق مع المتملقين ، وما قيل في العالم يقال في الغني ، ويقال في المسؤول الكبير والصغير والذكر والانثى على السواء ، لان الكل سيمر من ذلك الباب ، ويقف ذلك الموقف ، وسيتلقى من الاسئلة – التي قد يعجز عن الاجوبة عنها – ما يتمنى معها ان لو كان حجرا ملقى على الارض تدوسه الاقدام ، ولم يتحمل أية مسؤولية .

إن الدافع إلى عدم الاكتراث بالموقف المنتظر – الذي لا شك فيه – هو ما بثه في أوساطنا الملاحدة ، من أنه لا حياة بعد هذه الحياة ، ولا بعث

---

(1) رواه مالك فى الموطــا .
(2) رواه مسلم وغيره عــن ابــن عمــر .
(3) رواه ابو نعيم فى الحلية والحاكم وغيرهما .

ولا نشور ، ولا حساب ، ولا ثواب ، ولا عقاب ، فالملحد لا يؤمن بهذا ، والمؤمنون يقولون : «**إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ، وَنَرَاهُ قَرِيباً**»(1) ، هكذا قال الله جل جلاله ، وبهذا يؤمن المؤمنون بربهم ، غير أن إلحاد الملحدين قد وصل إلى قلوب بعض المسلمين ، وذلك لما يجده الملاحدة وأعوانهم من التسهيل والتشجيع على نشر إلحادهم ، فمال بعض ضعفاء الإيمان من المسلمين إلى ما يقوله الملحد الجاحد ، فمن يتأمل هذه الآية القرآنية — وغيرها كثير — يهتدي إلى ما تحمله من تنبيه فيه الكثير من الوعيد ، قال الله تعالى : **إِنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ، فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى**» (2) ومن الله نسأل التوفيق والهـــدايـــــة .

الفصل الثاني : الإنسان العصري المتمدن والإيمان بالغيب

وبهذه المناسبة — إنكار البعث للأجساد ، والنشور ، والحساب الخ — يليق بنا أن نذكر — وَنُذَكِّرَ — ما يتفوه به بعض من سلب منهم الإيمان ، أو قل من ليس لهم عقول سليمة «**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**»(3) ممن يتطاولون إلى مقام الخالق الرحيم ، ويبثون هذا في أوساط شباب المسلمين ، ويقولون لهم : إنه لا حياة بعد هذه الحياة ، ولا بعث للأجساد ، ولا نشور ولا حساب ولا جزاء على الاعمال التي وقعت في هذه الحياة ، إلى آخره ، فأنكروا وجود الله ، ووعده ووعيده وشرائعه وكتبه ورسله ، كما رأينا ذلك مسطرا ومنشورا في كلمة — الإنسان البعثي العربي الاشتراكي — التي مرت في فصل (محاربة الاشتراكية للإسلام) والتي جاء فيها (الموت ، وليس غير الموت ، لن يكون هناك نعيم ، أو جحيم الخ...) لانهم في دعواهم — لا يصدقون بما هو غائب عنهم لا يرونه ، هذه هي عقيدة الملاحدة التي بنوا عليها اشتراكيتهم ، كما هو معروف من مبادئها ، والتي راحوا يبثونها في المجتمعات التي اختارت حكوماتها

---

(1) الآيتـــان 6 — 7 مـــن سورة المعارج .
(2) الآيتـــان 15 — 16 مـــن سورة طـــه .
(3) الآيـــة 44 مـــن سورة الفـرقـــان .

اشتراكيتهم ، ولا يقبلون المناقشة فيها ولا يفسحون المجال لمن يناقشهم فيها ، وهي باطلة - عقلا - لا يؤمن بها إلا غبي لا تمييز له بين الحقائق والاوهـــام .

وكثيرا ما أنبه إلى هذا وأحذر منه المؤمنين ، كي لا ينخدعوا ، ولا ينخدع شبابنا - بالخصوص - الموفق بهذه السموم التي تبث في أوساطهم ، وأقول لهم لا تصدقوهم فيما يقولون ، فإنهم مأمورون ومأجورون على ذلك ، ولو من الشيطان ، بإفساد عقيدة الشاب المسلم ، وأزيدهم بيانا بأمثلة واضحـــة بينـــة .

من ذلك أني أقول لهم : إن الملاحدة أنكروا وجود الخالق ، كما أنكروا ما جاء من عنده ، من شرائع وكتب سماوية ورسل الخ... وآمنوا وصدقوا بما يقوله لهم رؤساؤهم ، والإنسان قد يكذب ويقول خلاف الحقيقة ، إذا كان له في الكذب منفعة ، - ولا يكذب إلا ضعيف النفس الحقير - أما الخالق الحكيم فإنه لا منفعة له في أي شيء سواء آمن العباد أم كفروا ، إذ هو الخالق لكل شيء وكفى ، فأخباره كلها صادقة ، لانها وفق علمه ومشيئتـــــه .

نعلم أن العلم قدم الإنسان في هذا العصر تقدما ملموسا ، وخفف عنه الكثير من أنواع العناء والعذاب ، تقدم بالإنسان إلى الدوران حول الارض في دقائق من الزمن معدودات ، والصعود به إلى القمر والنزول على سطحه والجولان في بعض جهاته ، وقد شاهد الناس ذلك بواسطة النظر البعيد - التلفزة - وهذا غير محال على الإنسان لما ركب فيه الخالق العليم الحكيم من قابلية واستعداد للتطور والرقي .

ومن حادثة الإخبار بنزول الإنسان على سطح القمر نأخذ منها عبرة بليغة تصل بنا إلى الاعتقاد بوجود الله وقدرته على كل شيء ، وتسخيره للإنسان كل ما في هذا الكون من موجودات ، قال الله تبارك وتعالى : **«وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ؟ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ»**(1) وقال : **«أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي**

(1) سورة العنكبـــوت الآيـــة 61 .

ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ؟؟»(1).

وكثيرا ما كنت أنبه من يحضر الدروس إلى جهل الإنسان وخطئه ، من ذلك أن الامريكان قالوا وأذاعوا : أنهم نزلوا بمركباتهم على سطح القمر ، وأنزلوا روادهم عليه وساروا فيه أشواطا ، وقد شاهد الناس ذلك بواسطة "التلفزة" ، والنظارة الذين شاهدوا هذا النزول قد صدقوا به واعتقدوه صحيحا لا يتطرق إليه أدنى شك ، كل ذلك ممكن – عقلا وواقعا – غير أني ألفت النظر – دائما – إلى هذه الحقيقة وهي :

كيف يصدق النظارة المشاهدون الامريكان في أخبارهم وإخبارهم بنزولهم على سطح القمر ، والمشاهدون لم يكونوا – طبعا – مع من في المركبة حتى يصدقوا ذلك بالمشاهدة والمعاينة الحسية ؟؟ فالنظارة قد صدقوا بشيء هو غائب عن أعينهم... يصدقون بهذا ولا يصدقون الله الخالق لكل شيء في إخباره بأنه ستكون حياة بعد هذه الحياة ، وسيكون بعث للناس من قبورهم وإعادة الارواح إلى أجسادها ، وسيكون حساب على الاعمال وجزاء عليها ، إلى آخر ما جاء في قواعد الايمان .

نصدق الامريكان أو الروس المخلوقين ، ويمكن عقلا أن يكونوا كاذبين لمصلحة اقتضت ذلك ، لان تلك الصور التي شاهدها الناس لعملية النزول والجولان بواسطة التلفزة يمكن أن تكون مصورة – فقط – من غير نزول ومسجلة ومهيأة لتعرض على النظارة ، ليظهر الامريكان للعالم قدرتهم ومبلغ علوم رجالهم ، كيف نصدقهم فيما أخبروا به – وهم بشر كفرة بخالقهم – ولا نصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله – وهو الصادق المصدوق – ولم يُنقلْ عنه الكذب – وحاشاه – بل قامت الادلة وتواترت الاخبار بصدقه صلى الله عليه وسلم .

إن الخالق أخبر بواسطة رسله في جميع الشرائع السماوية عباده بأنه سيحييهم بعد موتهم – كما خلقهم أول مرة – وسيحاسبهم على أعمالهم ، وعليها يكون الجزاء ، وبهذا ظهر ضلال الإنسان الجحود المنكر للحقائق الثابتة بالبراهين والادلة ، ويصدق المخلوق فيما قال – وقد يكون في اخباره

---

(1) سورة لقمان الآية 20 .

كاذبا لغرض أراده لنفسه – ولا يصدق الخالق المنزه عن الكذب والغرض والمنفعة ، ولكنها الحقيقة التي لا تقبل الجدل والعناد ، وأخيرا هذا هو الإيمان وأثره ، والله قال: «**وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا**»(1) ولكنه الضلال البشري يذهب بصاحبه إلى نكران الموجودات وجحود الحقائق الثابتة التي لا ينكرها إلا جاهل أو غبي بليد .

ومن قبيل ما تقدم اخبار علماء الفلك ، فإنهم يخبرون – بناء على ما علموه ودرسوه في هذا العلم – بأن الشمس ستكسف ويذهب ضوؤها في يوم كذا من شهر كذا ساعة كذا مع الدقيقة والثانية الخ ، فيؤمن الناس بما قالوه ، ويصدقونهم في اخبارهم ، ويتنقل المهتمون به من قارة إلى قارة مع المعدات العلمية والآلات الحديثة ، لمشاهدة ذلك الحدث العظيم ، ومثل كسوف الشمس خسوف القمر فيما تقدم في الاخبار والضبط .

نرى هؤلاء الضالين يؤمنون ويصدقون بما أخبر به علماء الفلك – ويمكن أن يخطئوا – ولا يؤمنون بما أخبر به خالق الافلاك ومدبر سيرها سبحانه وتعـــالى .

نحن – المسلمين – نؤمن بالغيب – وهو ما غاب عن الحس – إذا قامت الادلة القاطعة على صدق المخبر ، وهذا هو سبيل المؤمنين الصادقين . قال الله القادر الحكيم : (**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**)(2)

---

(1) سورة النســـاء الآيـــة 122 .

(2) سورة المؤمنون الآية 115 .

الباب الثاني عشر

الفصل الأول :

هل في الاشتراكية خير للإنسانية ؟ ازدياد عدد الفقراء فيها

أكثر دعاة – الاشتراكية – من الدعاية لها والترغيب فيها حتى أسرفوا في ذلك ، وكادوا يقولون للناس : إن الوطن الذي لا اشتراكية فيه وطن شقي لا سعادة لاهله ، وجذبوا إليهم حتى من لا يؤمن بها ، **ولكنه اندفع معها ومعهم ومعهن** لاغراض خاصة ، فهو قد وجد فيها ما تصبو إليه نفسه ، وما لا يجده فيما سواها....

قالوا ان الاشتراكية رحمة للضعيف – العامل والفلاح – ولطف به ، وقالوا : إنها تنقذ العامل – أو العالم – من سيطرة طبقة معينة عليه ، وانها تجلب الخير والراحة له ولاطفاله وعائلته ، وإنها ، وإنها ، والواقع المحسوس انها بخلاف ذلك تماما ، فقد سيطرت – وتسلطت – بواسطتها طبقة معينة على كل شيء واستغلت ذلك لمصالحها الخاصة بها ، قد جلبت النفع المادي وغيره إلى طبقة السادة المشرفين عليها والمسيرين لسفينتها ، وتركت العامل والفلاح في شقائهما وتعاستهما ، بل ما زادت الفقراء إلا فقرا ، ومن خفي عليه هذا فعليه بالبحث والتعمق في داخلها ، ولا يكتفي بالظاهر ، وسيرى ويسمع ما يقنعه ، فبعض الاغنياء اتخذوها ستارا أخفوا وراءه مطمعهم ومطامحهم ، فصاروا اشتراكيين ظاهرا أكثر من الاشتراكيين باطنا ، كل هذا ليخفوا ما عندهم من نيات مبيتة وهروبا مما يتوقع لهم .

إن الإيمان – الشرعي – لا يعتبر إيمانا يعتد به إلا إذا وافق الظاهر العقيدة والباطن ، أما إذا لم يوافق الباطن الظاهر فهو النفاق .

حقيقة — لا شك فيها — لم تجعل الاشتراكية الفقراء أغنياء كما يتوهم ذلك بعض البسطاء في التفكير ، بل صيرت الاغنياء فقراء ، فلم ترفع الفقراء إلى مستوى الاغنياء لتريحهم من ألم الفقر والحاجة ، بل نزلت بالأغنياء إلى درك الفقراء — وهذا من أهم مقاصدها وأهدافها — مساواة لاولئك بهؤلاء ، وقد صرح بهذا وزير سابق عندنا — هو الآن يعيش خارج تراب الوطن ، فارا بعد أن ملأ حقائبه من عرق ودموع العمال والفلاحين — صرح بهذا لبعض العمال والفلاحين والتجار الصغار لما زاروه في مكتبه وقدموا له ملتمسا فيه بعض ما يشكون منه ؛ وقد رجوه لرفع الحيف عنهم ، وإنصافهم ممن ظلمهم ، فأجابهم على ملتمسهم قائلا : — حسبما قيل لنا — إننا على علم من مظالمكم وظالميكم ، أولئك الظالمون الذين تركوكم تمشون حفاة بدون أحذية ، وإني أعدكم بأننا سننزلهم إليكم — هكذا قال — ونتركهم يمشون حفاة بدون أحذية مثلكم !!!! هذا ما أفصح به هذا الوزير — وزير الشغل في السابق — فقد أبرز ما في ضميره ، وكان العمال المساكين يرجون منه أن يرفعهم إلى منازل الاغنياء حتى تصير لهم أحذية ، كما للأغنياء أحذية ، فإذا بالامر يظهر على خلاف ما كان يظن ، وهو بقاؤهم أو إبقاؤهم في فقرهم كما كانوا ، بل سيزاد إليهم فقراء آخرون ، وهم من كان عندهم نصيب من المال يتمعشون منه ، ويستعملونه في حركة فيها عمال يعملون ، ومنها يتمعشون ، فمعنى هذا أيضا تجريدهم مما كان عندهم وحشرهم في زمرة الفقراء والعمال الذين هم — دائما — في حاجة إلى طلب العمل للمعيشة ، لتبقى الميادين خالية للحذاق الماهرين في تصريف الامور (حدث ما قلته في سنة 1964) والعمال والفلاحون غافلون ساهون يعيشون بالاماني الحلوة كـ(الْكَمُّونِ) الذي قيل إنه يُمَنَّى بِالسَّقِي كلما عَطِشَ ، حتى لا ييبس ، كما جاء في المثل : (عِشْ بِالْمُنَى يَا كَمُّونْ) ، فهناك فئة تعيش عيشة البذخ والترف — وهي اشتراكية طبعا — تبدد الاموال — بلا حساب — وكل أفراد الامة يرون ذلك بأعينهم ، وتتنقل على ما ارتفع ثمنه من أفخم وأضخم ما أحدثته مصانع السيارات — وهي اشتراكية طبعا أيضا — وتنزل منازل ذوي الثراء الواسع ، سواء في الداخل أو في الخارج — باسم الاشتراكية — إلى جانب فئة تعيش عيشة الفقر والحرمان ، وهي صابرة ، عاملة ، ناصبة ، تسقى من عين آنية ، ولكنها لم تفقد أملها في المستقبل وسترى...

هذه الحقيقة مشاهدة في جميع البلدان التي انتحلت (الاشتراكية) مذهبا لها .

ومن أهداف الاشتراكية – أيضا – التأميم ، وهو انتزاع الشيء – عقار أو مصنع ، أو غيرهما – من مالكه الاصلي ، وجعله تحت تصرف الحكومة – النائبة عن الامة – وهو سلاح يُلتجأ إليه وقت الحاجة ، فقد رأينا بعض الناس لم يكونوا محل رضى عند بعض الدوائر الحكومية – بل وحتى عند بعض الاشخاص – مع هؤلاء يلتجأ إلى استعمال هذا السلاح – التأميم – فينتزع ما يراد انتزاعه، لاسباب توجد في ذلك الوقت، من غير نظر إلى ماضي هذا الشخص المؤمم رزقه، وكم من ضحية ذهب رزقه لمنافع خاصة وأغراض شخصية دنيئة... ؟؟ بقي لنا أن نسأل بصفتنا مسلمين : هل في تاريخ الدولة الإسلامية أنها انتزعت الاراضي أو غيرها من أيدي أصحابها المالكين لها ملكا شرعيا قانونيا ، من غير أن يصدر منهم شيء يعاقبون عليه ؟ ذلك ما لم يكن – فيما أعلم – وإن كان – على قلته – فلربما كان عقوبة ، وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم – وهو المُشَرِّع بعد الله – مفصح بذلك ، روى ابن ماجة في سننه – في باب المزارعة – عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كانت لرجال منا فضول أرضين يؤجرونه على الثلث والربع ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **(مَنْ كَانَتْ لَهُ فُضُولُ أَرَضِينَ فَلْيَزْرَعْهَا ، أَوْ لِيُزْرِعْهَا أَخَاهُ ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُمْسِكْ أَرْضَهُ)** الحديث رقم 2451 . ومثل رواية جابر رواية أبي هريرة رضي الله عنه في نفس الكتاب والباب ، وذلك قوله عليه الصلاة والسلام : **(مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا ، أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاهُ ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُمْسِكْ أَرْضَهُ)** الحديث رقم 2452 . فالرسول "وهو المشرّع للمسلمين بعد الله" لم ينتزع ما فضل من الارض عن أصحابها من أصحابها ، إنما أمرهم بالتراحم بينهم والعطف على بعضهم بعضا ، إذ أمرهم بأن لا يؤاجروها – يكروها – بل يمنحوها منحة لإخوانهم ينتفعون بها مدة ثم تعود لاصحابها وهذا هو العدل الإسلامي ، ذلك العدل الذي تحدث عنه التاريخ بإسهاب .

وفي قصة عدل – كسرى انوشروان – التي تقدم الكلام عليها عند الكلام على قضائه على المزدكية وعدله بين رعيته ما يكون موعظة للغافلين ، ومثل قصته قصة نقلت عن خليفة عباسي ضايقته في قصره بيت لامرأة عجوز ، وكم حاولها على بيعها له وبذل لها في مقابلة ذلك المال الكثير

فأبت ولم يكرهها على بيعها أو يأخذها منها بالقوة ، وقالت له : أردت أن يتحدث الناس بعدلك في الرعية ، وذلك خير لك وأولى بك من أن يتحدثوا بجمال قصرك وبهائه وعظمته ، وهو موضوع على أساس من الظلم والجور ، ولله در حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح العرب بعلو الهمة والشمم في قوله :

بِيضُ الوُجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ شُمُّ الأنوفِ من الطّرَازِ الأول

هذا هو الرفق بالامة الذي يتحلى به كبار المسؤولين في الدولة الإسلامية ، وهؤلاء الحكام هم الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم : **(اَللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ)** (1) وقال أيضا : **(يَا عَائِشَةُ إِنَّ ٱللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ ٱلرِّفْقَ فِي ٱلأَمْرِ كُلِّهِ)**(2) وقال كذلك : **(إِنَّ ٱللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ ٱلرِّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى ٱلرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى ٱلْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِي عَمَّا سِوَاهُ)** (3) وقال محببا الرفق لامته : **(مَا كَانَ ٱلرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ ، وَلاَ نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ)**(4) .

الفصل الثاني : الاشتراكية والمرأة .

كل حركة محدثة تبحث — دائما — عن فئة تعتمد عليها وتتقوى بها ، وتجعلها النواة الاولى لها ، باسمها تتكلم ، وعليها تدافع ، ومن أجلها كانت ومن أجل حقوقها — الضائعة — تكونت ، هذا شيء معروف في الدنيا كلها ، يعرفه من له عقل نيّ يتتبع به ما يحدث هنا وهنالك ، والحركات المحدثة في حاجة إلى السند الذي يساندها ويقويها وينشرها ، فإذا لم يكن موجودا هذا السند في الإبان أوجد من بعد لهذا الغرض فعلا ، وصبغ بصبغة المظلوم المهان الذي يجب الدفاع عنه ، وإعطاؤه ما يطلبه ، ويتطلب تكوينه .

فكما اعتمدت الاشتراكية الماركسية على العمال والفلاحين ، فكذلك

---

(1) رواه مسلم عن عائشة .
(2) رواه الائمة : مسلم ، واحمد ، وابو داوود ، وابن ماجة ،عن عائشة
(3) رواه مسلم عنها .
(4) اخرجه عبد ابن حميد والضياء المقدسى عن انس رضى الله عنه .

اعتمدت الاشتراكية الحديثة على من ذكر ، وزادت عنصرا جديدا فيها وهو عنصر المرأة ، تلك الاشتراكية التي رأيناها تتسمى بأسماء مختلفة ، حسب جو القطر الذي أحدثت فيه وطبقت على أهله ، ففي الوطن العربي هناك عدة اشتراكيات... منها الاشتراكية العربية ، واشتراكية عمر بن الخطاب ، وفي البلد الذي يتمسك بإسلامه : الاشتراكية الإسلامية ، وفي البلد الذي يسيطر عليه الحزب السياسي : اشتراكية الحزب الفلاني ، إلى غبر هذا من العناوين الكثيرة ، فلا الإسلام يرضى بهذه النحلة الإلحادية التي أضيفت إليه ، — لانها مسخ له ، ولانه دين كامل في هيئته وتشريعه — ولا عمر بن الخطاب يرضى ويفرح بإضفاء الاشتراكية الإلحادية على عمله الإسلامي الخالص ، وعلى شخصه الكريم وإيمانه القوي ، وسيرته العادلة ، إنما ذلك تمويه وتدليس على البسطاء من المؤمنين ، حتى يقال لهم إن للاشتراكية الحديثة أصلا في الإسلام ، وسندا في شريعة رب العالمين ، التي أنتم بها مؤمنون ، وان الخليفة الثاني — عمر بن الخطاب — رضي الله عنه ، عمر وما أدراكم من عمر ؟ كان اشتراكيا ، فلم لا نكون نحن على خطته وطريقته اشتراكيين مثله ؟ أليس لكم قدوة به ؟

نعم ، إن كان للاشتراكية الحديثة سندا وأصلا فما هو إلا في — الاشتراكية المزدكية — فهي أصلها وسندها ، وهذه فرع عنها وغصن من شجرتها ، ولهذا أثمرت ثمرتها ، وأعطت نتائجها ، أما الإسلام فهو بعيد عنها بعد السماء عن الارض ، إذ هو شريعة الله جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين كما قال فيه مرسله : «**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**»(1) أما الاشتراكية فهي من وضع اليهودي — كارل ماركس — فهي نحلة يهودية ، واليهود لا يأتي منهم أي خير للإنسانية ، فهم دائما يزيدون الانسانية عذابا إلى عذابها ، وشقاء إلى شقائها ، كما أريد من ورائها الاستيلاء على السلطة والحكم ، وجعل الناس في قبضتها .

اعتمدت الاشتراكية الحديثة — فيمن اعتمدت — على المرأة ، والمرأة مخلوق ضعيف في الظاهر قوي في الباطن ، له تأثير كبير في المجتمع وفي الفرد ، وخاصة على الاشخاص البارزين فيه ، من ملوك وأمراء ومن هو في طبقتهم — وهذا أمر معروف ومذكور في أسرار القصور — فقد تنقذ

---

(1) سورة الانبياء آية 107 .

المرأة أنفسا بريئة من الموت والهلاك ، وقد تهلك البرآء من الناس ، والشواهد على هذا كثيرة ومتوفرة في التاريخ ، منها قصة امرأة العزيز مع سيدنا يوسف عليه السلام والمكيدة التي دبرتها له ، غير أن الله أبطل مكيدتها ونجاه من كيدها ، فلولا عناية الله به لهلك بمكيدتها ، وهذه (كاترين) زوجة بطرس (قيصر) روسيا فقد أنقذت حياة طائفة من الرجال المتهمين بمحاولة اغتيال قيصر — بعد أن حكمت عليهم المحكمة بالإعدام — دخلت مكتبه فوجدته يقرأ الاحكام التي صدرت من المحكمة التي حكمت عليهم بالموت شنقا ، وأراد أن يصادق عليها بوضع إمضائه عليها بالموافقة لينفذ فيهم الحكم — وكانت امرأة عاقلة — فصاحت به قائلة : قف ، ماذا تفعل.. فأعلمها بأن المحكمة حكمت على هؤلاء المجرمين بالموت وحكمها يتوقف تنفيذه على موافقته عليه بإمضائه تحت وثيقة الحكم ، فأبت عليه أن يضع إمضاءه ليوافق به على وثائق الحكم الذي حكمت به المحكمة ، فقال لها : ماذا أفعل والمحكمة قد حكمت ؟ فقالت له : إن المحكمة أدت واجبها حسب القانون ، ولكن بقي واجبك أنت ، فقال لها : وما هو ؟ قالت : العفو... وليس غير العفو ، فقال لها : إنهم أرادوا قتلي ، فقالت له : ولكنك لم تمت ، إنك مثل الاب لجميع أبناء الشعب ، وأظهرت له من حسن التدبير والإشارة ما أقنعه وجعله يعدل عن موافقة المحكمة في حكمها ويبدله بالعفو عنهم ، وبهذا ازداد حبه في شعبه ، حتى عند خصومه ، لما ظهر به من سمو النفس والترفع عن سفك الدماء . ليت لنا مثلها — في عصرنا هذا — حتى لا يشنق العلماء والمفكرون وغيرهم من البرآء الذين يذهبون وتذهب أرواحهم هدرا نتيجة وشايات مغرضة ومكائد مدبرة ، وسيلقى شانقوهم ربهم — غدا — بدماء المشنوقين ، يطالبون به من شنقهم ، كما تطالب الموؤودة وائدها . قال الله تعالى : «**وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**»(1) وكما قال الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مع خصومه : «**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ — يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ — عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ**»(2) .

وفي التاريخ البشري القديم قصص تدل على قوة تأثير المرأة ، وفي القرآن

(1) سورة التكوير آية 8 — 9 .
(2) الآيتان 30 — 31 من سورة الزمر .

مقارنة لطيفة بين كيد الشيطان وكيد المرأة ، فوصف كيد الشيطان بالضعف ووصف كيد المرأة بالعظمة ، وفي ذلك سر لا يخفى ، قال الله تعالى في ذلك : «**ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ، وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّاغُوتِ،فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**»(1) وقال في الآخر وفي التهمة التي حاولت امرأة عزيز مصر أن تلصقها بيوسف عليه السلام ، فبرأه الله منها ، حين خاطبها زوجها عزيز مصر بعد أن ظهر له من الشواهد الحسية براءته منها وكذبها هي : «**إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**»(2) .

فالمرأة فيها من اللباقة وقوة التأثير على الرجل – بشتى وسائل التأثير – ما لا يوجد عند الرجل .

قيل للمرأة في الدول الاشتراكية الحديثة : إنك مستعبدة فطالبي بتحررك ، وقيل لها : إنك مهانة فطالبي بعزك ، وقيل لها : إنك سجينة البيت فتمردي واخرجي إلى الشارع ، وفكي قيودك بيدك وحطمي السلاسل التي قيدتك ، وقيل لها : إنك مظلومة فاعملي على رفع الظلم عنك ، وقيل لها ، وقيل لها الشيء الكثير وهي حيلة قصد بها الدعاية والتضليل ، وبالتالي التأثير على المرأة ، لتستغل حسب الظروف والاحوال ، فتأثرت المرأة بذلك ، حتى أنه قال مسؤول كبير عندنا في سابق الايام في خطاب له أمام جمع كبير من النساء على عادته في جمعه للنساء : (اخرجي إلى الشارع وخذي حقك بيدك ، ولا تنتظري من الرجل أن يعطيه لك) ويقول لها آخر كذلك : (اخرجي بنفسك ، ولا تنتظري منا أن نفتح لك الباب) فخرجت المرأة إلى الشارع متأثرة بما سمعته ، لكن ماذا كانت النتيجة ؟ كانت سيئة للغاية القصوى من السوء ، كانت خراب البيت ، كانت تشتيت العائلة ، كانت تحطيم هيكل الاسرة ، كانت في كثرة الطلاق والفراق التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ الإسلامي ، وكان أيضا غير ذلك من كل أمر شنيع ، مما نتج عنه فراق الكثيرات من النساء لازواجهن وبيوتهن ، كما كانت هروب الكثيرين من الازواج عن نسائهم وأطفالهم ، كل ذلك نتيجة لدعاية التغرير والخداع والتخريب ، ولا يستطيع أحد نكران هذا وما ذكرته قليل من كثير .

---

(1) سورة النساء الآية 76 .
(2) آية 28 من سورة يوسف .

قال أنصار هذا المبدأ ما قالوا للمرأة ، من غير أن يفكروا في أخلاق المسلمين وتقاليدهم الحسنة ، في صون المرأة وحفظها من العبث بها ، وكيف يفكرون في هذا والكثير منهم لا يرعى للدين حرمة ؟ مع تربيته في مدرسة المستعمر ، وقد دربوا المرأة وجرأوها على الاستخفاف بالدين وبالاخلاق الإسلامية ، حتى بلغ بطائفة منهن إلى أن ينكرن الاخبار الصحيحة الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما قالته امرأة في الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الإسلامي الذي تدعو إليه وتنظمه وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية الجزائرية ، والذي انعقد في مدينة وهران من 27 جمادى الاولى إلى 10 جمادى الآخرة من سنة 1391هـ ، وقد نشرت كلمة هذه المرأة في سجل المحاضرات التي تعودت الوزارة المذكورة إصداره كل سنة .

هذه المرأة أعطي لها هذا الإسم واللقب (فاطمة الجامعي) وهي زوج الاستاذ الحبابي المغربي ، وكلاهما أستاذ في جامعة الجزائر ، وتقول لمانها من الوفد المغربي ، وكلمتها عنونتها بـ"المرأة المسلمة ، حقوق وواجبات" ونشرت في السجل ابتداء من صفحة "302" . قالت هذه المرأة فيما قالت ، بعد أن أكثرت وأسرفت من تمجيد المرأة ، وحشرت الكثير من الآيات الواردة في ذلك ، وهكذا رأيناهم ورأيناهن لا يذكرون القرآن أو الدين الإسلامي إلا عند الاحتجاج والاحتياج إلى آياته ونصوصه ، قالت : **(وإن الزوجة – ولعلها تقصد المرأة – خلقت من نفس الطين الذي خلق منه الرجل ، خلافا لما يروجه الخرافيون من أن المرأة خلقت من الضلع الأعوج ، والحقيقة ان الرجل الذي يعتقد هذه الأسطورة – كذا – معوج المخ وكل الأضلع) . وبعد أن نقلت الكثير من الآيات القرآنية الدالة على منزلة المرأة قالت : (إذا كانت هذه هي نظرة الإسلام إلى المرأة ، لم يبق مجال للقول بأنها أقل قيمة من الرجل ، وانها – ناقصة عقل ودين – فالعقل مقسم بالتساوي بين النساء والرجال الخ...)** وضربت على هذه النغمة الحلوة على الاسماع في كلمتها تلك ، وسارت بعيدا في تمجيد المرأة ، من غير أن تحض المرأة المسلمة على التمسك والعمل بالشريعة الإسلامية ، التي رفعت منزلة المرأة بعد الحطة والهوان اللذين كانت تعاني منهما ما تعاني ، فلم تأمرها بتقوى الله وعمل الصالحات والوقوف عند حدود الشريعة الإسلامية ، لان ما نالته المرأة المسلمة من عز ورفعة إنما نالته بشريعة الإسلام ، فهي

التي رفعت عنها الحيف والجور ، فوجب عليها أن تتبعها ولا تتبع المرأة الغربية فيما لا يليق بشرف المرأة المسلمة ، وإلا فما ذلك التنويه إلا من باب الدعاية والاستغلال على حساب الإسلام ، لاغراضها الشخصية .

إن هذه المرأة تقصد بقولها – حسب الالفاظ التي استدلت بها – الاعتراض أو الرد لما جاء في القرآن، وهو قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا الخ» الآية الاولى من سورة النساء ، فماذا عساها أن تقول في قوله تعالى : وخلق منها زوجها ؟ يا سبحان الله كيف تجرأت المرأة هذه الجرأة الكبيرة ! ! !

وهكذا يفعل الجهل والغرور والتغرير بضعاف الاحلام، حتى يخرجهم أو يخرجهن من الإسلام .

وَلِما جاء في ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ذلك أنها قالت : **(خلافا لما يروجه الخرافيون من أن المرأة خلقت من الضلع الأعوج الخ)** وبقولها : **(لم يبق مجال للقول بأنها أقل قيمة من الرجل ، وانها ناقصة عقل ودين الخ...)** .

وهذا منها جرأة كبيرة ، ثم على من تعترض يا ترى ؟ وما هو قول الخرافيين هذا ؟ ومن هم الخرافيون الذين تعنيهم ؟ إن ما ذكرته حديث من أحاديث ثابتة نطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي لا ينطق عن الهوى ، والاعتراض عليه رد لقوله وعدم إيمان به ، وهذا لا يقع إلا من غير المسلمين . وهذا هو نص الحديث . أخرج مسلم في صحيحه والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إِنَّ ٱلْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا طَلاَقُهَا)** فهل في قول الرسول هذا خرافة ؟ الواقع أنه وصية خير وإرشاد للمسلمين كي لا يسيئوا إلى زوجاتهم .

أما قولها : **(لم يبق مجال للقول بأنها أقل قيمة من الرجل ، وانها ناقصة عقل ودين)** فهو رد لآية قرآنية ولحديث نبوي صحيح . وبيان ذلك ، أن الله تعالى عندما ذكر ضبط المال بالإشهاد عليه قال : **«وَٱسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ**

مِنَ ٱلشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ» سورة البقرة الآية 282 . وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم مغزى هذا ، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه . في باب (ترك الحائض الصوم) أن الرسول صلى الله عليه وسلم : (خرج في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال : **(يَا مَعْشَرَ ٱلنِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ ٱلنَّارِ، فَقُلْنَ : وَبِمَ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ ؟ قال : تُكْثِرْنَ ٱللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ ٱلْعَشِيرَ ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ ٱلرَّجُلِ ٱلْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ ، قُلْنَ : وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ ٱللَّهِ ؟ قال : أَلَيْسَ شَهَادَةُ ٱلْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ ٱلرَّجُلِ ؟ قُلْنَ : بَلَى ، قال : فَذَٰلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا ، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ : بَلَى ، قالَ : فَذَٰلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا)** .رأينا من خلال جواب الرسول للنساء تلطفه معهن من غير تعنيف كعادته صلى الله عليه وسلم مع النساء وغيرهن ، فهو لم يرد بذلك احتقارهن ولا التنقيص من شأنهن كما يدعي المغرضون ، بل ما أراد إلا التنبيه لحالهن فقط ، أما نقصان دين المرأة فواضح مما قاله الرسول ، وأما نقصان العقل فهو إشارة إلى قول الله : **«فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ ، فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ»** وذلك في باب الشهادة، حيث أن المرأة الواحدة قد تنسى فتذكر إحداهما الاخرى كما جاء في الآية ، قال ابن حجر في شرح هذا الحديث : فسؤال النساء الرسول عن ذلك دليل على نقصان عقلهن ، إذ الامر معروف لا يحتاج إلى السؤال ، فالسيدة المعترضة على هذا الحديث لم تفهمه ، ولعلها لم تسمع به ، وكثير من النساء مدحن المرأة فوق وأكثر من اللازم ، لاغراض لا تخفى على أحد ، والاعجب من ذلك أني لم أسمع واحدا من العلماء الحاضرين ردها عن خطئها ذلك لاني سمعت كلمتها تلك بواسطة التلفزة الجزائرية ، والملاحظ الذي لا ينكر أن أصل خلقة المرأة وتكوينها أضعف من خلقة وتكوين الرجل ، فهل تعترض المرأة على الخالق الذي اقتضت حكمته أن يخلقها هكذا ؟ أو هل تنكر هذا أيضا ؟ ومن أنكرته فلتتقدم إلى ميدان الرجل وتحمل الاثقال مثل الرجل ولتكن حينئذ مثله أو فلتسكت عن شقشقة الكلام الفارغ فقد أسرفت في قيمة نفسها بما لا يقبله العقل ، بل وادعت أنها كل شيء في هذه الحياة .

كونوا للمرأة – في كل البلاد الاشتراكية – اتحادا سموه "الاتحاد النسائي" ومنحوه من القوة ما لم يعط غيره من اتحادات الرجال ، بل ما لم تنله أية هيئة ، ولو كانت تربوية أخلاقية دينية أو غيرها ، وأعطي من المال ما لم يعط غيره كذلك،**وبهذه الامتيازات – أو التمييز العنصري إن شئت –** صارت للمرأة قوة لا تضاهيها قوة الرجل ، فالرجل – مهما علا – لا يساوي قلامة ظفر أمام المرأة – مهما نزلت – لغرض لا يخفى على أحد ، فكلما تقدمت المرأة بشكوى ضد الرجل – رجل الحروب والكفاح والاعمال– إلا ونال ما نال من التعذيب والاحتقار والإهانة، وكم من رجل ترك داره وأولاده وفر هاربا بنفسه ودينه وشرفه مما يلقاه ، هذا هو الواقع فعلا في كل بلد انتحل الاشتراكية المزدكية .

كما سخرت لها وسائل الإعلام ، وجعلت تحت تصرفها ، من صحافة ، وإذاعة ، وتلفزة ، فللاتحاد أن ينشر ويذيع ما بدا له ، وصارت المرأة المسلمة – وفي هذا الوصف نظر – (عضوة الاتحاد) تسافر وحدها بدون محرم لها يحميها – وهذا ما تنهى عنه الشريعة الإسلامية – تطوف أطراف العالم القريبة والبعيدة بدعوة من الاتحاد الفلاني الخ...

وجعل للمرأة يوم خاص بها سموه – يوم المرأة – تقول فيه ما تريد ، وتعطل فيه – وحدها – عن العمل ، ولم يجعل للرجل مثله ، فإذا قابلنا النوع بالنوع ، وتفضيل صنف على صنف قلنا اليس هذا : **هو – التمييز العنصري** – الذي تنادي بإبطاله الحكومات والشعوب العالمية... ؟؟؟ الجواب : أي وربي إنه لهو هو .

وإذا دققنا النظر في أصل الموضوع – موضوع المرأة – فإننا نجد أنفسنا – كمسلمين – قد أنزل الله كل واحد من الصنفين في منزلته ، فالرجل له مقامه لا تغني عنه فيه المرأة ، كما أن للمرأة منزلتها لا يغني عنها فيها الرجل فنحن في حاجة إلى تطبيق أحكام ديننا فقط ، وإذا ظلم رجل مسلم امرأة مسلمة فليس معنى هذا أن الإسلام هو الذي ظلمها ، فكم تظالم المسلمون – وغيرهم – سواء في ذلك الرجال والنساء ، كما قال الشاعر المشهور أبو الطيب المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

فكان الواجب على المسؤولين المسلمين أن يرجعوا - إن كانوا مسلمين - إلى قوانين دينهم فيطبقوها لا إلى إلغائها وتعويضها بقوانين بشرية وضعت لامة غير مسلمة ولا مؤمنة .

إن الكمال البشري كما يكون في الرجال يكون في النساء ، غير أنه فيهن قليل كما حكاه التاريخ الإنساني وهذا راجع إلى أصل الخلقة والتكوين ، وقد ورد في الحديث الصحيح قول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم : **(كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ الخ)** بلا غرور أو تغرير .

والموضوع - موضوع المرأة - محرج كثيرا - حسبما نرى - ودقيق جدا ، والخوض فيه قد يجعل للخائض فيه خصوما وأعداء - إذا تكلم فيه بالحقيقة - قد يفوقون في العدد المؤيدين والانصار والاصدقاء - وإن كان على الحق - ذلك لاندفاع الناس وراء الشهوات والاغراض والاطماع حتى صاروا يشبهون المزدكيين - تماما - تاركين الشريعة الإسلامية وراء ظهورهم ، متأثرين بما يذيعه بينهم إبليس وأعوانه بغوايته ووسوسته ، حتى أنساهم ربهم ودينهم :

في كل شيء إذا ضيعته عوض وليس في الله إن ضيعته عوض

الفصل الثالث: وصية الإسلام بالرفق بالضعفاء : اليتيم ، والمملوك ، والمرأة

إن الإسلام كان - ولن يزال - مصدر نور لبني آدم ، بنوره يتجنبون الاخطار والمهالك ، وبوصاياه يسعدون ويُسعدون .

فالإسلام في تشريعه ووصاياه لم يظلم أحدا ، لا المرأة ولا غيرها ، بل نجده يوصي الاقوياء ويؤكد عليهم ، يوصيهم بأن يعاملوا الضعفاء بالرفق والإحسان ، والرحمة والحنان - بالنظر لضعفهم - ولا أضعف من هؤلاء الثلاثة : اليتيم ، والعبد المملوك - أو الخادم - ، والمرأة ، من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(اتَّقُوا اللَّهَ فِي الضَّعِيفَيْنِ : المَمْلُوكِ وَالمَرْأَةِ)**(1) .

---

(1) اخرجه ابن عساكر عن ابن عمر .

1) أما اليتيم فقد أوصى الله به خيرا ، فإن كان له مال أوصى بالمحافظة عليه ، حتى لا يبدد ويذهب سدى ، ويبقى له إلى أن يصير رشيدا يحسن التصرف ، ويدرك واجباته ، ولا يخفى علينا هذا الوعيد الشديد من الخالق العليم : «**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**» (1) وإن كان فقيرا فقد أوصى بالاحسان إليه ، في تربيته ، ورعايته ، وكفالته ، قال عليه الصلاة والسلام : (**أَنَا وَكَافِلُ ٱلْيَتِيمِ فِي ٱلْجَنَّةِ**)(2) وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى كما فعل هذا راوي الحديث لمشاهدته فعل الرسول ذلك ، وقال تعالى: «**فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**» والوصايا باليتيم كثيرة ، كحديث المسح على رأسه وملاطفته وعدم إبكائه ، ويبقى عطف المسلمين عليه إلى أن يحتلم ويبلغ مبلغ الرجال ، ويعتمد على نفسه عند ذلك يزول عنه لقب اليتم ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (**لَا يُتْمَ بَعْدَ ٱحْتِلَامٍ**)(3) فأي قوانين البشر توصي بمثل هذا ؟

2) أما المملوك – أو الخادم – هو الآخر فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم أمته على أن تعامله المعاملة الحسنة ، كما تعامل أولاد الصلب ، تطعمه مما تأكل ، وتلبسه مما تلبس ، ولا يكلف بما لا طاقة له به ، فإن كلف بما يشق عليه أعين عليه ، قال عليه الصلاة والسلام : (**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ ، جَعَلَهُمُ ٱللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ،وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**)(4) .

فهل في قوانين البشر ما يشبه هذا ؟ لا نعلم شيئا من ذلك ، خصوصا ونحن نعلم أن العبيد كانوا يعاملون قبل وقت مجيء الإسلام معاملة دون معاملة الحيوانات... والتاريخ شاهد عدل على هذا... فالخوف من مخالفة شرع الله – والله عالم بما يقع – والشعور بمراقبة الله فوق الخوف من القانون البشري .

---

(1) سورة النساء الآية 10 .
(2) اخرجه البخارى وغيره عن سهل بن سعد .
(3) اخرجه ابو داوود عن على .
(4) اخرجه البخارى عن ابى ذر .

3) أما المرأة فقد رفع الإسلام قدرها ، وأعلى منزلتها ، في حدود وظيفتها ، وأوصى بها خيرا ، بالإحسان إليها كيفما كانت ، أما ، أو بنتا ، أو زوجة ، بعد أن كانت قبله محتقرة لا تذكر ولا تستشار في أي شيء حتى فيما يعود إليها شأنه ، وقد خولها الإسلام ما تستحقه ، فإن كانت أمّا فحقها على ولدها عظيم ، فعليه رعايتها ونفقتها إذا كانت فقيرة ، فلها عليه حقوق ثلاثة ولابيه عليه حق واحد ، كما نبه على هذا أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج الشيخان — البخاري ومسلم — وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : **(يَا رَسُولَ ٱللَّهِ مَنْ أَحَقُّ ٱلنَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قال : أُمُّكَ ، قالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قالَ : أُمُّكَ ،قالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قالَ : أُمُّكَ ، قالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قالَ أَبُوكَ)** وأعظم من هذا فإن رضى ربه موقوف على رضاها ، وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **(ٱلْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ ٱلْأُمَّهَاتِ)**(1) كفاية .

وإن كانت بنتا فقد أوصى الإسلام أباها بتربيتها وتعليمها حتى تستقل بنفسها في بيتها ، وسيرة السلف فيها الكثير من هذا الإرشاد الديني الذي جهله الخلف ، فأصابه الانحراف والتلف .

أما إن كانت زوجا فالله جل وعلا أوصى الرجال بحسن معاشرة الزوجات ، كما قال : «**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**» (2) وفي هذا الامر ما فيه من شتى الوصايا .

وفي حجة الوداع خطب الرسول صلى الله عليه وسلم خطبته المشهورة — في يوم عرفة — في المشهد الحافل ، تلك الخطبة التي جمعت الشيء الكثير من حسن التوجيه وأصول الدين وفروعه ، وهي في الحقيقة خطة رسمها الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين كي يسيروا عليها ، في هذه الوقفة المشهورة في التاريخ الإسلامي لم ينس الرسول الرحيم المرأة المسلمة ، فاهتم بها ، فقد أوصى واستوصى بالنساء خيرا ، بل وحتى في اللحظة الاخيرة من حياته ، وقبل مفارقته لهذا العالم ، فقد أوصى بالصلاة وبالنساء خيرا .

---

(1) اخرجه القضاعى والخطيب فى التاريخ .
(2) الآية 19 من سورة النساء .

فكذلك المرأة في محيط الحياة التي تحياها – كمسلمة – تحترم دينها ، فتؤدي فروضه وتبتعد عن منهياته ، فإنها لم تهمل أو تهن ، فالله يقول : «مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى – وَهُوَ مُؤْمِنٌ – فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»(1) .

فهل بعد هذه العناية والاهتمام بالمرأة المسلمة – طبعا – ومكانتها في الشريعة الإسلامية المحمدية – وما لم أذكره كثير – ينعقُ الناعقون – دعاة الإلحاد – اتباع كل ناعق ، كما قال علي كرم الله وجهه – وأعوان إبليس ، بأن الإسلام لم ينصف المرأة... ؟؟؟ وهل هم أرحم بالمرأة من خالقها الرحيم العالم بتكوينها ووظيفتها في المجتمع الذي تعيش فيه.. ؟ نقول ونؤكد بأن الإسلام أوصى خيرا بالمرأة المسلمة حقيقة لا بالمتشبهة بالمرأة الاروبية .

إن الإسلام لم يجحف المرأة حقها ، بل ساوى بينها وبين الرجل في كل شيء إلا فيما هو من اختصاصه أو من اختصاصها ، من غير تزاحم بينهما فيه ، بل وفضلها عليه – بالنظر لضعفها – في بعض الامور كالنفقة – مثلا – فإنه أوجبها عليه ، ولم يكلفها بشيء منها في جميع حالاتها – صونا لها وحفظا لكرامتها من الابتذال والتذلل في سبيل التحصيل على لقمة العيش – وكالحضانة فإنه خصها بها دون الرجل لمزاياها في هذا الشأن ، وفضله عليها في الإرث نظرا لما عليه من واجبات النفقة على زوجته وأطفاله ، وهي معفوة منها ، هذا بعض فقه حكمة التشريع التي تعامى عنها المغرضون الهدامون ، في حق المرأة المسلمة .

الفصل الرابع : صون الاسلام للمرأة ، وابتذال غيره لها

أراد الإسلام للمرأة الصيانة ، والعفة ، والطهارة ، والكرامة ، والشرف ، وأراد لها إبليس وجنوده وأنصاره خلاف هذه الاوصاف ، فهم يريدون لها أن تحوم حول حمأة الحياة المنتنة القذرة ، ليسهل عليهم جرها إلى الحمأة وإدخالها فيها، واقتناصها وصيدها منها ، لاغراض إبليس الملعون ، ولا يستطيعون أن ينكروا ذلك ، فالمشاهدة لا تنكر ، وهي أقوى دليل على ما يخفون .

---

(1) الآية 97 من سورة النحل .

والإسلام يحب لها أن تبتعد عن كل هذه القاذورات والاوساخ التي تصادفها في الطريق ، وتلقاها أينما توجهت وحلت ، فكل من دعا أو عمل على الزج بالمرأة في وسط المجتمع الفاسد السيىء الخلق ، هو داخل في قول الله تعالى: «**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَاحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ، وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**»(1) وصدق الله في قوله الحكيم .

قالوا للمرأة المسلمة : انهضي وطالبي بحقك في المساواة — التامة — حتى تكوني مثل الرجل في كل شيء .

وهل هي في خلقتها وتكوينها مثل الرجل...؟؟

استجابت المرأة المسلمة — في بعض الاقطار الإسلامية — للرغبة الملحّة عليها ، فقامت ورفعت صوتها : أريد حقي .... في السياسة ، والوزارة ، والإدارة ، والاقتصاد ، وفي تسيير دفة الحكم ومقاليد الامور ، وفي غشيان المجتمعات العامّة بلا حدود توقفني أو تحد من نشاطي ، إلى غير ذلك من المطالب — المحترمة والمعقولة جدا — وقالت : أريد المساواة — التامة — وإزالة الفروق بيننا حتى في فروق اللغة العربية ، تلك اللغة التي تفرق بين الرجل والمرأة... وهذه الفروق التي تعنيها سيدة الزمان — المرأة المسلمة — هي من حسنات اللغة العربية الدالة على سعة مفرداتها وأساليبها في الخطاب ، والغيبة ، والافراد ، والتثنية ، والجمع ، ليسهل على السامع فهم المراد من الكلام .

فمن الفروق — مثلا — تاء التأنيث ، ونون النسوة ، وكسر التاء ، والكاف في خطاب المؤنث ، فالمرأة العربية المتحررة — كما تزعم — قد طالبت — فعلا — بأن تزال وتحذف من اللغة العربية تاء التأنيث ونون النسوة وكاف الخطاب المكسورة ، لان في المذكورات فرقا أو تفريقا بين الفعل المسند إلى المذكر والفعل المسند إلى المؤنث ، فعوضا من أن تقول : — قامت زينب — يجب أن تقول : — قام زينب — بإسقاط التاء كما تقول في المذكر : قام صالح ، وبدلا من قولنا : النسوة قمن ، يجب أن نقول : النسوة قاموا ، مثلما نقول : الرجال قاموا ، وبهذا الاقتراح السديد — أو الاعوج — تكون

(1) الآيــة 19 مــن سورة النــور .

المساواة – تامة – بين الرجل والمرأة في اللغة العربية ، التي ظلمت المرأة حين ميزت بينها وبين الرجل – كما ظلمها الإسلام حين ميز بينهما في الإرث – كي لا يختلط الفعل المسند للرجل بالفعل المسند للأنثى ، وهو اقتراح يدل على الجهل والغرور والغباوة .

حقًا... إننا في زمن الخلط ، والتخليط... والاختلاط...

هذا الذي ذكرته مطلب قدمته – أو قدمه – إحدى – أو أحد – الجمعيات النسائية إلى بعض مجامع اللغة العربية ، طالبة – أو طالبا – منه أن يقرر حذف تاء التأنيث ونون النسوة ، وبينما المجمع اللغوي – الامين على اللغة العربية – يناقش الاقتراح الجريء بل العجيب في نوعه ، إذا بأحد أعضائه الاذكياء يفاجئ المجمع برأي سديد – أو نكتة – فيلقي بين أعضائه في وسط المجمع قنبلة – ذرية عربية – نسفت الاقتراح من أساسه وقاعدته ، فبعثت بالاقتراح الغريب إلى سلة المهملات الحقيرة ، وتلك القنبلة هي قول هذا العضو الذكي :

(للمجمع أن يقرر ما يشاء ، ولكنه لن يستطيع أن يحذف النون التي خلقها الله...) .

ولعل المرأة – ومن ورائها من يدفعها ، أو يجرها – ستطالب في يوم – مّا – بمساواتها بالرجل في إبطال – العدة – عنها كالرجل – كما أشار إلى هذا بعض النبهاء – ذلك أن المرأة إذا طلقت أومات عنها زوجها ، أوجبت عليها الشريعة الإسلامية أن تعتد – وتتربص – المدة المعروفة حتى يظهر أمرها ، هل هي ذات حمل من زوجها المطلق أو المتوفي أو لا ؟ والحكمة في إيجاب العدة على المرأة دون الرجل ظاهرة ، وهي اختبار براءة الرحم ، حتى لا تختلط الانساب والاولاد ، لان المرأة هي المنجبة للأولاد ، فلعلها تطالب في يوم من الايام بإلغاء العدة ، وتقول : يجب أن تجعلوا قانونا وضعيا يبطل العدة الشرعية على المرأة ويبيح لها أن تتزوج من يوم طلاقها أو موت زوجها أو ما يقرب منه بدون انتظار أمد العدة الذي قد يطول ، فهي تريد أن تكون كالمرأة الامريكية .

والذي نعرفه أن المرأة الامريكية قد تتزوج مرتين أو أكثر في الشهر الواحد ، وتفارق كذلك ، وأمريكا هي بلاد العجائب ، كما يقال...

ولعل المرأة المسلمة تجد من أصحاب القانون – الوضعي – من يلبي طلبها ويقول : إن المرأة المسلمة مظلومة ظلمها الإسلام ، حيث لم يسو بينها وبين الرجل ، مثلما سمعناها تطالب بتسويتها معه في الوظيف وتحمل مسؤولية شؤون البلاد ، وفعلا فقد تم لها بعض ما طلبت ، والعاقل يسأل هذا السؤال ويقول : هل للمرأة من الاستعداد والقدرة ما يجعلها كالرجل في تحمل المسؤولية في هذه المهمة الصعبة... ؟؟؟

إن الواقع قد كشف عجزها عن تسيير الشؤون العامة في غير ما بلاد ، وهذا هو السر في قول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : **(لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً)**(1) وليس هذا من الرسول صلى الله عليه وسلم قدحا في المرأة ، أو تنقيصا من شأنها – كما توهمه بعض الجاهلين – إنما ذلك راجع بالذات إلى طبيعة خلقتها وتكوينها ، وَ **(كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ)** (2) كما ورد في الحديث .

فالإسلام – دين الله الحكيم العليم – قد راعى في المرأة مزاجها وذاتها ، فكلفها بما هو من خصائصها ، فمنحها إنجاب الاولاد ، وتكوين الرجال والاجيال ، وتهيئتهم للمستقبل وللبلاد – وليس هذا بالامر الهين – فإذا زج بها في وسط المجتمع المختلط ، للخدمة وغيرها ، فقد ضاعت المهمة التي كلفتها بها الفطرة وساء حال الامة ، **وفعلا وقع هذا ولا يستطيع أحد نكرانه...**

لنفرض – جدلا – أن طبيبا حاذقا لصنعته يعالج المرضى في المستشفى أو في المصحة ، والامة في أمس الحاجة إلى خدماته فيما هو من خصائصه ، فإذا أخرجناه من محل عمله – المستشفى أو المصحة – وأوليناه عملا آخر لاصلة بينه وبين عمل ما هو خاص به ، كمحافظ للشرطة أو غيره من الاعمال ، هل يعتبر هذا العمل إصلاحا – في المجتمع – قمنا به وتوفيقا ورعاية للمصلحة العامّة... ؟؟؟ **اللهم لا يقول بهذا الاصلاح إلا المجنون...** وبالعكس من هذا لو نقلنا محافظ الشرطة من عمله إلى عمل الطبيب في المصحة أو في المستشفى ، لو فعلنا هذا لذهبت البلاد إلى الهاوية السحيقة ، نتيجة لسوء التصرف وتصريف

---

(1) اخرجه البخارى والامام احمد والنسائى ، سببه ان امة الفرس اولت بنت كسرى لما مات ابوها ، فبلغه ذلك فقال : لن ....
(2) اخرجه الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، كما اخرجه غيره.

الامور ، ولقال العقلاء لنا : إنكم قوم مجانين جهلة لا ذوق لكم ، فأنتم والحيوانات العجماوات سواء ، كما هو واقع – فعلا – الآن...

إن الشريعة الإسلامية – العادلة – قد وزعت الاعمال والادوار – حسب الفطرة – على صنفي بني آدم وحواء – الذكر والانثى – فلكل منهما عمل يؤديه ، ودور يقوم به في هذه الحياة ، فإذا قام كل واحد منهما بعمله أحسن القيام ، وأتقن دوره صلحت الحياة ، وعمها البشر والسرور والطمأنينة ، وكانا شريكين صادقين أمينين فيه ، أما إذا أخل أحدهما بما أسند إليه فتركه وراح يعمل عمل غيره ، فإن الحالة تنعكس إلى ضدها – وهذا ما هو مشاهد – وتهلك البلاد .

ولنفرض – ثانيا – أن بلادا – مّا – هاجمت بلادا أخرى ، فإن النظام المتبع أن الجيش هو الذي يتولى الدفاع عن البلاد ، والعمل على صد العدوان بكل وسيلة هي في الإمكان .

هذا الجيش الذي يذهب إلى الواجهة يحمل معه السلاح ليقوم بواجب الدفاع عن تراب الوطن ، هو في حاجة إلى من يحضر له جميع ما يحتاج إليه ، من طعام ولباس وذخيرة حربية وغير ذلك من الضروريات اللازمة للموقف ، فلا يقبل عقلا – وعرفا – أن نقول : يجب على كل فرق الجيش أن تتوجه إلى الواجهة حتى الفرقة التي كانت تهيّئ له المعدات الضرورية وغيرها ، من غير أن تبقى فرقة لتهيئة ما يلزم من الضروريات ، فإذا ذهبت – على هذا الفرض – كل فرق الجيش إلى ميدان المعركة ، فإنها لا تقوى على الثبات في وجه العدو الذي يحاربها ، فإذا أصابها الجوع أو العطش ، أو نفدت لها الذخيرة ، أو لم يكن لديها طعام وشراب وذخيرة ، أصابها الضعف وتقهقرت إلى الوراء وخسرت المعركة وغلبت على أمرها ، لان قواها ضعفت ، ولم تبق لها قوة للدفاع عن نفسها وبلادها ، وانهزم الجيش في هذه المعركة ، فإن كل فرق وأفراد الجيش شركاء في الهزيمة .
أما على النظام المتبع الذي جرت به العادة – لدى جيوش جميع دول العالم – فإن طائفة تحمل السلاح وتسير إلى ميدان المعركة لمحاربة الاعداء ، وهي مطمئنة على قوتها وضرورياتها ، لانها تعرف أن طائفة أخرى من الجيش بقيت وراءها لتحضر لها طعامها وشرابها وضرورياتها من لباس ومعدات وغيرهما .

فإذا انتصر هذا الجيش الذي حارب عدوه بنظامه المعروف ، فإن النصر الذي ناله يشمل جميع فرق الجيش ، ـ كما أن الهزيمة تشمل الجميع ـ لا فرق بين من حمل السلاح ، وبين من بقي في المؤخرة يهيئ الطعام أو يحرس الذخيرة الخ...

فإذا تطاول حاملو السلاح في الواجهة على الطباخين ـ مثلا ـ وقالوا لهم ـ مفتخرين ـ نحن الذين جئنا بالنصر ، والفضل لنا ، أجابهم طباخو الطعام : نحن شركاء لكم ، إذ لنا سلاحنا كما لكم سلاحكم ، ولولانا لما قدرتم على الوقوف في الواجهة ، والحق إلى جانبهم ، وكل العقلاء يوافقونهم على قولهم ، ويحكمون لهم بأنهم شركاء في النصر ، فهم ومن حمل السلاح سواء .

هذا هو الواقع ، وهو ظاهر فلا يمكن تغطيته بكلمات فارغة جوفاء لا معنى لها ، وخطب تطرز وتحشى بألفاظ العطف والشفقة ورعاية المصلحة إلى غير هذا ، ولكنها في الحقيقة تضليل ومخادعة وتضييع للمصلحة العامة ، كل ما فيها هو إفساد للمجتمع بإفساد عضوه العامل في دائرة عمله ، وتعطيله عن العمل الخاص به ، من أجل إرضاء رغبات شيطانية ألبست لباس العدل ودفع الحيف والإجحاف ، ولا ينبئك مثل خبير ، فإن الاخبار بفساد المجتمع ـ الاشتراكي ـ في كل مكان ـ متواترة ـ والتواتر يفيد القطع كما هو معلوم .

فالمرأة المسلمة أكرمها الله ، وأسبل عليها ستره ، وحفظها بحفظه ، غير أن البعض منهن ـ أو منهم ـ أراد أن يكشفها ، فكشفها ـ فعلا ـ ورمى بها وسط مجتمع لا تربية إسلامية له ، ولا آداب ولا أخلاق حسنة فيه ، فذهبت ضحية الاغراض السيئة ، فالمرأة المسلمة أعزها الله في شرعه ، وأراد إخوة إبليس إذلالها وإهانتها وشقاءها ، فكثيرا ما غبطتها المرأة الاروبية القديمة والحديثة ، وتمنت أن لو كانت مثلها ـ في كرامتها وتكريمها ـ وفي هذه القصة التي أذكرها الآن نوع من ذلك التمني .

ذكر لي أحد الاصدقاء من الذين قضوا مدة في فرنسا ـ كعامل فيها ـ هذه القصة قال :

في يوم من الايام قمت لعملي مبكرا ، وركبت القطار الذي يسير تحت لارض المسمى ـ ميترو ـ وكان ـ بالطبع ـ مختلطا بالعاملين والعاملات ،

وكان إلى جنبي امرأة أروبية عاملة.هي الاخرى وكانت تتأفف من الحياة وأتعابها ، ولما عرفتني أنني مسلم جزائري قالت لي : كم أتمنى أن لو كنت امرأة مسلمة أقيم في بيتي ، أربّي أطفالي ، وأقوم بشؤون بيتي ، وزوجي يعمل خارج البيت ، كي نعيش مع أطفالنا عيشة هنية سعيدة ، قال محدثني : فقلت لها : وما الذي أسخطك وأغضبك من هذه الحياة ؟ قالت : ها أنت ترى حالي ، إنني أفارق بيتي كل صباح في الساعة السادسة ولا أعود إليه إلا ليلا ، وأنا فيها بين رئيسين اثنين : رئيس المعمل ، فهو يطالبني بالعمل في المصنع ، ولا يسمح لي بالتأخر لحظة ، وإذا تأخرت فهناك الزجر والتقريع والتهديد بالطرد من المصنع ، ورئيس البيت — زوجي — يطالبني بحقه علي ، فأنا في أشد الاضطراب والحيرة من حياتي التعسة ، ثم تنفست وقالت : آه لو كنت امرأة مسلمة لكنت في راحة تامة من كل هذا العناء الذي أعانيه والتعب والشقاء الذي أنا فيه... قال : فقلت لها : **اصبري وتحملي فهذه هي حياة مجتمعكم...**

هذه شهادة امرأة أروبية — تقدمية بلا شك — عرفت أن هناءها وسعادتها في بيتها ، ووسط زوجها وأطفالها ، لا في المصنع ولا في — الإدارة — وكم من امرأة أروبية قالت وتمنت مثل هذه السيدة ، ذلك أن المرأة أدركت — بعد التجربة — أن قسمة العمل بين الرجل والمرأة أولى وأفضل بها ، فهي عاملة في البيت ، وهو عامل خارجه ، ليقتسما أتعاب الحياة ، وليخف الحمل على المرأة الضعيفة ، وبهذا تكون الحياة خفيفة — نوعا ما — وسعيدة عليهما ، إذ هي شركة بينهما .

ولعل في كلمة الفيلسوف الانكليزي — المعاصر — والمتوفى أخيرا — بيرتراند راسل — درسا بليغا لمن أراد أن يفهم حقيقة الحياة والواقع — من حمقى المتزعمين — حقيقة عمل المرأة خارج بيتها ومملكتها وإدارتها . هذا العمل المخالف لما أوصت به الشريعة الإسلامية من صون المرأة المسلمة عن الاختلاط بالرجال ، حتى في أوقات العبادة كالصلاة والطواف بالبيت وغيرهما مما قد يحدث فيه اجتماع في وقت واحد ، وقد علمنا أن الشريعة الإسلامية وزعت الاعمال بين الذكر والانثى ، فالفيلسوف الانكليزي (بيرتراند راسل) **غير رجعي ، وغير تقدمي أيضا**... ولكنه فيلسوف أدرك الحقيقة بفكره الصافي النيّر ، كتب هذا الفيلسوف يقول تحت عنوان :

(المرأة الغربية العاملة)

قال : (لقد انحلت الاسرة باستخدام المرأة في الاعمال العامة ، وتبين أن كثرة الجرائم في – أمريكا – وسبب الازمات العائلية فيها ، هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الاسرة ، فزاد الدخل ، ولكن انخفض مستوى الخلق .

كما أن انطلاق المرأة نحو العمل أورث الحضارة الغربية مشكلات عميقة ، وأفقد المرأة نفسها الكثير مما اختصت به ، فقد أنهكتها المهنة ، وتدبير المنزل والاطفال .

وأصبحت مخلوقا جديدا ، لا هو رجل ولا هو امرأة...)

الفصل الخامس : مثال من حصافة رأي المرأة العربية المسلمة

ومثلما فهمته تلك السيدة الاروبية من حياة المرأة ، وكذلك ما أدركه الفيلسوف الانكليزي "بيرتراند راسل" في كلمتيهما السابقتين ، مثل ذلك أرشد إليه الإسلام في تشريعه ، ونبه إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه ، وقد أجاب به سيدة عربية مسلمة – مبعوثة – النساء إليه ، حين جاءته موفدة من قبل النساء الصحابيات رضوان الله عليهن .

وردت قصة هذه المرأة الموفدة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في كتب الحديث والسير ، قالوا : ان (أسماء بنت يزيد بن السكن الاشهلية الانصارية) جاءت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم موفدة إليه من جماعة النساء يسألنه عن الاعمال التي يقوم بها أزواجهن خارج البيت ، وعن الاعمال التي تؤديها زوجاتهم داخل البيت ، فهل بين عمل الزوج وزوجته صلة وارتباط واشتراك أو لا ؟ وهل الجميع شركاء فيه ؟

وأسماء هذه من العربيات المسلمات المبايعات للرسول صلى الله عليه وسلم ، الوارد خبرهن في الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى وتقدس : **«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا يَسْرِقْنَ ، وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ**

بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ، فَبَايِعْهُنَّ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»(1) .

كانت هذه السيدة الفاضلة ــ أسماء بنت يزيد ــ تلقّب بـ "خطيبة النساء" ويكفي دليلا على تصديق هذا اللقب فيها هذه الاسئلة العجيبة التي تقدمت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **مما دل على حصافة رأيها وجيّد عقلها** ، وفصاحة لسانها وشجاعتها في الموقف الذي وقفته بين يدي الرسول وهو مع أصحابه ، وقد أعجب بها وبفصاحة لسانها ، حتى لفت أنظار وانتباه أصحابه إلى بلاغتها في عرض ما جاءت من أجله عليه .

وهذه قصتها وأسئلتها ، وهي عبرة للمعتبرين والمعتبرات منا ، قالوا : «ان أسماء أتت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بين أصحابه فقالت : بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك وبالهك ، وإنا ــ معشر النساء ــ محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم ــ معاشر الرجال ــ فُضّلتُمْ علينا بالجمع والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله ، وان أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا ، حفظنا لكم أموالكم ،وغزلنا أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، **أفنُشاركُكُمْ في هذا الأجر والخير...؟؟** فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ، ثم قال لهم : هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه .. ؟؟ فقالوا : يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا... فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها فقال : **(افْهَمِي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ وَأَعْلِمِي مَنْ خَلْفَكِ مِنَ النِّسَاءِ ، أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ الْمَرْأَةِ لِزَوْجِهَا، وَطَلَبَهَا مَرْضَاتَهُ ، وَاتِّبَاعَهَا مُوَافَقَتَهُ يَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ)(2) .**

فانصرفت المرأة ــ عائدة ــ من لدن الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم بعدما سمعت منه هذا الإرشاد النبوي الكريم ، والتوجيه القويم ، وبعدما أسمعته رغبات النساء اللئي بعثن بها إليه ، انصرفت مسرورة مستبشرة وهي

(1) الآيــة 12 مــن سورة الممتحنــة .
(2) اسد الغابة لابن الاثير ج 5 ص 398 ــ 399 .

تهلل ، ورجعت إلى جماعة النسوة تحمل معها إجابة رغباتهن ، عادت إليهن وهي تحمل معها فوق وأكثر ما كانت المرأة تتخيله في خيالها ، فهي مأجورة — من الله — بأجر يعادل ويماثل أجر زوجها الرجل في الجهاد ، وفي الصلاة ، وفي الحج ، وفي العمرة الخ ، وهي شريكة للرجل في أجر جهاده ، وحجه وصلاته ، وعيادة المريض ، وغير هذا بشرط أن تحسن عشرته — ليتفرغ لاعماله المذكورة — وتعمل من أجل مرضاته ، وأن تكون له زوجة صالحة ، وفية ، أمينة ، تعمل على موافقته ، وأن تتجنب معاكسته ومخالفته ، وهذا هو حسن التبعّل .

فبمثل ما ذكر تحصل السعادة الزوجية الحقيقية ، فتكون بتقسيم الاعمال ، فنظام الاسرة شبيه بنظام الحكومة ، فوزير الخارجية في الحكومة مكلف بالاتصالات الخارجية — وهو هنا الزوج — ووزير الداخلية مكلف بتنظيم البلد وأمنه ورفاهيته ونظافته إلى آخر ما يتطلبه وظيفه ومركزه — ويمثل وزير الداخلية هنا الزوجة — فإذا لم يقم كل وزير بما أنيط بعهدته ساء الحال ، وتراكمت الاعمال ، وتطرق الخلل إلى أجهزة الحكومة ، وهذا ما يكون سببا في ضعفها وانقضاء أيامها .

فماضي المرأة المسلمة القديمة ماض مشرق نيّر ، وحاضرها حاضر مظلم ، مملوء بالمتناقضات والمخازي ، بالرغم مما حف به من هالة التمجيد والتعظيم المزور ليزداد غرورها وخداعها ، والحقيقة تكذب دعاة الشيطان ورسله ، وأنصار الرذيلة وحماتها.

فالمرأة المسلمة في هذا الوقت تركت مهمتها التي خلقت لها — ولها فقط خلقت — وأرادت أن تترجل — أو أريد لها ذلك — لتكون ألعوبة وملهاة — كلعب الصبيان — في يد إبليس — بعد أن أنقذها الله منه بالإسلام — فضاعت المهمة التي كانت لها ، فخربت البيت التي كانت عامرة بها ، وانتشرت الفوضى في المجتمع الإسلامي — وهو المجتمع المنظم بنظام الإسلام — فكثر بسبب ذلك الطلاق بين الازواج كثرة مهولة ، وعم النزاع والخلاف ، واستحكم بينهما ، وساءت العشرة ، وذهبت الثقة بينهما بسبب كثرة الخيانة منهما — إلا من قل — والسبب ظاهر غير خاف ، فالمرأة تركت مركزها في البيت وإدارتها في الاسرة ، ومصنعها في وسط العائلة ، إلى إدارة غريبة عنها وعن تكوينها ، إلى إدارة أو مصنع لا قدرة لها عليهما ، فاستحوذت

– بدفع إبليس وأعوانه – على مركز الرجل وأخرجته منه ، وتركته عاطلا بلا عمل ، فزادت في مشاكل البطالة مشاكل أخرى ، فكثرت السرقات والجرائم ، وأبعدت الرجل والشاب عن محل عملهما ، ذلك العمل الذي استحقاه بفضل تكوينهما العقلي والجسدي ، ودفعت بهما إلى ما وراء البحار ، باحثين عن عمل يقوم بهما وبحياتهما ، وتربعت السيدة المحترمة ، أو الآنسة المهذبة على كرسيهما في الإدارة المغصوبة ، فتعطلت بهذا الاعمال وتراكمت القضايا ، والزمن يمر مسرعا ، والإنجاز قليل .

فالمرأة المسلمة كانت – مقصورة – في بيتها قصر صيانة ، وحفظ ، وتكريم ، لا قصر إهانة وسجن واحتقار ، كما يقال في ذلك ، وفي هذا كرامتها وصونها وحفظها من كل قبيح ومكروه ، وقد أجاد كثيّر عزة في قـــولــه :

وَأنتِ التي حبّبتِ كـل قصيرَةٍ(1) إليّ وَما تدري بـذاكَ ٱلقصَـائرُ
عنيتُ(قصيرَات ٱلْحجال(2)وَلَم أرد قصَارَ ٱلخُطا شر النّساء البحاترُ(3)

فكثيّـر يقول – مادحا عزة – ان "عزة" القصيرة – بمعنى المقصورة – في بيتها هي التي حببت إلي كل امرأة تلازم حجلتها – بيتها – صونا لعرضها وشرفها ، وان كن لا يشعرن بأنهن محبوبات عندي بهذا الوصف يقول هذا هو ما أردته ، ولم أرد من النساء قصيرات الخطا اللئي هن شر وأقبح النساء وهن البحاتر ، فالقصيرة هي : المقصورة والملازمة لبيتها ، لا تطوف في الطرقات وعلى المنازل ، والنساء عند العرب يمدحن – فيما مضى من الزمن – بملازمتهن البيوت لدلالة ذلك على صيانتهن عن كل شيء مرذول لا يليق بالعفة والشرف .

كلمــة ختــامية :

إن الدافع – الوحيد – الذي دفعني إلى طرق باب هذا الموضوع الشائك

(1) القصيرة هى المرأة الملازمة لبيتهـــا .
(2) الحجال جمع حجلة بفتح الحاء والجيم ، وهى بيت يزين للعروس.
(3) البحاتر جمع بحترة بضم الباء وسكون الحاء وضم التـــاء ، هـــى المرأة القصيرة المجتمعة الخلق والتكوين ، وهو من عيوب النساء ، قال الله تعالى فى نساء الجنة : « حور مقصورات فى الخيام » .

والخطير على حياة المتكلم فيه – لانعدام حرية الرأي والقول – في هذا الوقت – كما طرقه غيري من قبل – هو العمل على ما يعزز جانب الإسلام وعقيدته ، فقد كثرت التهجمات والإهانات والدعاوي الباطلة على الإسلام ، وعلى كل ما هو من الدين ، وخصوم الإسلام من بين سائر الاديـــان – بالخصوص – يزداد هذا منهم يوما بعد يوم ، والمقصود من وراء عملهم هذا ظاهر غير خاف ، وهو العمل على القضاء على الإسلام – في زعمهم – وعقيدته ، وإحلال الإلحاد والزندقة محله .

وقديما كانت فرق الضلالة والغواية تعمل عملا متواصلا لهذا الغرض نفسه ، غير أن علماء الدين الغيورين عليه تصدوا لها وواجهوها بنقضها وإظهار تزييفها وخداعها ، فأبطلوا مفعولها كمَا يُبْطِلُ الخبراء الفنيون مفعول القنابل والمتفجرات – في هذا العصر – التي يريد واضعوها من وراء تفجيرها نسف وتخريب ما وضعت فيه ، فيذهب صنعها ووضعها والامل فيها أدراج الرياح ، فيستريح الناس المقصودون بها من شرها وضررها ، فتكون الخسارة على من حاولوا التخريب والدمار ، فيدمرهم الله ويقضي عليهم ، فلا يبقى من بعدهم إلا اسم إجرامهم ، يجلب لهم السخط والغضب واللعنـــــات .

والتاريخ يذكر أن هذه الفرق – الخاسرة – التي أريد منها أن تكون معاول هدم وآلات تخريب وفساد ، تحارب الاديان والعقائد – لا غير – هذه الفرق لم تأت بمفيد لبني الإنسان ، بل ما جاءتهم إلا بما يهلكهم ويجلب لهم الشقاوة الابدية ، وهذا ما يضرهم ، ولا ينفعهم .

وتعجبني في هذا الموضوع كلمة – بل هي نصيحة وتحذير أوْلى – للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، جاءت في آخر الجزء الرابع من كتابه المفيد (الفصَل في الملل والاهواء والنحل) جعلها كخاتمة له ، قال بعد أن ذكر أقوال وأفعال بعض فرق الضلالة ما يلي :

(واعلموا – رحمكم الله – أن جميع فرق الضلالة لم يُجر الله على أيديهم خيرا ، ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية ، ولا رفع للإسلام بهم راية ، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين ، ويفرقون كلمة المؤمنين ،

ويسلون السيف على أهل الدين ، ويسعون في الأرض مفسدين ،... ثم قال : فالله الله أيها المسلمون ، تحفظوا بدينكم) .

فهذه الكلمة – أو النصيحة الغالية – كأنها قيلت في عصرنا هذا ، ونحن نعلم أن الإمام ابن حزم الظاهري توفي سنة "456" ه رحمه الله ورضي عنـــه .

ففرق الضلالة يشبه بعضها بعضا ، سواء ما كان منها في القرون الخالية ، أو ما كان منها في العصور الاخيرة ، فكلها متفقة في وجهة واحدة ، وهي محاربة الشرائع السماوية ، لتبقى للناس شريعة إبليس ، وهذا هو المقصود منها في القديم والحديث ، فالقائمون بها أعوان لإبليس ودعاة له ولتضليله ، وكل العقلاء يعرفون من هو إبليس وما هي أهدافه ومقاصده . فقد وجد في الاشتراكية العصرية أكبر عون له على محاربة الشرائع الإلهية ، لتبقى شريعتـــه فقــط .

ذكرت في الباب الثامن : (الاشتراكية والدين) في الفصل الثاني منه : (محاربة الشيوعية الاشتراكية للإسلام) ما كتبه المدعو (أ. جاكو فينسكي) في صحيفة "برافدا فوستوكا" الشيوعية ، فيما يخص صيام شهر رمضان ، محاولا بذلك التنقيص من قيمة الإسلام الذي فرض على المسلمين صوم شهر رمضان ، وهو كلام جاهل غير عارف لمغزى الدين وحكمة التشريع ، وما قاله هذا الشيوعي قال مثله بعض المسؤولين في الشعوب الإسلامية ، وقد وقفت – أخيرا – على كلمة كتبها عالم سوفياتي يمدح فيها الصوم ، ويظهر ما فيه من أنواع العلاج للمرضى ، فأحببت نقلها في خاتمة الكتاب ، لنقارن بها بين ما يقوله جهلة الروس الشيوعيون وما يقوله علماؤهم وحكماؤهم في خصوص الصوم .

نشرت جريدة "الشعب" اليومية الجزائرية في العدد (3149) بتاريخ 14 ذي الحجة 1393ه الموافق لـ 8 جانفيي – يناير – 1974م في الصفحة الثامنة مـا يلي تحت عنوان :

(العــلاج بـالصــوم)

(أعلن العالم السوفياتي "بيرتر انوخين" أن الصوم عن الطعام لفترة طويلة ، وتحت إشراف الاطباء يكون علاجا لبعض الامراض المزمنة ، مثل القرحة

المعدية ، والربو ، ومرض السكر ، وقال العالم السوفياتي الخبير في – فيزيولوجيا الاعصاب – : إن الجسم البشري يتحمّل الصوم المتواصل عن الطعام لمدة – 40 – يوما ، على أن يستهلك الصائم خلال هذه الفترة كمية غير محدودة من السوائل ، وقال "انوخين" في حديثه لوكالة "تاس" : إن الصوم يُعد أحد أنواع العلاج القائم على تنشيط الجهاز العصبي ، وذلك من وجهة نظر علم – فيزيولوجيا – الإنسان ، وأضاف : إن التجارب العلمية التي أجريت على الحيوانات أثبتت أن الجوع يحدث تغييرات كبيرة في قشرة الدماغ ، ابتداء من اليوم الثالث للصوم عن الطعام وان هذه التغييرات تثير النشاط الدفاعي للجسم مما يؤثر بدوره على التركيب المرضي للشخص الذي لا يستجيب للعلاج العادي بالادوية) .

هذا كلام عالم طبيب من أطباء الاجساد في الصوم ومنافعه الجسدية – ولم يهتد فيه إلى المنافع الروحية – فماذا أبقى للجهلة الذين ينظرون إلى الإنسان وكأنه حمار أو بغل يأكل ليقوى على حمل الاثقال ، كما مرت الإشارة إلى ذلك في الموضوع المذكور سابقا.. ؟

نقلت هذه الكلمة لنرى من خلالها هذا التناقض العجيب بين العلماء والجهلة من الروس السوفيات الذين يحاربون بجهلهم المطبق الشرائع الدينية التي فرضت الصوم على المؤمنين بها .

إن السعادة الروحية التي يشعر بها المؤمنون الصائمون،والاثر الكبير الذي يتركه الصيام في نفوس المسلمين لا يتذوقهما الملاحدة وأعداء الدين ، في الصيام لذة تفوق لذة أطيب الاطعمة وأشهى الاشربة ، لهذا فهم محرومون منها ، وهو حرمان ما بعده حرمان ، ولا تظاهيه لذة الطعام الذي لا يصبر عنه أمثال الحيوانات العجماوات... فما أشبههم بالحيوانات التي لم يركب فيها خالقها العقول المدركة لمنافعها الروحية والبدنية ، فهؤلاء قد ركّب الخالق فيهم عقولا ، ولكنهم أهملوها في جانب الدين والروح ، فصاروا أشباه الانعام التي همها الوحيد هو الاكل والشرب والملذات البدنية ، وفي أمثالهم قال الله تعالى في القرآن : «**وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَامُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ**»(1) . لهذا تصدوا لمحاربة الاديان – من جهل

(1) الآية 12 من سورة محمد عليه الصلاة والسلام .

شيئا عاداه – وهم في هذا من المنهزمين الخاسرين ، ومن حالفهم على ضلالهم وإضلالهم كان خاسرا مثلهم ، والتوفيق من الله وحده .

إن الحق سينتصر على الباطل – إن شاء الله – طال الزمان أو قصر ، وإن الباطل سيهزم ويولي الادبار – بحول الله كذلك – في الحاضر كما هزم في الماضي ، وما رفع الباطل رأسه إلا في غفلة الحق عنه ، والحق أحـق أن يتبـع .

(اَللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي اَلْأُمُورِ كُلِّهَا ، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ اَلدُّنْيَا وَعَذَابِ اَلْآخِرَةِ) (اَللَّهُمَّ اَنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي ، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَزِدْنِي عِلْماً ، وَاَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَهْلِ اَلنَّارِ) (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا ، وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ، وَإِلَيْكَ اَلْمَصِيرُ ، رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، وَاَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ) .

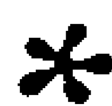
يقول الفقير إلى ربه الغني : عبد اللطيف بن علي بن أحمد بن السلطاني القنطري : إلى هنا انتهى ما أردت جمعه وتحريره من هذا الكتاب الذي عنونته بـ"المزدكية هي أصل الاشتراكية" بعون الله وتوفيقه مع كثرة شغول النفس ، ومطالب الحياة ، وكان الفراغ من تبييضه في منتصف يوم الخميس العشرين من شهر جمادى الاولى ، سنة 1394هـ أربع وتسعين وثلاثمائة وألف من هجرة خير البرية ، الموافق للثالث عشر جوان سنة 1974م أربع وسبعين وتسعمائة وألف ميلادية .

اللهم واجعل عملي خالصا لوجهك الكريم ، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين ، وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين ، **(وَاَلسَّلَامُ عَلَى مَنِ اَتَّبَعَ اَلْهُدَى)** .

فهرس كتاب (المزدكية هي اصل الاشتراكية)

الباب الثالث

الباب الرابع



تم الطبـــع على

مطابـــع دار الكتـــاب

الدار البيضاء

تصويبات :

بالرغم من العناية المبذولة فى التصحيح فقد ظهرت فى الكتاب بعض الاخطاء المطبعية ، فالمرجو من القارىء أن يتداركها بالتصحيح ، كما ظهرت بعض الاوساخ الحبرية ، وهى لا تخرج الكلمة عن معناها ، فتركت اعتمادا على انتباه القارىء لها .

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
11	3	والأُخرى	114	9	مَّا جَدَعَ
13	24	الارض	122	21	اجره
19	2	ينصفوه	143	25	الباطل فى
23	11	احياؤها	146	24	إِنَّ
28	2	ابطال	147	23	ما هو
29	24	وتضرع	172	13	ونحارب
32	22	السيئ	173	3	الجور
34	18	هبوب	185	2	بالنيّات
36	17	رحيم	186	2	الدينى
52	13	ذلك	191	19	شعوبهم
72	8	الهازئ	193	7	آيِلَارْدْ
78	16	نجوة	202	26	أنفَاسِ
78	18	وَأُنثى	206	9	إِن
79	15	والحقارة	206	11	إِنه
85	7	وإِعراه	209	16	كانوا
86	7	الأذل	221	26	الأَنْغُولاَنِيَّ
87	20	والحيل	245	13	ديار
93	21	الدينى	246	17	قلوبهم
93	25	الهيمنة	251	7	بَغْتَتْ
97	3	عنه	284	3	السيئ
102	21	ذكرهم	285	26	فهى
103	8	مَا أَدِيَ	287	25	المتبع
105	26	الخالد	288	29	الارض
109	24	أرباب			



هذا الكتاب

جرى العمل في هذا العصر بأن يعرفَ القُراءُ بالكتاب – الذي هو بين أيديهم – بموجز عنه في آخر صفحات غلافه ، وفي هذا التعريف إشارة إلى ما جاء في الكتاب ، ليكون باعثا للقاريء على الإلمام والاهتمام بشيء مما جاء فيه .

وهذا الكتاب "المزدكية هي أصل الاشتراكية" يتضح مدلول ما حواه من عنوانه ، فهو يذكر أن أصل المزدكية ومذهبها صدرا عن رجل مجوسي ، جاء في مذهبه بما خالف المتعارف بين الناس في الشرائع والاديان ، سواء منها السماوية أو غيرها ، ذلك أنه مذهب إباحي ، أباح لاتباعه كل شيء ولو خالف العقل .

ومن أجل هذا حاربه العقلاء المدركون لحقوق الناس ، ولم يمل إليه إلا الظلمة والفسقة وأصحاب الشهوات البهيمية ، وقد عافه المفكرون ، كما نبذه ذوو الرأي الحصيف وأنكروه .

وهذا الكتاب – ديني قبل كل اعتبار – يبحث في الاشتراكية – بوضوح وصراحة لا لبس فيهما – ويرجع بها إلى أصلها الاول ، وهو المزدكية ، كما يحذر المسلمين المتدينين وأهل العقول الصافية من الانخداع بالعنوان الجديد الذي أعطي لوارثة المزدكية في تركتها ، وهي الاشتراكية الحديثة ، هذه الجرثومة – الميكروب – التي تمكنت من أجسام بعض الشعوب ، فأفقدتها حياة الصحة والراحة والهناء ، بل هذه الفتنة الصماء عن كل نصيحة ، التي افتُتن بها بعض من ينسبون إلى الإسلام ، والإسلام لا يرتضيها – أبدا – أن تكون بدلا منه وعوضا عنه .

فديننا – الإسلام – نهانا عن كل بدعة وفتنة تصرفنا عنه ، والفتنة بلية ومصيبة تقضي علـى الديـن .

وقد حذرنا رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم من الفتن كيفما كان نوعها ، فقال : (ستكُونُ فتنةٌ صَمّاءُ بكماءُ عمياءُ ، من استشرَفَ لها استشرَفَتْ لهُ) يعني لا تسمع نصحا ولا تنطق بالحق ولا ترى الرشد والصواب . وقال : (إن ٱلسّعيدَ لمنْ جُنِّبَ ٱلفتنَ ، إن ٱلسعيدَ لمنْ جُنِّبَ ٱلفتنَ ، إن ٱلسّعيدَ لمنْ جُنِّبَ ٱلفتنَ) .

فالمزدكية المجوسية القديمة والاشتراكية اليهودية الحديثة كلاهما خطر وشر أصيبت بهما الإنسانية الفاضلة ، في دينها وعقيدتها وأخلاقها ، فهما شيء واحد لمسمى واحد .

فقد أصابت فتنة "الاشتراكية" الدين في الصميم ، بمبادئها الإلحادية ، فعطلت فرائضه ، وأخلاقه ، زيادة عن أحكامه وحدوده ، كما نشرت في الشعوب التي طبقت فيها الكفر ، والنفاق ، والزندقة ، والمعاصي التي لم تكن معروفة قبلها ، كما نشرت الجوع والفقر ، والخصاصة ، والخساسة فيها ، وهذا كله من علامات الخسران .

وفي هذا الكتاب مقارنة بين المزدكية والاشتراكية في الدعوة والنتيجة ، وضمير الفصل في العنوان له مدلوله العربي الخاص .

فحذار... حذار... أيها العقلاء من هذه الجراثيم والفتن .